المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
تخصص / التفسير وعلوم القرآن



تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

لأبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي

(ت نحو ٥٠٠ هـ)

(من بداية الآية [١١١] من سورة التوبة إلى نهاية الآية [٥٧] من سورة يوسف

دراسة وتحقيق

إعداد الطالبة

زهرة شعبان سعيد المازني

الرقم الجامعي/ ٤٢٩٨٠٣١٢

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد العزيز عزت عبد الحكيم الوايلي

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

عام ١٤٣٢هـ

تفسير سورة التوبة

قوله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

معناه أن الله طلب من المؤمنين أن يَفدوا أنفسهم وأموالهم ويخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله تعالى ليثيبهم الجنة على ذلك(١). فإن قال قائل: كيف يصح هذا الشراء والجنة على ذلك مملوكة لله عز وجل؟ وكيف يشتري أحد ملكه بملكه؟(٢)

والجواب عنه: أن الله عز وجل إنما ذكر هذا على جهة المتلطف للمؤمنين بتأكيد الجزاء كما قال عز وجل: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾(٣) فذكر الصدقة بلفظ القرض للتحريض على ذلك والترغيب فيه، إذ القرض يوجب رد المثل لا محالة، وكأن الله عز وجل عامل عباده معاملة من هو غير مالك(٤).

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٨٩) تحقيق: د/ محمود مطرجي دار الفكر – بيروت.

(٢) هذا الاعتراض الله أعلم من كلام المؤلف رحمه الله. وهو موجود بمعناه في زاد المسير لابن الجوزي: (٣/ ٥٠٣) الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان.
وأشار إليه الفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٥٠) الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
وكذلك الخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١) دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م.

(٣) البقرة: (٢٤٥).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٨٦) – تحقيق/مجدي باسَلّوم – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. =

وجاء في التفسير أن الله عز وجل تاجر الثمن بأغلى الثمن لله تعالى إذ جعل ثمنهم الجنة[1].

وعن جعفر بن [2] محمد الصادق رضي الله عنهما أنه كان يقول: (اعرف قدر نفسك فإن الله عز وجل عرّفك قدرك لم يرضَ أن يكون لك ثمن غير الجنة)[1].

= وبحر العلوم للسمر قندي (٢/ ٨٩).
كما أشار إليه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١١٢).
والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٦) ط/ الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود ابن عبدالرحيم.
والفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٥٠).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٦) الطبعة الثالثة – ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، الناشر: دار المعرفة – بيروت – لبنان.
وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٣٧) الطبعة التونسية – الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧.
وأشار إلى هذا المعنى الشنقيطي في العذب النمير (٥/ ٦٣٣ – ٦٣٤) اعتنى به وعلق عليه خالد بن عثمان السبت، إشراف فضيلة الشيخ/ بكر أبو زيد – الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، دار ابن القيم الرياض – دار ابن عفان – القاهرة.

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/ ٦) بأسانيد ثلاثة، عن عبدالله بن عباس قال: (ثامنهم والله فأغلى لهم) وعن قتادة بنحوه، وعن الحسن بنحوه – تحقيق د/ عبدالله التركي – ط/ الأولى – القاهرة – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر.
وقال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: تاجرهم فأغلى لهم الثمن (٢/ ٤٧١) شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عالم الكتب – بيروت – لبنان.
وأيضاً الثعلبي في كتابه: الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي ذكره عن قتادة (٣/ ٢٥١) تحقيق: سيد كسروي حسن الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – وكذلك البغوي في معالم التنزيل عن قتادة (٣/ ٦٨) طبعة عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.
والزمخشري في الكشاف (٣/ ٩٦) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي معوض، الناشر مكتبة العبيكان الرياض – لبنان.
وأورده السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس (٤/ ٢٩٥) بإشراف دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٤٢٩ – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبدالله المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٤٨هـ وله ٦٨سنة، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها أسماء بنت أبي بكر ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين. قال عنه يحيى بن معين: جعفر بن محمد ثقة مأمون. وقال عنه الشافعي: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وقال الذهبي: وقال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد.

وقوله عز وجل: ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فيه بيان الغرض الذي لأجله اشتراهم؛ وهو أن يقاتلَ العدو في طاعة الله عز وجل[٢].

وقوله عز وجل: ﴿ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾ أي يَقْتُلُون المشركين ويَقْتُلُهم المشركون، وعلى هذا أكثر القراء، وقرأ حمزة[٣] والكسائي[٤] فَيُقْتَلُونَ) بالرفع، ويَقْتُلونَ) بالنصب[٥] ،

ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٤٨٧) الطبعة الأولى – ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

والثقات لابن حيان (٦/ ١٣١، ١٣٢)، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار النشر: دار الفكر.

تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١/ ١٦٣) طبعة مقابلة على نسخة بخط المؤلف، وعلى تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، الناشر: دار المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.

تهذيب التهذيب له أيضاً (١٢/ ٣٠٩) الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٥٥ – ٢٧٠) الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت – تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد مؤسسة الرسالة، ومزال الاعتدال للذهبي أيضاً (١/ ٣١٣ – ٤١٥)، تحقيق/ علي محمد البجاوي – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي أيضاً (١/ ٢٩٥) وحاشيته للإمام برهان الدين العجمي الحلبي – قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرج نصوصهما محمد عوامه الخطيب دار القبلة للثقافة الإسلامية مؤسسة علوم القرآن – جدة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١) هذا القول لم أجده فيما بين يدي من المصادر والمراجع: إلا في تفسير البرسوي المعروف بتفسير حقي (١٦٩/٥)، وتفسير الحداد المنسوب إلى الطبراني (٣٥٩/٣) تحقيق/ هشام البدراني.

(٢) ذكر هذا المعنى ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٨٧) تحقيق/ أسعد محمد الطيب، دار النشر: المكتبة العصرية صيدا.
وسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٠).
والفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٥١).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٧٤) الناشر: دار الفكر – بيروت – دون تحديد سنة الطبع.
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١).
والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٥).
وأيضاً ذكره حقي في تفسيره (٥/ ١٦٩).
والألوسي في روح المعاني (١١/ ٢٧) دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – دون تحديد سنة الطبع.
وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٣٧).

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي، أحد القراء السبعة، كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول، ينظر: الإعلام للزركلي (٢٧٧/٢) وسير أعلام النبلاء (٩٠/١٣).

(٤) هو الإمام شيخ القراء والعربية، قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، توفي سنة ست وخمسين ومائة ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣١/٩-١٣٢) والوافي بالوفيات (٣٨١/٦-٣٨٢-٣٨٣).

(٥) وكلا القراءتان متواترتان ينظر:

واختـــــار الحسن[١] [هذه][٢] القراءة لأنه إذا قُرِئَ هكذا كان تسليم النفس إلى الشراء أقرب، وإنما استحق البائع أخذ الثمن بتسليم المبيع[٣].

وقوله عز وجل: ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا ﴾؛ نُصِبَ على المصدر أي أوجب الله عز وجل لهم الجنة[٤]، وأوعدهم وعد حق منه لهم. وإنما قال:

النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٨١) أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباغ شيخ عموم المقارئ في الديار المصرية. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للإمام مكي بن أبي طالب القيسي (١/ ٤١٣) سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م دار الحديث – القاهرة.
وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي (٢/ ١٨) تحقيق الشيخ: عبدالرحيم الطرهوني – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دار الحديث – القاهرة والمنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية للدكتور/ خالد محمد الحافظ (٣/ ٣٤١) الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م – مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.
والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م – دار الجيل – بيروت – لبنان، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (١٧٨) الطبعة السادسة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – بيروت، تحقيق وشرح/ الدكتور عبدالعال سالم مكرم.

(١) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً، هو رأس أهل الطبقة الثالثة: مات سنة ١١٠هـ، وقد قارب التسعين – ينظر: التهذيب (٢/٢٤٣) والتقريب (١/٢٠٢).

(٢) اسم الإشارة سقط/ من الأصل وكتبه الناسخ في الهامش وأشار إليه في المتن وأثبت هنا ليستقيم المعنى.

(٣) ذكر بعض المفسرين هذا التفسير بمعناه، ومنهم:
البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٤).
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١).
والسيوطي في الدر المنثور فسر على معنى هذه القراءة (٤/ ٢٩٥).
وفي تفسير حقي (٥/ ١٧٠) نصاً كما أوردها المؤلف هنا.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧١). وأشار إلى هذا المعنى الماتريدي في تفسيره (٥/ ٤٨٦).
وإعراب القرآن للنحاس (ص: ٣٨٤) اعتنى به الشيخ/ خالد العلي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، بيروت – لبنان.
قال أبو البقاء: (وعداً) فصدر: أي وعدهم بذلك وعداً، و (حقاً) صفته انظر إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٢٣)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
كما ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٩٧).
وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير نقلاً عن الزجاج (٣/ ٥٠٤).
والرازي في مفاتيح الغيب نقلاً عن الزجاج أيضاً (٦/ ١٥٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٧٤) وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٦) تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبدالموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق أ. د/ زكريا عبدالمجيد النوقي، أ. د/ أحمد النجوكي الجمل ط/ الأولى – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت.
وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٢٨) "وعداً" منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة لأن معنى "اشترى" معنى وعدهم بذلك فهو نظير "هذا النبي حقاً" الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م – دار القلم – دمشق.
والألوسي في روح المعاني (١١/ ٢٩).
وإعراب القرآن للأستاذ الدكتور: محمد الطيب الإبراهيم (ص: ٢٠٤)، ط/ الثالثة – ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

(حقا)؛ ليفصل بين الوعد الذي يتخذه على وجه الجزاء لهم على العمل، وبين الوعد الذي ينجزه لتصديق قوله على جهة التفضل لا للجزاء على العمل.

وقوله عز وجل: ﴿ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ فيه دليل أن هذا الوعد [كان ضمن الله بأن لهم من الله عز وجل للمؤمنين في جميع كتبه التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام] (1).

(١) هكذا في النسختين والكلام غير مستقيم ولعل الصحيح [فيه دليل أن هذا الوعد قد ضمنه الله عز وجل للمؤمنين في جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام وهذا المعنى الذي أورده المؤلف مجملاً لم يفصله وللعلماء في هذه الآية قولان: القول الأول: أن الأمر بالقتال والجهاد والثواب عليه بالجنة موجود في جميع الشرائع والقول الثاني: المراد أن الله تعالى بين في التوراة والإنجيل أنه اشترى من أمة محمد ﷺ أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كما بين ذلك في القرآن. فمن العلماء من أورد هذه الأقوال دون ترجيح كابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٨٧).
والرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ٥١ – ١٥٢) والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ١٥٧)، الناشر/ مؤسسة الأعلى للمطبوعات – بيروت دون ذكر سنة الطبع.
والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٢٨).
والألوسي في روح المعاني (١١/ ٢٩) وذكر أنه في كلا الأمرين ثبوت موافق لما في القرآن.
ومن العلماء من رجح القول الأول: كالزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧١) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٩٧) وابن العربي في أحكام القرآن (٢/ ١٠١٩) تحقيق علي محمد البجاوي – دار الفكر، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٦) وقال: وهو الظاهر من الآية. وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٤) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٧١) تحقيق د/ عبدالله التركي الطبعة/ الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت – لبنان. والنفيعي في مدارك التنزيل (٢/ ١٤٧) دار الكتاب العربي بيروت – لبنان. والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١) والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٠٤)، ط/ الثالثة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
ومن العلماء من رجح القول الثاني كالزمخشري في الكشاف (٣/ ٩٧). والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٧٤) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٦). وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٤٦). وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٣٨) فقال:
والمراد بالمؤمنين في الأظهر أن يكونوا مؤمني هذه الأمة وهو المناسب لقوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ ﴾ ويكون معنى قوله ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ ما جاء في التوراة والإنجيل من وصف أصحاب الرسول الذي يختم الرسالة وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي قوله عز وجل: ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ معناه: من الذي هو أوفى بعهده من الله سبحانه، أي ليس أحد أوفى من الله عز وجل في عهده وشرطه وعدكم وعداً ولا يخلف [لوعده](١).

وقوله عز وجل: ﴿ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ﴾؛ أي بيعكم أنفسكم من الله عز وجل، لأنه [لا] (٢) مشتري أرفع من الله سبحانه ولا ثمن أعلى من الجنة(٣). وهذا بيان منزلة المؤمنين المجاهدين في الدين والإسلام ومحلهم عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة، وقيل إن هذا أنزل في الذين بايعوا رسول الله ﷺبيعة الرضوان تحت الشجرة ثم صار عامّاً في كل من عمل مثل عملهم(٤).

وقوله عز وجل: ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ؛ معناه ذلك هو النجاة العظيمة والثواب الوافر؛ لأنه نيل الجنة الباقية بالنفس الفانية(٥). قوله عز

---

(١) هكذا في النسختين ولعل اللام زائدة والصحيح (وعده). وهذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله ذكره كثير من المفسرين أيضاً منهم: ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٨). والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٥/ ٤٨٧) والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٠) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٧) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٥).

(٢) ساقطة من النسختين وأثبتها ليستقيم المعنى.

(٣) ذكر هذا المعنى كثير من المفسرين بمعناه ومنهم:
البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٨)، والنسفي في مدارك التنزيل (١/ ١٤٧) والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٦) وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٤٦). وهو نصاً في تفسير البرسوي المعروف بتفسير حقي (١٧٠/٥).

(٤) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من قال إنها نزلت في بيعة الرضوان بل أكثر المفسرين على أنها نزلت في بيعة العقبة الثانية ومنهم: الواحدي في أسباب النزول حيث قال: قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً، قال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال: أشترط لربي:أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي: أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قالوا فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية. أسباب النزول للواحدي (ص: ٢١٣) دراسة وتحقيق د/ السيد الجميلي – الطبعة السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي – بيروت - لبنان.
وقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/ ٦ – ٧)من طريق عبدالعزيز بن أَبَان عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي...به وفي إسناده عبدالعزيز بن أبان متروك، قال أحمد: =

= ضعيف سن واختلط لا يكتب حديثه، وقال البخاري: تركوه، وقال يحيى بن معين: كذاب. إذاً فسبب النزول ضعيف لضعف إسناده. راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٣٧٧) وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٢٢).
تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١/ ١٠٢).

وجل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾.

وتهذيب التهذيب له أيضاً (٦/ ٢٩٤) =
وقد أورد هذا السبب كثير من المفسرين عن محمد بن كعب القرظي غير مسند ومنهم:
البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٧).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٨٧).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٣ – ٥٠٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٨٩ – ٣٩٠).
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١).
وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٥) وقد صرح رحمه الله أنها بيعة العقبة الثانية وهي البيعة الكبرى. ثم قال: والآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٦).
والسيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن جرير (٤/ ٢٩٤).
وذكره أيضاً في لباب النقول في أسباب النزول وعزاه أيضاً إلى ابن جرير (١/ ١١٣) الناشر: دار إحياء التراث – بيروت – لبنان – دون تحرير سنة الطبع.

(٥) ذكر هذا المعنى كثير من المفسرين بنحوه ومنهم:
مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/ ٧٣).
القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٣)، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٦) والألوسي في روح المعاني (١١/ ٢٩).
والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٠٦)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٥٣).

في الآية قولان: أحدهما: أن قوله عز وجل: (التائبون) رفع بالابتداء، كأنه قال: التائبون العابدون ...إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً. أي من قعد عن الجهاد غير معاندٍ ولا قاصدٍ تركه وهو على هذه الصفات التي في هذه الآية فله الجنة؛ لأن بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد، ولهذا قيل إن الله عز وجل اشترى من عشرة نفر أنفسهم بالجنة أَوَّلُهم الغزاة ثم التائبون ثم العابدون إلى آخر الآية. القول الثاني: أن قوله: (التائبون العابدون) بدل عن المقاتلين، كأنه قال: المقاتلون التائبون العابدون، ويجوز أن يكون قوله سبحانه (التائبون) رفعاً على المدح، كأنه قال: هم التائبون عن الشرك والذنوب الطيعون لله سبحانه بالعبادة[1].

(الحامدون) الذين يحمدون الله عز وجل على كل حال، (السائحون) الصائمون. كما روي عن رسول الله ﷺ: (سياحة أمتي الصوم) [2] وإنما شبه

الصوم بالسائح في الأرض؛ لأن السائح يكون ممنوعاً من الشهوات، وقيل: أصل ذلك من سيح الماء وهو استمراره، ومنه السَّيَّاح. وهو المستمر على الجولان في البلد، فسمي المستمر على ترك الشهوات بالصوم سائحاً [3].

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٧١ – ٤٧٢)، إعراب القرآن للنحاس (ص ٣٨٤)، تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٨٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٠)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٩٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٩٥ – ٣٩٦)، لباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٢)، البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٢/ ١٥) عن عائشة موقوفاً عليها بلفظ (سياحة هذه الأمة الصيام) وفي إسناده إبراهيم بن يزيد متروك الحديث قال عنه ابن معين ليس ثقة وليس بشيء وقال أبو زرعة وأبو حاتم منكر الحديث ضعيف (تهذيب التهذيب (١/ ١٥٧) سير اعلام النبلاء (١٩/ ٥٢٣) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٧٥)، والوليد بن عبدالله بن أبي مغيث ثقة ولم يدرك أن يروي عن عائشة فهو مرسل عن عائشة فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، ورواه أبو هريرة مرفوعاً عن النبي ﷺ أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ١١) بلفظ (السائحون هم الصائمون) وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٣١٧/١) حققه ووثقه د/ عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان .
وابن عَدي في الكامل (٢/ ٢٢٠) الطبعة الأولى، تحقيق د/ سهيل زكار – ط/٣ قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار غزاوي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
من طريق حكيم بن خذام (تصحفت في مطبوعة الطبري إلى حزام) عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظه. قال العقيلي: حكيم بن خذام كان يرى القدر، منكر الحديث، قال ابن عدي: ولا أعلم رفع هذا الحديث عن الأعمش غير حكيم بن خذام. وحكيم بن خذام هو أبو سمير الأزدي الكوفي، قال البخاري منكر الحديث يرى القدر وقال أبو حاتم: متروك الحديث وضعفه النسائي والعاجي وغيرهم انظر الجرح =

= والتعديل (٣/ ٢٠٣)، الكامل (٢/ ٢٢٠)، اللسان (٢/ ٣٤٢)، لكن ورد هذا المعنى عن أبي هريرة موقوفاً عليه: كما أخرجه الطبري (١٢/ ١١) من طريق ابن مهدي، عن إسرائيل، عن الأعمش ... به موقوفاً على أبي هريرة وصحح ابن كثير أيضاً رواية الوقف (٢/ ٤٠٥) قال: وهذا الموقوف أصح. ومن المفسرين من أورده بلفظه عند تفسير هذه الآية كابن عطية عن عائشة (٣/ ٨٩) وأبو حيان في البحر المحيط عن عائشة وأبو

قال الحسن رضي الله عنه: (أراد بالسائحين صائمي شهر رمضان)[1].

هريرة (٥/ ١٠٧)، والثعالبي في الجواهر الحسان عن عائشة (٢/ ١٥٩) قال: وأسنده الطبري والسيوطي في الدر المنثور عن أبي هريرة (٤/ ٢٩٨).
والألوسي في روح المعاني عن عائشة (١١/ ٣١).
والشوكاني عن أبي هريرة (٢/ ٥٠٨) وقال: وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً وهو أصح من المرفوع ومن المفسرين من أورد الحديث في تفسيره بلفظ (سياحة أمتي الصوم)، كالماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤٠٧) عند تفسيره لهذه الآية عن أبي هريرة مرفوعاً – كما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص/ ١٦٦ – ١٦٧) عند سبب نزول قوله تعالى:
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة: ٨٧) غير مسند، كما ذكره البغوي في معالم التنزيل (٢/ ١٧٤) عند تفسيره لآية المائدة السابقة. من غير سند بقوله: قال أهل التفسير ...)، وكذلك العز بن عبدالسلام عند تفسيره لآية التوبة هذه أيضاً من غير سند وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب عند تفسيره لآية التوبة (١١٢) (٦/ ١٥٤) غير مسند. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٤) عند آية التوبة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ (سياحة أمتي الصيام) بدل "الصوم". وكذلك البيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٧٥) من غير سند.
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٢) بلفظ: السائحون هم الصائمون ونسبه إلى ابن مسعود وابن عباس، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٤٨). عند تفسيره لآية التوبة هذه (١١٢). التفسير ولم أقف على سند لهذا الحديث بهذا اللفظ (سياحة أمتي الصوم) إلا في تفسير الماوردي "النكت والعيون" حيث رفعه إلى النبي ﷺ عن أبي هريرة – وأما السند الذي حكم عليه علماء الجرح والتعديل فهو سند الحديث بلفظ (سياحة هذه الأمة الصيام) ولفظ (السائحون هم الصائمون) مرفوعاً إلى النبي ﷺ – عن عائشة وعن أبي هريرة.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١١٣) تحقيق: محمد عوض مرعب الطبعة: الأولى. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، ولسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٧٦) دار النشر: دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى.
والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٠٥٢) تحقيق: طاهر أحمد الراوي – محمود محمد الطناحي – الناشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١) للعلماء في تفسير قوله تعالى "السائحون" أقوال: أحدها: المجاهدون. روى أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله ﷺ في السياحة فقال: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب: في النهي عن السياحة (٧/٢) قال الشيخ الألباني: حسن.
وقال عبدالله بن زيد بن أسلم هم المهاجرون وقال، عكرمة: هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم.
وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد (السائحون هم الصائمون) راجع: تفسير مجاهد (١/ ٢٨٧) وتفسير الضحاك (١/ ٤٢٥) جمع ودراسة وتحقيق د/ محمد شكري الزاويتي (ط/١) ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. دار السلام للطباعة والنشر القاهرة – جمهورية مصر. ومعاني الزجاج (٢/ ٤٧٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٨٩ – ١٨٩٠) وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٢٩) مراجعة صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٤٢٨ – ١٤٢٩هـ والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٠٧) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٠٦) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٧) والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٩٧ – ٢٩٨) ومنهم من فسرها بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته ، ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/

وقوله عز وجل: ﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ الذين يؤدون ما افترض الله عز وجل عليهم من الركوع والسجود في الصلوات المفروضة[1] . وقوله عز وجل: ﴿ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ وإنما ذكر الناهون بالواو بخلاف ما سبق من قوله: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ﴾ لأن النهي عن المنكر لا يكاد يذكر إلا هو مقرون بالمعروف فَأُدخل الواو على الناهي عن المنكر ليدل على المقارنة[2] .

---

٨٩)، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٥٤) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٩٣ – ٣٩٤) والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٧)، وأمَّا قول الحسن البصري رحمه الله وهو أن السائحون هم الصائمون شهر رمضان فقد ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٤). وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٤)نقلاً عن الزجاج: ومذهب الحسن: أنهم الذين يصومون الفرض. وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٠٧) والشوكاني في فتح القدير نقلاً عن الزجاج (٢/ ٥٠٧). راجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٢/ ٤٧٢).

قلت: والأولى والله أعلم أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج والعمرة والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، وكذلك السير في الأرض لغرض صحيح كعلم نافع للسائح في دينه أو دنياه، أو نافع لقومه وأمته، أو النظر في خلق الله وأحوال الأمم والشعوب للاعتبار والاستبصار وقد حث الله كثيراً في السير في الأرض والضرب فيها، وعلى السفر والسياحة لطلب الرزق الحلال من تجارة وغيرها.

ينظر: تفسير المراغي (١١/ ٣٣ – ٣٤) دار إحياء التراث العربي – بيروت – وتفسير السعدي (ص: ٣٥٣).

(١) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (١٥/ ٦٧١) والزجاج في معاني القرآن (٢/ ٤٧٢).

(٢) للعلماء في مسألة دخول الواو في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ بخلاف الصفات السابقة قولان مشهوران:

الأول: أن الأمر والنهي بمثابة خصلة واحدة وأن كلاً منهما لا ينفرد عن الآخر في النظم القرآني، أو لما بينهما من التباين والتقابل والتضاد فإن الأمر طلب فعل والنهي طلب ترك أو كف فكانا بين كمال الاتصال والانقطاع المقتضي للعطف بخلاف ما قبلهما.

الثاني : أن الواو إنما دخلت ها هنا لأن (الناهون) هي الصفة الثامنة والعرب تعطف بالواو على السبعة لأنه عقد تام.

فمن العلماء من رجح القول الأول: كابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٨٩)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٦ – ٣٩٧)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١١٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٧)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ١٣٠)، وابن هشام في معنى اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٤٧٦) الطبعة: السادسة ١٩٨٥م، تحقيق د/ مازن المبارك/ محمد علي حمدالله دار النشر: دار الفكر – دمشق، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٤٨)، والألوسي في روح المعاني (١١/ ٣١)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٤١ – ٤٢ – ٤٣).

وأمَّا قوله عز وجل: ﴿ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ ﴾ فهو عطف على ما تقدم بالواو لأنه أقرب إلى المعطوف عليه[1]، وقيل إن المراد (بالحافظين) جميع المذكورين من أول الآية إلى هذا الموضع[2]، وهذه الصفة من أتم ما

ومن العلماء من رجح أنها واو الثمانية كأبو البقاء العكبري في كتابه إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٢٣)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٢)، والخازن في لباب التأويل (١٥٣/٣).

وقد ضعف هذا القول كثير من علماء النحو والتفسير كأبو علي الفارسي، وابن هشام في مغني اللبيب (١/ ٤٧٦)

والسمين الحلبي في الدر المصون حيث قال: (قلت: وهذا قول ضعيف جداً لا تحقيق له (١٣٠/٦).

وقد ذكر بعض العلماء هذه الأقوال دون الترجيح بينها كابن الجوزي في زاد المسير (٥٠٦/٣) والفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٥٤، ١٥٥) والشوكاني في فتح القدير (٥٠٧/٢).

(١) من العلماء من قال إن الواو في قوله (والحافظون لحدود الله) واو عطف ومنهم من قال إنها واو الثمانية كما في واو (والناهون عن المنكر) انظر تحقيق هذه الأقوال ومراجعها في الصفحة السابقة (٧٧).

(٢) في تفسير ﴿ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ ﴾ أقوال:

الأول: القائمون بأمر الله تعالى. أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ١٨) عن طريق حكام عن ثعلبة بن سهيل عن الحسن بلفظ القائمون على أمر الله. وكذلك عن ابن عباس بلفظ: القائمون على طاعة الله (١٢/ ١٧). وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٩٢) من طريق حكام عن ثعلبة بن سهيل عن رجل، عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية ﴿ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ ﴾ فقال: "القائمون بأمر الله" وذكر هذا القول الثعلبي في الكشف والبيان بلا سند بلفظ قال ابن عباس (القائمون على طاعة الله) (٣/ ٢٥٢) وذكره الماوردي في تفسيره (٢/ ٤٠٨) كما ذكره البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٦٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٦) والنسفي في تفسيره (٢/ ٢١٢). وذكره ابن كثير في تفسيره عن الحسن (٢/ ٤٠٧) وأيضاً ذكره من طريق العوفي عن ابن عباس (٢/ ٤٠٧). وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً والعوفي ضعيف، ليس بواه، وربما حسن له الترمذي. راجع الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة – دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

الثاني: الحافظون لفرائض الله من حلاله وحرامه قاله قتادة والحسن أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة (٦/ ١٨٩٢) وأخرج الطبري في تفسيره عن الحسن (١٢/ ١٨) وابن كثير عن الحسن أيضاً (٢/ ٤٠٧) وذكره الماوردي في تفسيره (٢/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أبو الشيخ عن السدي (٤/ ٢٩٩

الثالث: الحافظون لشرط الله في الجهاد قاله مقاتل ابن حيان أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٩٢)، والثعلبي في تفسيره (٣/ ٢٥٢)، والماوردي في تفسيره (٢/ ٤٠٨) والبغوي في معالم التنزيل عن الحسن أيضاً (٣/ ٦٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٩) وقد عزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٠٨).

ومنهم من قال: إنه لفظ عام تحته إلزام الشريعة والانتهاء عما نهى الله في كل شيء وفي كل فن. كالجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٢٢٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٩٠)، والرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٥٦)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٤٢).

يكون من المبالغة في وصف العباد بطاعة الله عز وجل والقيام بأوامره والانتهاء عن زواجره لأن الله عز وجل بين في الأمر والنهي وفيما ندب إليه فرغب فيه أو خير فيه أو بين ما هو الأولى في مجرى موافقة طاعة الله سبحانه، فإذا قام العبد بفرائض الله عز وجل فانتهى إلى ما أراده الله عز وجل منه كان من الحافظين لحدود الله تعالى(١)،كما روي عن خلف بن أيوب(٢) أنه أمر [امرأة(٣)] أن تمسك عن إرضاع ولده في بعض الليل وقال: قد تمت له سنتان. فقيل له: لو تركتها ترضُعه هذه الليلة. قال رحمه الله: فأين قول الله عز وجل: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ .

---

(١) قلت: يظهر أن المؤلف رحمه الله يميل إلى ترجيح القول بأن قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لفظ عام يشمل كل من قام بأوامر الله واجتنب نواهيه وفق ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي وشرائعه. راجع أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٢٩) وتفسير البرسوي المعروف بتفسير حقي (١٧٧/٥).

(٢) خلف بن أيوب العامري البلخي الحنفي الفقيه (أبو سعيد) فقيه أهل الرأي ضعفه يحيى بن معين ورمي بالإرجاء، صاحب أبي يوسف سمع من عوف الأعرابي، وجماعة من الكبار، وكان زاهداً قدوة. روى عن يحيى بن معين والكبار، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: وقد كنت سألت أبي عن هذا الشيخ خلف بن أيوب فلم يثبته، قال الذهبي: وقال معاوية عن يحيى بن معين ضعيف. مات سنة ٢١٥هـ وقيل ٢٠٥هـ وذكره ابن الجوزي في المنتظم فيمن توفي سنة عشرين ومائتين.
ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٣٧٠).
تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٧٠)، وتهذيب التهذيب له أيضاً (٣/ ١٢٧)، وتهذيب الكمال للمزي (٨/ ٢٧٤) حققه وضبطه وعلق عليه د/ بشار عواد، أستاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة بغداد – مؤسسة الرسالة.
الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١/ ٥٧، ٣٧٣) والعبر في خير من غير له أيضاً (١/ ٣٦٧) دار النشر: مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م. ط/٢ تحقيق د/ صلاح الدين المنجد.
وميزان الاعتدال له أيضاً (١/ ٦٥٩).
ومغاني الأخيار في شرح أساحي رجال الآثار لأبو محمد محمود الغيتاني الحنفي (بدر الدين العيسني) (١/ ٢٩٣). حققه أبو عبدالله محمد حسن إسماعيل المصري الشهير بـ (محمد فارس)، وضعفاء العقيلي (٢/ ٢٤).

(٣) هكذا في النسختين ولعل الصواب (امرأته) كما في نص بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٠) وفي تفسير البرسوي المعروف بتفسير حقي (١٧٣/٥) علماً بأني لم أقف على هذا الأثر فيما بين يدي من المصادر والمراجع إلا في هذين الكتابين.

وقوله عز وجل: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ معناه بشر الموحدين المصدقين بالجنة[1]، فإن قيل: كيف مدح الله عز وجل الحامدين بمطلق هذه الصفة والإنسان قد يحمد غير الله سبحانه فلا يستحق المدح؟ قيل: إنما مدحهم بهذه الصفة لأنه لا أحد غير الله تعالى يستحق الحمد، فالله أولى باستحقاق ذلك الحمد، وذلك لأن الله عز وجل هو الذي سبَّب في حمد كل من يحمد حين عمل معه ما استحق الحمد.

ولو لم يمكنه الله عز وجل [٢٩١/ أ] من العمل الذي يستحق به الحمد لم يمكنه أن يعمله وكان المحمود في الحقيقة هو الله تعالى على كل حال[2]، وبالله التوفيق.

---

(١) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٨٩٢/٦-١٨٩٣) والمحرر الوجيز لابن عطية (٩٠/٣) ولباب التأويل للخازن (١٥٣/٣) والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٧/٥). وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٢).

(٢) هذا الاعتراض الذي أورده المؤلف هو من قوله حيث رجع لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ وكلامه واضح وقد ذكر العلماء أن الحامدون هنا لها معنيين: إما الحامدون لله على كل حال في السراء والضراء.
وإما الحامدون لله على دين الإسلام. راجع جامع البيان للطبري (١٢/ ١٠) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣) وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٠) والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٠٧) ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٢).
قلت والظاهر من الآية والله أعلم أنها تشمل المعنيين فيحمد الله تعالى على كل حال وعلى كل نعمة أنعم بها علينا ومن أعظمها نعمة الإسلام. كما رجح ذلك بعض المفسرين كالبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٦٨) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٣) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٦، ٢٩٧) والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥٠٦).

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾[1].

....

(١) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية: فقال بعضهم وهم الأكثر: نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ أراد أن يستغفر له بعد موته، فنهاه الله عن ذلك. واستدلوا على ذلك بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه. كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله حديث رقم (١٢٩٤) (١/ ٤٥٧) عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ أما والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى فيه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ وقد أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، رقم الحديث (٣٩٠) تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي. دار النشر: دار إحياء التراث – بيروت – (ب – س – ط) إحياء التراث وقد أورده بعض المفسرين كالطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٠).
وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٤) والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠) والزجاج في معانيه (٢/ ٤٧٢)، كما ذكره الوادعي في كتابه: المسند الصحيح من أسباب النزول (ص: ١٢٧) الناشر: مكتبة صنعاء الأثرية. الطبعة: الثانية – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. وقال آخرون: بل نزلت في أم الرسول ﷺ وأنه أراد أن يستغفر لها فمنع عن ذلك وسيأتي ذلك.
وقال آخرون: بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك. وسيأتي الحديث عنه راجع: جامع البيان للطبري (١٢/ ١٩٥ – ٢٤) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٣) وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣) والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤٠٩، ٤١٠). وأسباب النزول للواحدي (ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٦٨، ٦٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٠) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩) ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٣) وتفسير القرآن لابن كثير (٢/٤٠٧، ٤٠٨) والدر المنثور للسيوطي (٥٤/ ٢٩٨ – ٣٠٣).
=

قال عبدالله بن[٢] عباس رضي الله عنهما: (وذلك أن رسول الله ﷺ سأل عن أبويه أيهما أحدث عهداً به؟ فقيل: أمُّك. فقال: هل تعلمون موضع

= وهناك إشكال حول سبب نزول هذه الآية وهو: أن بعض العلماء قد استبعد نزول هذه الآية في أبي طالب وذلك أن وفاته كانت بمكة أول الإسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولاً، وما ورد في نزولها في أبي طالب حديث صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجاه في صحيحيهما فكيف نوفق بين ذلك. والجواب عنه كما قال الخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٢ – ١٥٣).

الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦) فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) كما في الحديث فيحتمل أنه ﷺ كان يستغفر له في بعض الأوقات إلى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه انتهى كلامه رحمه الله.

وكذا قال النيسابوري في تفسيره (٤/ ٢١٣) ويمكن أن يوجه الأول بأنه ﷺ لعله بقي مستغفراً إلى حين نزول الآية. وقال الألوسي ما ملخصه: والآية على الصحيح نزلت في أبي طالب، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن المسيب بن حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة ... الحديث. ثم قال: واستبعد بعضهم ذلك، لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وهذه السورة من أواخر ما نزل بالمدينة. وهذا الاستبعاد مستبعد، لأنه لا بأس من أن يقال: كان النبي ﷺ يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول هذه الآية وعليه فلا يراد من قوله "فنزلت" في الخبر أن النزول كان عقيب القول، بل يراد أن ذلك سبب النزول فحسب فتكون الفاء للسببية لا للتعقيب. راجع: روح المعاني للألوسي (١١/ ٣٢، ٣٣).

وقد ذكر السيوطي في كتابه: أسباب النزول هذه الروايات ثم ذكر توفيق الحافظ بن حجر رحمه الله بينها حيث قال: قال الحافظ بن حجر: يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب: متقدم وهو أمر أبي طالب، ومتأخر: وهو أمر آمنه وقصة علي وجمع غيره بتعدد النزول. أ – هـ كلامه رحمه الله وقصة علي رضي الله عنه هي ما روي عنه أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقال: أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان؟ فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت راجع: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (١/ ١٢١ – ١٢٧)، دار النشر: دار إحياء العلوم – بيروت. بدون ذكر سنة الطبع.

(٢) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه، ترجمان القرآن، وإمام التفسير، روى عنه سعيد بن جبير، ومجاهد مات رسول الله ﷺ وعمره ثلاث عشرة سنة، قال ابن كثير: وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يُجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة، ويقول: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس، وكان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللِّسان السؤول والقلب العقول.

قبرها لعلي آتيه فأستغفر لها، فإن إبراهيم ﷷ استغفر لأبويه وهما مشركان) فقال المسلمون: ونحن أيضاً نستغفر لآبائنا وأهلينا،فانطلق ﷺ حتى أتى القبر فإذا هو بجبريل ﷷ عند القبر، فوضع يده على صدر النبي ﷺ فقرأ عليه هذه الآية) [١].

قال أبو هريرة[٢] رضي الله عنه: قال ﷺ: [استأذنت ربي أن أستغفر لوالدي فلم يأذن لي، [فأذنت[٣]]أن أزور قبرهما فأذن لي] [٤] ومعنى الآية:

راجع: تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٢) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١) والكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة (١/ ٥٦٥) والبداية والنهاية (١٢/ ٨٨).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢: ٧٤) مختصراً، تحقيق: أحمد فريد، ط/ الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
وذكره من العلماء بنحوه مختصراً أو بلفظه، فقد أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ٢٣) مختصراً، وذكره البغوي في معالم التنزيل مختصراً (٣/ ٦٩) والزمخشري في الكشاف بنحوه (٣/ ٩٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز مختصراً (٣/ ٩٠) وابن الجوزي في زاد المسير مختصراً (٣/ ٥٠٨)، والرازي في مفاتيح الغيب عن ابن عباس بنحوه (٦/ ١٥٧).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم عن العوفي عن ابن عباس مختصراً (٢/ ٤٠٨) ولم أقف في ما بين يدي من المصادر على نص الحديثمسنداً .

(٢) هو عبدالرحمن بن صخر الروسي، ولد في بادية الحجاز عام (١٩ ق . هـ) وأسلم في السابعة للهجرة، لزم رسول الله ﷺ وصار عريف أهل الصفة، روى ما لا يوصف عن النبي ﷺكان إماماً مفتياً فقيهاً صالحاً حسن الأخلاق متواضعاً محبباً إلى الأمة مات سنة (٥٩) ودفن في البقيع.
راجع: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٠).

(٣) هكذا في النسختين وهو تصحيف لكلمة [فاستأذنت] كما هو في نص الحديث.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ في زيارة قبر أمه حديث رقم (١٠٥) (١/ ٥٤) عن أبي هريرة بلفظ (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي) كما أخرجه أبي داود في سننه، كتاب: الجنائز، باب زيارة القبور (٢٣٧/٢) عن أبي هريرة بلفظ مسلم وزاد: (فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) وابن ماجة في سننه كتاب الجنائز، باب: ما جاء في زيارة قبور المشركين (٥٠١/١) والإمام أحمد في مسنده: مسند أبي هريرة ﷺ (٤٤١/٢).

ما جاز وما ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يطلبوا المغفرة للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة إلى الاستغفار لهم من بعد ما ظهر لهم أنهم أهل النار بأنهم ماتوا على الكفر[1].

وقد ذكر هذا الحديث كثير من المفسرين كالطبري في جامع البيان بلفظ مسلم (١٢/ ٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسير بنحو لفظ مسلم (٦/ ١٨٩٣ – ١٨٩٤)، والسمرقندي في بحر العلوم باللفظ الذي أورده الغزنوي هنا (٢/ ٩١)، والثعلبي في الكشف والبيان بلفظ أبي داود (٣/ ٢٥٤)، والماوردي في النكت والعيون بلفظ مسلم (٢/ ٤٠٩)، والبغوي في معالم التنزيل بلفظ مسلم (٣/ ٦٩)، والبيضاوي في أنوار التنزيل بنحوه (٣/ ١٧٦)، والخازن في لباب التأويل بسند الطبري (٣/ ١٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٢)، وذكره أيضاً في لباب النقول في أسباب النزول (١/ ١١٣ – ١١٤).

(١) ينظرجامع البيان للطبري (١٢/ ١٩)، معاني الزجاج (٢/ ٤٧٣)، ولباب التأويل (المرجع السابق).

ثم أخبر سبحانه عن سبب استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه فقال عز من قائل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ معناه:وما كان دعاء إبراهيم لأبيه بطلب المغفرة إلا عن موعدةٍ وعدها أبوه له أن يسلم، فلما تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه عدو لله بأن لم يؤمن حتى مات على الكفر تبرأ من أبيه ومن دينه[1].

ويقال: إن هذه الموعدة إنما كانت من إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه قال سأستغفر لك مادمت حياً، ولم يكن الله تعالى أعلم إبراهيم عليه السلام بعد أنه لا يغفر للمشركين[2].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٤) – ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٩٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٠ – ٢٦١).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٢)، والوجيز للواحدي (١/ ٤٨٤).

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٠) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٠) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩١) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٠٩) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٠ – ٤٠١) ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٢١٢) ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٥) والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٠ – ١٣١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٤٩).

وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ قال عبدالله بن عباس[1] رضي الله عنهما: الأواه التوّاب[2]: وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه هو الدَّعَّاء، وقال الحسن وقتادة[3] رحمة الله عليهما: هو الرحيم الرفيق.

---

(١) لمعاني الأواه يراجع: جامع البيان للطبري (١٢/ ٣٤ – ٤٤). قال الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب القول الذي قاله عبدالله بن مسعود وهو أنه الدعاء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٣ – ٤٧٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٥: ١٨٩٧) ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦١)، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة. وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٠) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٠٩ – ٥١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠١ – ٤٠٢ – ٤٠٣ – ٤٠٤)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٦)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٨ – ١٠٩)، والدر المصون للحلبي (٤/ ١٣١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٩ – ٤١٠)، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٥ – ٣٠٦ – ٣٠٧). وغيرها من كتب التفسير.

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل أبو عبدالرحمن الهذلي، لأسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها، وصح عنه انه قال: أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، مات سنة اثنتين وثلاثين

ينظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٤) والكاشف فيمن له رواية في الكتب الستة (١/ ٥٩٧) .
سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٨٠).

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، قال الذهبي حافظ ثقة ثبت، لكنه يدلس، ورمي بالقدر قاله يحيى بن معين ومع هذا احتج به أصحاب الصحاح لاسيما إذا قال: حدثنا وقال ابن حجر قال أبو داود الطيالسي عن شعبة كان قتادة إذا جاء ما سمع قال حدثنا وإذا جاء ما لم يسمع قال: قال فلان.
مات سنة بضع عشرة ومائة.
ينظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٥) وتقريب التهذيب (١/ ٤٥٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٣٨٥).

ويقال: هو الموقن بلغة الحبشة[1]، إن من قال أنه لا يجوز أن يكون في القرآن شيء غير عربي، وهذا موافق من العربية بلغة الحبشة. ويقال: الأواه الفقيه[2]. وقال كعب[3] هو الذي إذا ذكرت عنده النار قال: آه[4] وقال وقال أبو عبيدة[5]:هو التأوه شفقاً وفزعاً المتضرع يقيناً ولزوماً للطاعة. وأنشد:

إذا ما قُمتُ أَرْحَلُها بليلٍ تأوه آهة الرجل الحزين[6]

(١) قاله الضحاك في تفسيره (١/ ٤٢٦) ومقاتل في تفسيره (٢/ ٧٤) كما أخرجه الطبري في في تفسيره (١٢/ ١١٤ – ١١٥) عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر (٤/ ٣٠٦) عن مجاهد والضحاك.
وابن كثير في تفسيره (٢/ ٤١٠) عن ابن عباس والضحاك ومجاهد.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/ ٤٧٣) ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٢) عن مجاهد.

(٣) هو كعب ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة، من الثانية، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة. طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٥) وتهذيب الكمال للمزي (٢٤/ ١٨٩)، والتقريب (٢/ ٤٣)

(٤) راجع: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦١) والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٥).

(٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي الحافظ صاحب التصانيف، روى عن هشام بن عروة وأبي عمرو بن العلاء وليس هو بصاحب حديث، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها. وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف منها: مجاز القرآن الكريم، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معاني القرآن، وكتاب: غريب الحديث، وكتاب الديباج وكتاب التاج وكتاب الحدود وغيرها. توفي سنة ٢٠٩هـ وقيل ٢١٠هـ. راجع وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ٢٣٥: ٢٤٣)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.
تذكرة الحفاظ (١/ ٣٧١ – ٣٧٢) الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون ذكر سنة الطبع.
وقد ذكر قول أبو عبيدة كثير من المفسرين: كالطبري في تفسيره (١٢/ ٤٥)، والزجاج (المرجع السابق) والنحاس (المرجع السابق)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١١) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٠) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠٤) وغيرهم.

(٦) قائل هذا البيت:هو المثَقّب بن العبدي يصف ناقته ومعنى: أرحلها: أضع عليها الرحل فهي تشكو كثرة أسفاره، واسمه: عائذبن محصن بن ثعلبة بن واثلة بن عدي، من بني عبدالقيس، شاعر جاهلي من أهل البحرين، لُقب بالمثقّب لقوله في قصيدة:

أريــــن محاســــناً وكـــنن أخــــرى ثِقَّبْـــــن الوصـــــاوص للعيـــــون

والوصواص البرقع الصغير، وهو ثقب في الستر ونحوه على مقدار العين ينظر: العين للفراهيدي (٤/ ١٠٤) تحقيق: د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي. دار النشر: دار مكتبة الهلال.
وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (١/ ٢٧١) تحقيق: محمود محمد شاكر. دار النشر: دار المدني – جدة.
وأساس البلاغة للزمخشري (١/ ٧٣) دار النشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٢٧٦) باب: (رحل).
وتاج العروس للزبيدي (٢/ ٩٧) دار النشر: دار الهداية. تحقيق: مجموعة من المحققين.

وأمَّا الحليم: الذي لا يعجل بعقوبة الجاهل [1]. [وعن[2]] سعيد[3] بن المسيب ﵁ أن النبي ﷺ كان يدعو عمه أبا طالب إلى الإسلام، وقال له: لأستغْفِرن لك ما لم أُنْهَ [عنه[4]]، وكان يذكر حقوقه عليه بنصره له، فأنزل فأنزل الله عز وجل هاتين الآيتين[5].

وفيهما ما يدل على أن طلب المغفرة للمشركين كان لا يَحْرُم من جهة العقل لأن قوله عز وجل:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ يقتضي أنه لا ينبغي أن يختار ذلك لأن الحكمة تمنع من فعله، إلا أن الله عز وجل لما أنزل في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[6] نهى النبي ﷺ عن الاستغفار للمشركين[7].

وقد اختلف أهل العلم في: أنه هل يحرم طلب ما أخبر الله عز وجل أنه لا يفعله؟ قال بعضهم: يحرم لأنه يجري مجرى الخروج عن الرضا بما قضاه. وقال بعضهم: لا يحرم أن يسأل المؤمن ربه ما لو فعله لكان حسناً في الفعل. وإن أخبر أنه لا يفعله إذا كان للطالب في ذلك عرض على هذا

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٩٠) وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٢) والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٥٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٠ – ٧١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٤)، وقال السعدي رحمه الله في تفسيره (ص: ٣٥٣). (حليم) أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه فأبوه قال له: [لأرجمنك] وهو يقول له: (سلام عليك سأستغفر لك ربي).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، روى عن أبي بكر مرسلاً، وعن عمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، قال قتادة: ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام منه، سئل أحمد بن حنبل عنه، فقال: ومن مثل سعيد بن المسيب ثقة من أهل الخير، وقال: مرسلات سعيد بن المسيب صحاح لا يرى أصح من مرسلاته، مات سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو ابن خمس وسبعين سنة. راجع: تهذيب التهذيب (٤/ ٧٤) وتهذيب الكمال (١١/ ٧٠ – ٧١ – ٧٢) .

(٤) هكذا في الأصل، وفي نص الحديث (لأستغفرن لك ما لم أنه عنك).

(٥) سبق ذكر سبب نزول هذه الآية في (ص:٨١) وذكر أقوال العلماء في ذلك.

(٦) سورة النساء آية: ٤٨ وآية ١١٦.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٩٨ – ٣٩٩) بمعناه.

الوجه[١] عرض، وعلى هذا الوجه يسأل أهل النار الخروج منها بقولهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا ﴾ [٢].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٩٢ – ٤٩٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٠٢٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٥٨)، تفسير السعدي (ص: ٤٥٣) بمعناه.
(٢) سورة المؤمنون: ١٠٧.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ روي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: وذلك أن الله عز وجل لما أنزل الفرائض وعمل بها الناس، ثم أنزل بعد ذلك ما نسخها وقد مات ناس وهم يعملون بالأمر الأول مثل الصلاة إلى بيت المقدس وشرب الخمر ونحو ذلك، ومات بعض المؤمنين وهم على القبلة الأولى فذكر المؤمنون ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية[١].

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٤) بنحوه، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٧٤) مختصراً غير مسند، وذكره النحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٦٣) غير مسند، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٢) غير مسند، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان وعزاه لمقاتل والكلبي (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).
وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٠) وعزاه لأبي صالح عن ابن عباس والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠٥) غير مسند.
قلت: وسبب النزول هذا ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره كما عزاه إليه بعض المفسرين وتفسيره أحد مصادر الغزنوي رحمه الله، ومقاتل بن سليمان ضعيف، قال عنه الذهبي متروك، وقال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة.
وقال البخاري: مقاتل لا شيء البتة، وعن أبي حنيفة قال:مقاتل مُشبِّهٌ رُمي بالتجسيم ولذلك قال عنه الشافعي: مقاتل قاتله الله. راجع: التقريب (٢/ ٢١٠). وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١) والكاشف (٢/ ٢٩٠) والإسرائيليات والموضوعات لأبي شعبة (ص: ١٥٤)، الناشر: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
ومن المفسرين من عزا هذا السبب إلى الكلبي من طريق أبي صالح عن ابن عباس ورواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من أوهى الطريق عن ابن عباس في أسباب النزول، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي، ورواياته ضعيفة لضعف الكلبي.
والكلبي هو:محمد بن السائب الكلبي، النَّسَّابه المفسر، متهم بالكذب، ورُمي بالرفض، من السادسة، مات سنة ست وأربعين، قال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث لا يشتغل به، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقد مرض فقال لأصحابه: كل حديث حدثتكم عن أبي صالح كذب، فهو متهم بالكذب. =

ومعناها: وما كان الله تعالى ليضل عمل قوم وينزل قوماً منزلة الضلال بعد إذ هداهم للإيمان حتى يبين لهم ما يتقون من المعاصي[1]، ويقال حتى يتبين المنسوخ من الناسخ إن الله بكل شيء من الناسخ [٢٩١/ ب] والمنسوخ وكل ما فيه مصلحة الخلق عليم[2].

= ينظر: التقريب (٢/ ٧٨) والتهذيب (٩/ ١٥٨) والعجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٠٩)، دار النشر: دار ابن الجوزي – السعودية – ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م – الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالحكيم محمد الأنيس.

والتاريخ الكبير للبخاري (١/ ١٠١) وضعفاء العقيلي (٤/ ٧٦ – ٧٧ – ٧٨)، وكتاب الإسرائيليات والموضوعات لمحمد أبو شهبة (ص: ١٥٦) ولم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع سنداً لهذا السبب غير ما ذكر أنه من تفسير مقاتل بن سليمان ومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ولذلك فهو ضعيف لضعف مقاتل بن سليمان والكلبي والله أعلم.

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٢) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٢) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٥) وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ١٧٦) ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٢١٣).

(٢) هذا المعنى ذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٧٤) والثعلبي في الكشف والبيان عن مقاتل والكلبي (٣/ ٢٥٨)والبغوي في معالم التنزيل نقلاً عن مقاتل والكلبي أيضاً (٣/ ٧١) والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٧) أيضاً عن مقاتل والكلبي. وتفسير السعدي (ص:٣٥٤) بنحوه.

ويقال معنى الآية: ما كان الله سبحانه ليهلك قوماً بالعقاب والنار بعد أن كلفهم ونصب لهم الأدلة على ما فيه نجاتهم حتى يتبين لهم مع ذلك ما يتقون من الشرك والمعاصي[١]، وإذا لم يتقوها وآثروا اللذة العاجلة، واتبعوا الهوى، والاستغفار من [البِّر[٢]] ليس نافع لهم إذا أساءُوا إلى أنفسهم.

ويقال أن الغرض بهذه الآية: بيان أن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يستحقوا باستغفارهم للمشركين تسمية الضلالة، لأنه لم يكن قد بُيِّن لهم وجوب الامتناع عن الاستغفار للمشركين[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك (٢/ ٤٢٦) بنحوه مختصراً وتفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٤) بنحوه وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٢) بمعناه والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٢) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٥) وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٤٥٠) وفتح القدير للشوكاني (٢/ ٥١٢) والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٤٧ ـ ٤٨) وتفسير المراغي (١١/ ٣٨).

(٢) في (ب)القبر وهو تصحيف البِرِّ.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٦ ـ ٤٧) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٤٩٥)، كما ذكر هذا المعنى الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٥٧) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٠).

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ ﴾ وذلك أن الله عز وجل لما أمر المسلمين بقتال المشركين كافة وكان في المشركين ملوك لا يطمع المسلمون بهم لشوكتهم وعزهم، أخبر جل ذكره أنه مالك السموات والأرض يحيى من يشاء ويميت من يشاء[١].

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي ليس لكم من دونه ولي يواليكم ولا نصير ينصركم، وفيه بيان أن من تعرض لسخط الله عز وجل لم يجد من يمنعه من عذابه[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٨)، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٦٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٩)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٥٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٤٨).

قوله عز وجل: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ معناه: لقتجاوز الله عن تَو لّي النبي ﷺ إذنه للمنافقين بالتخلف[١]، كما قال عز وجل: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[٢]. ويقال: معنى تاب الله على النبي ﷺ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما ذكره الله عز وجل في سورة الفتح[٣].

وقوله عز وجل: أي تجاوز عن ذنوبهم ويقال: أراد الله بذلك قوماً تخلفوا عن رسول الله ﷺثم خرجوا فأدركُوه في الطريق[٤].

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٣) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧١) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١١) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠٧) والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٣)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٧٦) ، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٧)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥١٢) وغيرهم.

(٢) سورة التوبة: ٤٣.

(٣) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٣) (المرجع السابق)، وآية الفتح هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ ، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٠٠) وقد أشار إلى هذه المعاني الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٥/ ٥٠٢ ــ ٥٠٣).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٠٧) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٢) ونسبه البغوي إلى الكلبي.
والجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ١٦١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٤٥٠).

وقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ صفة مدح لأصحاب رسول الله ﷺ باتباعهم إياه في وقت الشدة في غزوة تبوك، وكانت بهم العسرة في أربعة: في النفقة والركوب والحر والخوف، وكانت الدابة الواحدة بين الجماعة يعتقبون عليها، وكانت التمرة تشق بالنصف فيأكلها اثنان كل واحد نصفها، وربما كانت جماعة يمصون تمرة واحدة يشربون عليها الماء، وربما كانوا ينحرون الإبل فيشربون من ماء كروشها في الحر[1].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٤).
وقد ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/ ٥٠ – ٥١) والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٩٨) بنحوه، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٦٣)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٣)مختصراً .
والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٥٨) من قول جابر والحسن رضي الله عنهما، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١١ – ٤١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١١)، ونسبه إلى الزجاج، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٠٧ – ٤٠٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١١)، ونسبه إلى مجاهد وقتادة والحسن، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٩).

وقوله عز وجل: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ أي من بعد ما كاد تميل قلوب طائفة منهم عن الخروج إلى الجهاد [١]، ويقال: من بعد ما كادوا يرجعون عن غزوتهم من الشدة[٢].

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/ ٧٥)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٣)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير ونسبه إلى ابن عباس (٣/ ٥١٢)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٤)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٥١)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥١٣).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٤)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٦٤)، والسمرقندي (المرجع السابق)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ونسبه إلى الحسن (٣/ ٩٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير ونسبه إلى الزجاج (٣/ ١١٩)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١١)، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٨)، وأبو حيان في البحر المحيط ونسبه للحسن (٥/ ١١١).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ ثم خَفف عنهم ما أغفلهم عن الحرب حتى كادوا يغفلون عن أنفسهم. وهذا كقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ ﴾... إلى أن قال: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ [1] أي خفف عنكم، وكقوله عز وجل: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [2] أي خفف عنكم[3]. وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ عبارة عن شدة رحمته بالمؤمنين.

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) البقرة: ١٨٧

(٣) لم أجد فيما بين يدي من المصادر من كتب المفسرين من فسر قوله تعالى: (تاب) بمعنى خَفَّف إلا المؤلف هنا رحمه الله. والظاهر أن هذا رأيه في تفسير هذه الآية. قلت وقد ذكر المفسرون آرائهم حول قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ فقالوا:

١- إما أن تكون التوبة هنا كررت تأكيداً وبهذا يكون الضمير في (عليهم) عائد على الأولين وهم المذكورين في أول الآية ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾.

٢- وإما أن تكون التوبة الثانية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ خاصة بالفريق الذين كادت تَزيغ قلوبهم وعلى هذا يكون الضمير في (عليهم) عائد على الفريق في قوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ لأنه لما ذكر أن فريقاً منهم كادت قلوبهم تزيغ نص على التوبة ثانياً رفعاً لتوهم أنهم مسكوت عنهم في التوبة.

وقد أورد هذه الآراء بعض المفسرين دون ترجيح بينها كالثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ١٠٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٢)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥١٣)، والألوسي في روح المعاني (١١/ ٤١)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٥٢) =

وقوله عز وجل: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ ومعناه: وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك [١]، ومُرَارة بن الربيع [٢]، وهلال بن أمية [٣]، الذين خلفوا عن قبول توبتهم، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها بامتناع الناس من مكالمتهم ومخاطبتهم [٤].

﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ أي قلوبهم حين كتب قيصر[٥] إلى كعب ابن مالك: بلغني أن صاحبك قد جفاك، فالحق بنا فإن لك عندي منزلة

= ومنهم من رجح القول الأول وهو أنها كررت توكيداً كالبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٢)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٤)، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٥٨).
ومنهم من رجح الرأي الثاني وهو أن التوبة للفريق الذين كادت تزيغ قلوبهم كالطبري في جامع البيان (١٢/ ٤٩ – ٥٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١١)، والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ١٦ – ١٦٢).

(١) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري، أبو عبدالله السَّلمي، شهد العقبة وبايع بها، وتخلف عن بدر وشهد أحداً وما بعدها، وتخلَّف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهم أجمعين.
طبقات خليفة (ص ١٠٢)، لخليفة خياط. حققه الأستاذ الدكتور سهيل زكار – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
والتاريخ الكبير (٧/ ٢١٩)، الإصابة (٨/ ٣٠٤).

(٢) هو مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي، من بني عمرو بن عوف، صحابي مشهور، شهد بدراً على الصحيح، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. الإصابة (٦٥/١٦).

(٣) هو هلال بن أمية بن عمر بن قيس الأنصاري الواقفي، شهد بدراً وما بعدها، الإصابة (٣/ ١٥٢).

(٤) راجع: تفسير الضَّحاك (١/ ٤٢٧)، وتفسير مقاتل (٢/ ٧٦)، وجامع البيان للطبري (١٢/ ٤٩ – ٥٠)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٥٩)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٠٢ – ١٠٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٣ – ٩٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٣).
=

= وفي معنى خُلِّفوا: قولان: (أحدهما:خُلِّفوا عن التوبة، قاله مجاهد والضحاك، ومقاتل فيكون المعنى: خلفوا عن توبة الله على أبي لبابه وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك.
ينظر: تفسير الضحاك (١/ ٤٢٧).
وتفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٦)، وجامع البيان للطبري (١٢/ ٤٤: ٦٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٤ – ٢٦٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٠).

وكرامة[1]، فقال كعب: (من خطيئتي أن طمع في كل رجل من أهل الكفر) [2].

والثاني خُلِّفُوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة، قال أبو حيان في البحر المحيط: (وقد رد تأويل قتادة كعب بن مالك بنفسه فقال بمعنى خُلِّفوا: تركوا عن قبول العذر. وحديثهم مندرج في توبة كعب بن مالك في حديثه الذي رواه البخاري ومسلم.

ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٥٠٤)، النكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤١٢).

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٢ – ٤١٣)، والجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ١٦٢)، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣١٠: ٤١٤).

قلت: والظاهر والله أعلم هو ما رجحه كعب بن مالك ﷺ في معنى هذه الآية، وهو: أن المراد خُلِّفوا أي أُخِّروا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه، وليس التخلف عن الغزو. كما ذكر ذلك الطبري وابن كثير وغيرهم من المفسرين. ويؤد ذلك رواية البخاري ومسلم وستأتي.

(٥) قلت: لعل هذا سهو من المؤلف رحمه الله فإنه لم يرد أنه قيصر الذي أرسلها، وإنما ملك غسان وكان اسمه (جَبَلَة بن الأيهم) والغساسنة كانوا عمالاً للقياصرة على عرب الشام وهذا الملك كان آخر ملوك غسان، وقيل أنه أسلم في خلافة عمر، ثم عاد إلى الروم وتنصر.

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٦٩)، تحقيق: علي شيري – دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ومغازي الواقدي (١/ ١٠٥١)، كما ذكره ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب: حديث كعب بن مالك.

(١) هذا جزء من حديث كعب بن مالك في البخاري (كتاب المغازي)، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ حديث رقم (٤١٥٦) (٤/ ١٦٠٣) بنحوه ولفظ البخاري: فَدفع إلي كتاباً من ملك غسان وفي صحيح مسلم: (كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه: حديث رقم (٥٣) (٤/ ٢١٢٠) بنحوه.

(٢) وقول المؤلف هنا: قال كعب: من خطيئتي أن طمع في كل رجل من أهل الكفر، فهي مما زاده ابن أبي شيبة في مصنفه كما أشار إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب: حديث كعب بن مالك. والمغازي للواقدي (١/ ٤٤١).

ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٥٦٠) ضبطه وعلق عليه: أ/ سعيد اللحام بإشراف مكتب الدراسات والبحوث دار الفكر – بيروت والظاهر- والله أعلم أن المعنى: ضاقت صدورهم بالهم والوحشة وبما لقوه من الصحابة من الجفوة، انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣١)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤١٩ – ٤٢٠) بتصرف.

قلت: وما ذكره المؤلف رحمه الله هنا ليس مقصوراً على كعب بن مالك وحده والآية عامة فيهم جميعاً وما حصل لكعب داخل في سبب الهم والوحشة.

وقوله عز وجل: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ أي علموا وأيقنوا أن لا مفر من عذاب الله إلا إليه بالتوبة[1]،ويقال معنى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثم قبل توبتهم، وقوله عز وجل:﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي ليرجعوا عن مثل صنيعهم، ويقال ليتوب الناس من بعدهم[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتجاوز عن ذنوب المؤمنين، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده التائبين، [٢٩٢/ أ] وذهب قتادة رحمه الله إلى أن هؤلاء الثلاثة كان إسلامهم صحيحاً، فلما رجع النبي ﷺ [من الغزو ولم يعتذروا كما اعتذر المنافقون ولكن قالوا للنبي ﷺ][3](إنَّا تخلفنا من غير عذر) فقال لهم النبي ﷺ حين أظهروا التوبة والندم: (إنكم صدقتم عن أنفسكم فامضوا حتى أنظر

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٦)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣١)، والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٥)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٢٠)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٦٤)، وروح المعاني للألوسي (١١/ ٤٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٥٣)، حيث قال: والظن مستعمل في اليقين والجزم، وهو من معانيه الحقيقية، قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة:)٤٦ وإطلاق الظن في كلام العرب على معنى اليقين كثير جداً (١/ ٢٧٧) ويأتي بمعنى الشك، فهو من الأضداد، قال أبو عبيدة:الظن يقينٌ وشك. =

= لاستعمالات الظن، راجع: تهذيب اللغة للأزهري (باب: الظن) (٥/ ٣٧)، ولسان العرب لابن منظور (باب: ظن) (١٣/ ٢٧٢).
وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ٣٨٠) ومعه كتاب منحة الجليل تحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبدالحميد – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م مراجعة: د/ محمد أسعد النادري – الناشر: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – وتاج العروس للزبيدي (فصل الظاء) (١/ ٨١٠٢).
(٢)ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٥)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٣)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ١٧٨)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١١٣)، والدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٦).
(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).

ماذا يُنزل الله عز وجل فيكم) فأنزل الله عز وجل في أمرهم التشديد عليهم[١].

وقيل: إن نهي النبي ﷺ عن مكالمتهم لم يكن على معنى ردِّ توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة، ولا يجوز أن يكون في الحكمة إذا فعل العبد ما هو المأمور به لم يقبل منه ذلك، ولكنه أراد تشديد المحنة عليهم، واستصلاح غيرهم [من المسلمين، لئلا يعودوا إلى مثل فعلهم، وهذا كما يقول في إقامة الحد على المسلم بعد ما تاب كان ذلك] [٢]محنة وتَعَبُّد، وأمَّا المنافقون فلم يكن فيهم موضع استصلاح، فلذلك أمر الله عز وجل بالإعراض عنهم[٣].

وفي قوله عز وجل: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ أي أن العبد إذا انقطع إلى الله سبحانه وقطع العلائق وعلم أنه لا كاشف للهم غيره لابد أن الله عز وجل سيجعل له مخرجاً من ذلك، ولا يخليه من إحدى الحسنيين: من فرج عاجل أو سكون قلب إلى فضل الله عز وجل وثوابه الذي هو خير له من الدنيا وما فيها[٤].

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٠) وأخرجه ابن أبي حاتم بمعناه (٦/ ١٩٠١) وكذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١٣ – ٤١٤).
قلت: وكلام المؤلف رحمه الله مستخلص من كلام الجصاص رحمه الله، ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه كلها بتصرف منه.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).

(٣) هذا القول ذكره الجصاص في أحكام القرآن (١/ ٢٣٠ – ٢٣١) بنصه مع تصرف يسير من المصنف رحمه الله.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٣١ – ٣٣٢) بتصرف يسير من المؤلف رحمه الله.

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾ معناه: يا أيها الذين آمنوا اخشوا الله ولا تعصوه وكونوا مع النبي ﷺ ومع الذين صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وأعمالهم في الشدة والرخاء(١).

قوله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) ﴾ معناه ما جاز لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في الحرب،

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٦)، وجامع البيان للطبري (١٢/ ٦٧)، بمعناه، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٦ – ٩٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٦٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ١٠٥)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ١٧٨)، ومدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٢١٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٤)، وروح المعاني للألوسي (١١/ ٤٥).

وهذا نهي وردٌ بلفظ النفي لتقبيح ذلك الفعل[١]، كقوله عز وجل:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٢].

وقوله عز وجل:﴿ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ أي لا ينبغي أن يكونوا بأنفسهم أبرَّ [و[٣]] أشفق من نفس محمد ﷺ، بل يجب عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ لما وجب له عليهم من الحقوق بدعائه لهم إلى الحق حتى اهتدوا به ونجوا عن النار[٤]، والرغبة في الشيء طلب المنفعة بعمله، والرغبة عن الشيء طلب المنفعة بتركه[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٧١) بمعناه، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٧) بمعناه، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٢ – ٢٣٣) بمعناه، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٦) قال: ظاهره خبر ومعناه نهي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٢٦)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٦٥)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥١٤ – ٥١٥).

(٢) سورة التوبة: ١١٣.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٧)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٢ – ٢٣٣).
وينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ١٠٥ – ١٠٦) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٢٤)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٦٥).

(٥) ينظر: الصحاح في اللغة – باب: رغب (١/ ٢٦٠)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار – الطبعة: الرابعة – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٦٩)، وروح المعاني للألوسي (١١/ ٤٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٥٦).

وقوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾ أي ذلك الزجر لهم عن التخلف عن الجهاد بأنهم لا يصيبهم ظمأ أي شدة عطش، ولا تعب في أبدانهم، ولا شدة مجاعة في طاعة الله تعالى، ولا يتجاوزون مكاناً تظهرون عليه، من سهل أو جبل يغيظ الكفار مجاوزتهم ذلك المكان فإن ذلك الإنسان يغيظه أن يطأ أرض غيره.

﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ أي لا يصيبون منهم من قتل أو هزيمة إلا كتب لهم بكل واحد من هذه الأشياء ثواب عمل صالح يستحقونه في الآخرة، إن الله لا يبطل ثواب من أحسن عملاً من جهاد أو غيره، ولا ينفقون في الجهاد نفقةً صغُرَت أو كَبُرتْ، ولا يقطعون وادياً من الأودية في طلب الكفار ومَعُونة الإسلام إلا كُتب لهم، وذلك ليجزيهم الله عز وجل بأحسن من أعمالهم التي كانوا يعملون في الدنيا[1].

---

(١) قد ذكر هذه المعاني كثير من المفسرين منهم: مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/ ٧٧)، والطبري في جامع البيان (١٢/ ٧١)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٥)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٦٨)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٣ – ٢٦٤)، والزمخشري في الكشاف (٣/ ١٠٦ – ١٠٧)، والرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٦٩)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٤ – ٤٢٥)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٥)، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٦٥). وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٥)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١٤)، وغيرهم من المفسرين.

ويُقَال إنما قال ﴿ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ ﴾ لأن في أعمالهم المباحات التي لا جزاء فيها،فبين عز وجل أنه إنما يجزيهم بما يكون عبادة [و[1]] طاعة[2]. وفي الآية دلالة أن وطء أرض الكفار بمنزلة النيل منهم، وأخذ أموالهم، وإخراجهم من ديارهم، لما في ذلك كله من الغلبة لهم، وإنزال المذلة بهم، ولذلك قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه:ما(غُزِيَ قوم في عُقْر ديارهم إلا ذلّوا) [3].

[قال الأصمعي[4]: عقر الدار: داخلها وهو محلة القوم، وأهل المدينة يقولون عُقر الدار بالضم، والله أعلم] [5].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾.

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٧٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١١٥)، وروح المعاني للألوسي (١١/ ٤٧).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٣) بتصرف يسير من المصنف رحمه الله. وقول علي رضي الله عنه ذكره الدينوري في كتابه: الأخبار الطوال (ص: ٢١١) ترجمة وتحقيق: محمد الحاج علي – الطبعة: الأولى ٢٠٠١م، الناشر: دار الكتب العلمية.
وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٢٩) باب العين مع القاف، والباجي في المنتقى شرح الموطأ: كتاب الجهاد: باب: الترغيب في الجهاد.

(٤) والأصمعي: هو الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع بن مظهر الأصمعي البصري، اللغوي الإخباري، أحد الأعلام، يقال: اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب. وقد أثنى أحمد بن حنبل على الأصمعي في السنة، وعن ابن معين قال: كان الأصمعي من أعلم الناس في فنه. مات سنة خمس عشرة ومائتين. وقيل سنة ست عشرة ويقال: عاش ثمان وثمانين سنة رحمه الله.
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٧: ١٨١).

(٥) وقول الأصمعي أثبته من هامش الأصل لأنه بخط الأصل ومشار له في المتن. وهو موجود في كتب اللغة: باب: (عقر)
=

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآيات المتقدمة وما فيها من عيوب المنافقين وبيان نفاقهم، قال المؤمنون: (والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺولا سرية أبداً) فلما أمر رسول الله ﷺ بعد ذلك بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأنزل الله عز وجل في ذلك الآية[1].

= ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤/ ٥٩١ ــ ٥٩٢)، باب: (عقر)، وتهذيب اللغة للأزهري (١/ ١٤٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥٢٩/٣)، وتاج العروس للزبيدي (ع – ق – ر) (١/ ٩٩).

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/ ٧٧) غير مسند.
والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٤ ــ ٢٦٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس بلفظه، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٥) عن الكلبي مختصراً، والواحدي في أسباب النزول (١/ ٢١٥) بلفظه من رواية الكلبي عن ابن عباس، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧٧) بلفظه مختصراً عن الكلبي عن ابن عباس، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٦) بلفظه وقال إنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، ورواية الكلبي عن أبي صالح من أوهى الطرق عن ابن عباس في أسباب النزول كما سبق ذكره (ص: ٣٢).

ومعناها أنه ليس للمؤمنين أن ينفروا كافة ويتخلفوا عن رسول الله ﷺ وحده ليس عنده أحد من المسلمين يتعلم منه الحلال والحرام والشرائع والأحكام،﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ أي فهلا خرج من كل جماعة طائفة إلى الجهاد، وتبقى طائفة منهم مع النبي ﷺ ليسمع الذين تخلفوا عند النبي ﷺ الوحي، وإذا رجعت السرايا علموهم ما علموا فيستووا في العلم ومعرفة الناسخ والمنسوخ[1].

وقوله عز وجل: أي لينذر الذين تخلفوا عند رسول الله ﷺ قومهم الذين نفروا إذا رجعوا إليهم من غزاتهم، وتخبرونهم بما نزل بعدهم من القرآن لكي يحذروا كلهم ولا يعملون شيئاً يخالف ما أنزل الله عز وجل[2].

وفي الآية دلالة على وجوب طلب العلم وأنه مع ذلك فرض على الكفاية[3]، وذلك أنه كما تجب حراسة الدين بالجهاد ليقوى الإسلام ويضعف الشرك، وكذلك أنه يجب حراسة الدين بالتفقه، كما تكون الطائفة المجاهدة نائبه عن المقيمين والطائفة المقيمة في التفقه تكون نائبة عن

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٧ – ٧٨) بمعناه.
معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٥) بمعناه.
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٩٨).
وأحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٣).

(٢) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٧)، وجامع البيان للطبري (١٢/ ٧٧ – ٧٨) عن قتادة، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٠)، كما ذكر هذا المعنى السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٩٨)، والجصاص في أحكام القرآن (٣/ ٢٣٣) عن ابن عباس، والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٥)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٤١٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٧) قال وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، والرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٢٨) بمعناه، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٨٠) بمعناه، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٦٨) عن ابن عباس، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٦ – ١١٧) عن ابن عباس أيضاً، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٢ – ٢٢٣) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس.

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٣٤).
وينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٠٣١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٢٨ – ٤٢٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/ ٥٩).

المجاهدين، وإذا رجع المجاهدون عرفوا من جهة المتفقهة ما يعلمون فيكون الاحتياط في الدين مشتركاً[1].

---

(١) أشار إلى هذا المعنى مختصراً: أبي حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٦)، والقرطبي في تفسيره (المرجع السابق)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٥٩).

وأمَّا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [1] فهو على أحد معنيين:

يجوز أن يكون المراد به : طلب العلم فيما يبتلى به الإنسان من آمر دينه في نفسه، مثل: حدود الصلاة وفروضها، ووجوب الصوم، ويعلم ما يجب به الزكاة والحج ، فإن ذلك يجب على كل مسلم في نفسه في كل ما يكون من فروض الأعيان ويجوز أن يكون معنى الخبر أن يُطلب العلم فيما

---

(١) أورد هذا الأثر كثير من المفسرين وقد تباينت الأقوال وتناقضت الآراء في تضعيف هذا الحديث وتصحيحه، قال ابن الجوزي رحمه الله بعد أن أورد طرقه عن الصحابة والتي بلغت خمس وعشرون طريقاً وذكر عللها: هذه الأحاديث كلها لا تثبت، وأورده أيضاً في كتابة الموضوعات، قال العراقي رحمه الله: قد صحح بعض الأئمة بعض طرقه، كما بينته في تخريج الإحياء، وقال المزي: إن طرقه تبلغ رتبة الحسن، وقال البيهقي: متنه مشهور وإسناده ضعيف وقد روي من أوجه كلها ضعيفة، وقال الألباني رحمه الله: صحيح أخرجه ابن ماجة واللفظ له وروي عن جماعة من الصحابة منهم: أنس بن مالك وعبدالله بن عمرو وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن مسعود وعلي، وقال عنه في تحقيق مشكاة المصابيح (حسن) وقال الإمام أحمد لم يثبت عندنا في هذا الباب شيء، وكذا قال ابن راهويه، وقال أبو علي النيسابوري إنه لم يصح عن النبي ﷺ فيه إسناد، ومثل به الحاكم للمشهور ليس بصحيح، وقد أطنب الكلام فيه وأجاد السخاوي في المقاصد، وكذلك السيوطي، وغيرهم من العلماء.
ينظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (١/ ٦٤: ٧٥)، تحقيق: أ/ إرشاد الحق الأثري – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.والموضوعات له أيضاً : (١/ ٢١٥ – ٢١٦) (كتاب العلم – باب العلم) ضبط وتقديم وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى – ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. دار الكتب العلمية - بيروت.
تخريج أحاديث الإحياء للعراقي (١/ ٢) برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
والمقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ١٢١) الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عثمان الخشت – دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي، حرف الطاء (١/ ١٤)، تحقيق: محمود الأرناؤوط ومحمد قهوجي سنة الطبع: ١٩٨٩م. كلية دار العروبة للنشر والتوزيع – القاهرة.
ونظم المتناثر للكتاني(١/ ٣٥) تحقيق: شرف حجازي – دار النشر: دار الكتب السلفية – مصر.
مشكاة المصابيح للتبريزي (١/ ٤٧) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م – المكتب الإسلامي – بيروت.
=

يبتلى هو به وفيما يبتلى به غيره، فرض على كل مسلم إلا أنه على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين"[1].

= صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/ ١٧) الطبعة الخامسة. الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

وتخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام للألباني (٤٨/١) الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢٣٤/٣) بتصرف من المصنف رحمه الله./ كما أشار إلى هذا المعنى البغوي في معالم التنزيل (٧٨/٣)، وابن العربي في أحكام القرآن (١٠٣١/٢) بمعناه.

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٣٠-٤٣١).

وذهب الحسن رحمه الله في معنى هذه الآية: أن المراد من قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ التوبة (١٢٢) النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتفقه الطائفة النافرة ثم تنذر إذا رجعت إلى قومها الطائفة المتخلفة، وقيل إن هذا أقرب إلى ظاهر الآية، لأن ظاهرها يقتضي أن يكون نفر كل طائفة من كل ناحية إلى النبي صلى الله عليه وسلم لسمعوا كلامه، ويتعلموا منه ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم.[١]

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/٨٢-٨٣-٨٤) وهو الذي رجحه رحمه الله في تفسير هذه الآية فقال: وأما قوله تعالى: (﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. فإن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: لتتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه... إلى أن قال: ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله الذي نزل بمن شاهدوا . قال : وهو قول الحسن الذي رويناه عنه انتهى كلامه رحمه الله.
وذكره والجصاص في أحكام القرآن (٣/٢٣٣-٢٣٤)ورجحه أيضاً .
والثعلبي في الكشف والبيان (٣/٢٦٥).
والماوردي في النكث والعيون (٢/٤١٥).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٩٧).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٥١٧).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٣٠) وقال : الضميرفي "ليتفقهوا" ولينذروا " للمقيمين مع النبي صلى الله عليه وسلم، قاله قتادة ومجاهد.
وقال الحسن: هما للفرقة النافرة، واختاره الطبري.
والخازن في لباب التأويل (٣/١٦٨).
وأبو حيان في البحر المحيط (٥/١١٦) وقال : وهذا هو الظاهر.
والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/١٤٠)ورجحه أيضاً .

وقد رُويَ في بعض الروايات أن حياً من بني أسد[1] اقتحمتهم سنة وأصابتهم شدة فأقبلوا بالذراري والصبية حتى أتو المدينة فسدوا طرقها بالعذِرَات [2]وأغلوا أسعارها فأنزل الله عز وجل هذه الآية [3].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ معناه:

---

(١) ديار بني أسد :كانت الضفة اليسرى لوادي الرمة، آخذة شمالاً إلى جنوب حائل، وهي قبيلة عربية قديمة، عظيمة وكبيرة، ترجع سبب تسميتهم هذه إلى جدهم الأعلى وهو : أسد بن خزيمة بن مردكه بن حضر بن عدنان، كانت مساكنهم في نجد، وخاصة حائل والقصيم الحاليتين وكان بنو أسد بدواً صُرفاً ، إلا أن بيتاً منهم يقال لهم بنو غنم كانوا قد سكنوا مكة ظهور الإسلام محالفين لبني عبد مناف من قريش، وكان منهم بعض الصحابة أشهرهم : عكاشة بن محصن.
البداية والنهاية لابن كثير (٢٠٩/٥).
ومعجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة، الطبعة : الثانية : ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.
المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (٤٢٤/١) المؤلف: عاتق غيث البلادي، الطبعة : الأولى -١٤٠٢هـ الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع ومكة المكرمة – ساحة إسلام.
وكذلك من موقع : دائرة المعارف الإسلامية –وموقع : الموسوعة العربية.

(٢)العَذِرة: التبذا: أعذر الرجل إذا بدأ وأحدث من الغائط، وأصل العذر فناء الدار ثم كنوا عنها باسم الفناء كما كني بالغائط، وإنما أصل الغائط: المطمئن من الأرض، ومنه قول علي رضي الله عنه (مالكم لا تنظفون عذراتكم، أي أفنيتكم ، قال الأصمعي العذرة: فناء الدار وإياها أراد. راجع: العين للفراهيدي (١٠٥/١).
تهذيب اللغة : باب عذر (٢٦٠/١) ، وتاج العروس: باب: عذر (٣١٦٧/١).

(٣) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٧٩/١٢) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذه من جيد الطرق عن ابن عباس، وإن كان علي بن أبي طلحة يرسل عن ابن عباس ولم يسمع منه وبينهما مجاهد، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو داود: هو إن شاء الله مستقيم في الحديث. وقال النسائي ليس به يأس. روى له مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة.
راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٨٨/٦) والثقات لابن حبان (٢١١/٧) ومشاهير علماء الأمصار له أيضاً (٢٨٩/١) وتقريب التهذيب لابن حجر (٦٩٧/١) وتهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٤٩١).
ميزان الاعتدال للذهبي (١٣٤/٣).
والإسرائيليات والموضوعات لمحمد أبو شهبة (ص: ١٤٨).
=

وإذا ما أنزلت سورة من القرآن على رسول الله ﷺ فمن المنافقين من يقول: أيكم زادته هذه السورة إيماناً . كان [يقول[1]] بعضهم لبعض على جهة الهزو[2]، يقال: كانوا يقولون للمستضعفين من المسلمين: أيكم زادته هذه [٢٩٣/ أ] السورة يقيناً وبصيرة؟[3]

= كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩١١) بنحوه عن أسباط عن السدي وهذا السند متكلم فيه لأجل أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه سقط مقلوبة الأسانيد. راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٣٣/٢) وتهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ١٨٥٨) وتقريب التهذيب له أيضاً (٧٦/١) وتهذيب الكمال للمزي (٢/ ٣٥٧)، وميزان الاعتدال للذهبي (١٧٥/١).
كما أورده السمرقندي في بحر العلوم (٩٨/٢) غير مسند وابن عطية في المحرر الوجيز (٩٦/٣) غير مسند وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١) غير مسند.
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤١٥ – ٤١٦) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أيضاً .
والثعالبي في الجواهر الحسان (١٦٥/٢) غير مسند.
والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٣/٤) بنحوه وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(١) ساقطة من (ب).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨) وينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٥١٣) وبحر العلوم للسمرقندي (٩٩/٢) والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٦) ونسبه للحسن.
والكشاف للزمخشري (٣/ ١٠٩) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥١٧)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٦٩ – ١٧٠)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٧)، والجواهر الحسان للثعالبي (١٦٦/٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٤٥٦)،وروح المعاني للألوسي (١١/ ٥٠).
قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٧).
وقد بسط الإمام ابن حجر رحمه الله الكلام في هذه المسألة في أول كتابه: فتح الباري شرح صحيح البخاري: كتاب الإيمان – باب قول النبيﷺ "بني الإسلام على خمس، فقال: =

= والكلام هنا في مقامين: أحدهما:كونه قولاً وعملاً والثاني كونه يزيد وينقص. قال: وأمَّا المقام الثاني: فذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين وقالوا متى قبل ذلك كان شكاً، قال الشيخ محيي الدين: والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة، ولهذا كان إيمان الصديق أقوى من إيمان غيره بحيث لا يعتريه الشبهة ثم قال: وما نقل عن السلف صرح به عبدالرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعمر وغيرهم، وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم، وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في "كتاب السنة، عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة، وروى

يقول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهم المخلصون من أصحاب رسول الله ﷺفزادتهم تصديقاً مع تصديقهم،﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ أي يفرحون بكل ما ينزل من القرآن[1]، والاستبشار: طلب السرور بما يُرجى من المنفعة[2].

وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ معناه: فأمَّا الذين في قلوبهم شك ونفاق فزادتهم السورة شكاً إلى شكهم، وكفراً إلى كفرهم، لأنهم كلما كفروا بسورة ازدادوا كفراً، والمؤمنون كلما صدَّقوا بسورة ازدادوا تصديقاً [3].

بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.
وأطنب بن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين وحكاه فضل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة، وقال الحاكم في مناقب الشافعي: حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ثم تلا ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ ﴾ الآية، ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة. انتهى كلامه رحمه الله. فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٦١ – ٦٢).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٤١٦/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٧٠/٣).

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٩٩/٢) والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٦٦) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٨)، ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٧٠).

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدي (١/ ١٨٤ – ١٨٥).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨)، وجامع البيان للطبري (١٢/ ٩٠).
ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٧٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٨).
والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٦٦).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٧٩) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٣٦).
ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٧٠).
والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١١٩).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤١٧).

وقوله عز وجل: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾أي أداهم شكهم في ما أنزل الله عز وجل من السور، إلى أن ماتوا على الكفر، وإنما سمى الله عز وجل النفاق مرضاً؛ لأن الحيرة في القلب مرض القلب، كما أن الوجع في البدن [مرض[1]] البدن، إلا أن مرض القلب أصعب، وعلاجه أعسر ودواؤه أعز، وأطباؤه أقل[2].

---

(١) في (ب) (عرض) وهو تصحيف لكلمة (مرض) كما يقتضيه السياق.

(٢) هذا المعنى ذكره: ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٩٨ – ٩٩) بنحوه.
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧٠).
وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٩).

وأمَّا إضافة الكفر إلى السورة في قوله سبحانه: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ والمعنى في ذلك: أنهم ازدادوا عند نزول السورة الكفر بالسورة، لأن السورة زادتهم الكفر(١). وهو كما قال الشاعر:

أرى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داءًا أن تصح وتسلما(٢)

[الشاهد في قوله: (رابني) أي ارتبت عنده] (٣).

قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾؛ معناه أولا يرى المنافقون أنهم يختبرون بالدعاء إلى الجهاد في كل عام مرة أو مرتين(٤)،

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٨).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٩٨ – ٩٩).
ومفاتيح الغيب للرازي (٦/ ١٧٤ – ١٧٥).
ولباب التأويل للخازن (٣/ ١٧٠).
والجواهر الحسان للثعالبي (٢/ ١٦٦ – ١٦٧).

(٢) هذا البيت من شعر حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري أبو المثنى شاعر مخضرم مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حنيناً مع المشركين وأسلم ووفد على النبي ﷺ، ومات في خلافة عثمان، وقيل أدرك زمن عبدالملك بن مروان، وعده الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين، وله ديوان شعر جمعه عبدالعزيز اليمني مما بقي من شعره، ومن شعره البيت المشهور:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقضان هاجع

وله أبيات مشهورة في قتلة عثمان بن عفان ﷺ.
ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٨٣) الطبعة الخامسة ١٩٨٠م – دار العلم بيروت – لبنان – والوافي بالوفيات للصفدي (١٣/ ١١٨) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى – دار النشر: دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. والعقد الفريد (٢/ ٣٥٣)، الطبعة: الثالثة – دار النشر، دار إحياء التراث العربي – بيروت/ لبنان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، والشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٧٩) تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة: الثانية، الناشر: دار المعارف.
ولباب الآداب للثعالبي (١/ ٤٢) الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان. سنة النشر: ٢٠٠١م.

(٣) أدرجت من الهامش لأنه مشار لها في المتن وهي بخط الأصل.
ينظر: لسان العرب لابن منظور (١/ ٤٤١) (باب: ريب) وتاج العروس (١/ ٥٤٩) "باب ريب".

مرتين[1]، ويقال:يُهْلَكُون بهتك أستارهم بما يظهر الله عز وجل من سوء نياتهم وخُبث سرائرهم[2].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/ ٩١) عن قتادة.
وكذلك ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سعيد بن بشير عن قتادة أيضاً (٦/ ١٩١٦) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٦) وذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٥/٥١٥) وعزاه النحاس في معاني القرآن إلى الحسن (٣/ ٢٦٩)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن قتادة (٣/ ٢٦٧)، والماوردي في النكت والعيون عن قتادة أيضاً (٢/٤١٧)، والبغوي في معالم التنزيل عن قتادة أيضاً (٣/ ٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير عن قتادة والحسن (٣/٥١٩)، والرازي في مفاتيح الغيب عن قتادة (٦/١٧٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن قتادة والحسن أيضاً (١٠/٤٣٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم عن قتادة (٢/ ٤١٧)، والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة (٤/ ٣٢٥).

(٢) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/١٠٠)، والثعلبي في الكشف عن مقاتل بن حيان (٣/٢٦٧)، والماوردي في النكت والعيون وقال حكاه علي بن عيسى (٢/ ٤١٧)، والبغوي في معالم التنزيل عن مقاتل بن حيان أيضاً (٣/٢٦٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٩٩) وهو ما رجحه رحمه الله على باقي الأقوال.
وابن الجوزي في زاد المسير عن مقاتل بن حيان (٣/ ٥١٩)، والرازي في مفاتيح الغيب عن مقاتل (٦/١٧٦)، وأبو حيان في البحر المحيط عن مقاتل (٥/ ١١٩).

ويقال: كانوا ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين فيعاقبون ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا يتذكرون بما صنع الله عز وجل بهم بنقضهم العهد[١]. ويقال: كانت تصيبهم الأمراض والأسقام وكانوا يعاهدون الله عز وجل لو أزال عنا لفعلنا كذا وكذا، ثم كانوا يعودون بعد زوالها إلى المعاصي ولا يذكرون نعمة الله عز وجل عليهم[٢].

ومن قرأ[٣](أولا ترون) بالتاء فالخطاب للنبي ﷺ [والمؤمنين[٤]] وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ معناه؛ وإذا ما أنزلت سورة فيها عيب المنافقين فخاطبهم النبي ﷺ وعرض لهم في خطبتهم نظر بعض المنافقين إلى بعض هل يراكم من أحد من المخلصين إذا هو قام فخرج من المسجد.

فإن كان لا يراه أحد إذا خرج من المسجد، خرج وانصرف وإن علموا أن أحداً يراهم قاموا وثبتوا مكانهم حتى يَفْرغ النبي ﷺ من

---

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم عن الكلبي (٢/ ١٠٠)، والثعلبي في الكشف والبيان عن عكرمة (٣/ ٢٦٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٧٩) عن، حذيفة بن اليمان)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥١٩) عن يمان، والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧٠).

(٢) تفسير مجاهد (١/ ٢٨٩) تحقيق: عبدالرحمن الطاهر السوري الناشر: المنشورات العلمية - بيروت.

وقد ذكره السمرقندي في بحر العلوم غير منسوب (٢/ ١٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير عن عطية (٣/ ٥١٩)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢/ ٢١٧) بمعناه والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧٠) بمعناه.

(٣) قرأ حمزة ويعقوب بالخطاب للمؤمنين على جهة التعجب، ووافقهما الأعمش، والباقون بالغيب جرياً على نسق ما قبله من الأخبار عن المنافقين في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [آية: ١٢٥].

ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٨١).

والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب (٢/ ٨٨).

والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: ١٧٨).

واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي (٢/ ٢٠).

والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (٢/ ٢٢٢).

والمنح الإلهية في جمع القراءات السبع من طريق الشاطبية للدكتور/ خالد بن محمد الحافظ (٣/ ٣٥٤).

(٤) في (ب) (والمؤمنون) وهو خطأ في الإعراب والصحيح كما في الأصل (أ) والمؤمنين لأنه معطوف على المجرور فهو مجرور وليس مرفوع .

خطبته[١]. وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا ۚ ﴾ أي انصرفوا عن الإيمان والعمل بشيء مما يسمعون. ويقال: انصرفوا عن المكان الذي يسمعوا فيه[٢].

(١) هذا المعنى ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٠٠/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٦٧) والواحدي في تفسيره الوجيز (١/ ٤٨٧)، الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ. تحقيق: صفوان عدنان داوودي – دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٨٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (٣/ ١٨١) والألوسي في روح المعاني (١١/ ٥١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٩).
وقد ذكر هذا المعنيين: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧) والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٦٩)، والسمرقندي (المرجع السابق – والسمعاني (٢/ ٣٦٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٨٠).
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧٠ – ١٧١).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٢٠).
والألوسي (المرجع السابق).

وقوله عز وجل: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾؛ أي صرف قلوبهم عن اللطف الذي يجزيه للمؤمنين. وقوله عز وجل: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي ذلك الصرف بأنهم قوم لا يفقهون ما يريد الله عز وجل بخطابه(١). والفقه(٢) هو: معرفة المعاني المضمنة في الكلام، ومنه سمى الله عز وجل: العلماء فقهاء؛ لأنهم استنبطوا المعاني المضمنة بكلام الله عز وجل للبناء عليها.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ قيل إن هذا خطاب لأهل مكة، [المعنى(٣)]: لقد جاءكم رسول من أنفسكم من

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٠٠).
الوجيز للواحدي (١/ ٤٨٧).
معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٨٠).

(٢) الفقه لغة: العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة وغلب على علم الدين لشرفه يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين، أي فهماً فيه،والعالم بعلم الشريعة فقيهاً . ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٧٨] وفي اصطلاح أهل الأصول: (العلم بالأحكام الشرعية الفرعية، المكتسبة من أدلتها التفصيلية.
ينظر: القاموس المحيط للفيروزبادي (١/ ١٦١٤) دار النشر: مؤسسة الرسالة بيروت.
ولسان العرب (١٢/ ٤١٧).
وتاج العروس للزبيدي (٣٦/ ٤٥٧) باب: فقه.
ومختار الصحاح لزين الدين الرازي (١/ ٢١٣) ط/ طبعة جديدة. تحقيق: محمود خاطر النشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
والقاموس الفقهي (١/ ٢٨٩) للدكتور/ سعدي أبو حبيب – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م – دار الفكر – دمشق – سورية.
الفقه الإسلامي وأدلته (ج/ ١٥) للدكتور/ وهبه الزحيلي – الطبعة الثانية – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م – دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق.

(٣) ساقطة من (ب).

أهل نسبكم ولسانكم يجمعكم وإياه، أو قريب شريف النسب تعرفونه وتفهمون كلامه[1].

وإنما قال ذلك والله أعلم لأنه أقرب إلى الألفة. وقيل: إن هذا خطاب لجميع الناس، معناه: جاءكم آدمي مثلكم وهذا أوكد للحجة عليكم لأنكم تفهمون عن من هو من جنسكم[2]. وقُرِئ[3] في الشواذ (أَنْفَسِكم) بنصب الفاء، أي من أشرفكم وأعزكم.

وقوله عز وجل: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ معناه: شديد عليه إثمكم وعنتكم[4]. والعزة[5]: امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه، والعَنت[6]: الضيق والمشقة، وقوله عز وجل: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٥١٦ – ٥١٧).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٠٠).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٨٠).
والبحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٢٠ – ١٢١).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٥/٥١٦)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٧٠ – ٢٧١)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/١٠٠ – ١٠١).
وابن عطية في المحرر الوجيز وعزاه إلى الزجاج (٣/ ١٠٠) ورجح القول الأول.
وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٣٠).
والرازي في مفاتيح الغيب (٦/ ١٧٨).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٤٠).
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧١) وقد رجح هذا القول.
وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢٠) والألوسي في روح المعاني (١١/ ٥٢)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٥١٩) وعزاه إلى الزجاج.

(٣) ذكرها ابن جني في المحتسب (١/ ٣٠٦) وعزاها إلى عبدالله بن قسيط المكي.
ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٢١) وقد عزاها أبو حيان إلى ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومحبوب عن أبي عمرو وعبدالله بن قسيط المكي، ويعقوب من بعض طرقه.
واتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢/ ٢٠) وقد عزاها إلى ابن محيصن.
وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٧).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٧١).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٠١) والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٦٨)، وقد ذكر نحو هذه المعاني الواحدي في الوجيز (١/ ٤٨٨) والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٨٠).
والخازن في لباب التأويل (٣/ ١٧١).

(٥) ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٨) باب (زَرَ).
ونص كلام المؤلف موجود في نظم الدرر للبقاعي (٣/ ٤٠٧) حيث قال: (والعزة امتناع الشيء فيما يتعذر معه ما يحاول منه بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة) تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي – دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٦) قال النحاس في معاني القرآن: (٣/ ٢٧١) وأصل العنت الهلاك فقيل لما يؤدي إلى الهلاك عنت – لمعاني العنت راجع: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٦١) باب: (عنت).
تهذيب اللغة للأزهري (١/ ١٦٢) باب: (عنت).

معناه: حريص على إيمانكم أن تؤمنوا فتنجوا من العذاب وتفوزوا [٢٩٣/ ب] بالجنة والثواب[1] والحرص[2]: شدة الطلب للشيء مع الاجتهاد فيه.

وتاج العروس للزبيدي (٥/ ١٣ – ١٤) باب: (عنت).
ومختار الصحاح لزين الدين الرازي (١/ ١٩١).
وقد ذكر هذا المعنى الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٧).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ١٠٠) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٤٤٠ – ٤٤١) والثعالبي في الجواهر الحسان (٢/ ١٦٧).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٧٧) ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٧١) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥/ ٥١٨).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٠١) وعزاه إلى الكلبي.
والكشف والبيان للثعلبي (٣/ ٢٦٨).
والنكت والعيون للماوردي (٢/ ٤١٨) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٨٠).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٠٠) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٥٢١) وعزاه إلى الحسن. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٤٤٢).
وروح المعاني للألوسي (١١/ ٥٢).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ١١).
وقد ذكر هذا المعنى: أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢١ – ١٢٢).
والبقاعي في نظم الدرر (٣/ ٤٠٧).
وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١/ ٧٢).

وقوله عز وجل : (رؤوف رحيم) كلام مستأنف[١]، وهو شديد الرحمة بجميع المؤمنين، رفيق بمن اتبعه على دينه[٢].

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ معناه : فإن أعرضوا عنك وعن الإيمان بك فقل حسبي الله[٣]، وهذا من الحساب لأنه عز وجل يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره فيزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية، وإن نعمه دائمة وصفته متظاهرة[٤].

---

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط (١٢٢/٥): في قوله تعالى : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ويحتمل بالمؤمنين أن يتعلق برؤوف، ويحتمل أن يتعلق برحيم، فيكون من باب التنازع وأجاز بعض النحويين التقديم فتقول : زيداً ضربت وشتمت على التنازع، والظاهر تعلق الصفتين بجميع المؤمنين، وقال قوم: بالتوزيع، رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمذنبين، وقيل : رؤوف بمن رآه، رحيم بمن لم يره. وقيل : رؤوف بأقربائه، رحيم بغيرهم.
وقال الحسن بن الفضل : لم يجمع الله لنبي بين اسمين من أسمائه إلا لنبينا ﷺ فإنه قال: بالمؤمنين رؤوف رحيم. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣]
وقال السمين الحلبي في الدر المصون (٦ : ١٤٢): و"بالمؤمنين" متعلق برؤوف. ولا يجوز أن تكون المسألة من التنازع لأن من شرطه تأخر المعمول على العاملين، وإن كان بعضهم قد خالف ويجيز : (زيداً ضربت وشتمته، على التنازع).
وقال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٧٣/١١) : ورؤوف رحيم صيغتا مبالغة، وهما يتنازعان المجرور المتعلق بهما وهو : (بالمؤمنين).
(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٠١/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (المرجع السابق).
(٣) ذكر أكثر المفسرين أن معنى هذه الآية : فإن أعرضوا عنك ولم يؤمنوا بك فقل : كفاني الله – فوضت أمري إلى الله ووثقت به.
ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥١٨/٥) وبحر العلوم للسمرقندي (١٠١/٢)
ومعاني القرآن للنحاس (٢٧١/٣) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٧٧/٢)
والوجيز للواحدي (٤٨٨/١)
ولباب التأويل للخازن (١٧٢/٣).
وفتح القدير للشوكاني (٥١٩/٢).
(٤) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من أشار إلى هذا المعنى ولعل ذلك تعليق من المصنف رحمه الله.

وقوله عز وجل : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا ناصر ولا معين غيره به وثقت وإليه فوضت أمري[1] ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أي خالق السرير العظم الذي هو أعظم من السموات والأرض وإنما خص العرش تشريفا للعرش وتعظيما لشأنه[2]، وقيل إنما حصة ليدل على أنه ملك الملوك لأنه رب السرير العظيم[3]، ومن قرأ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ بالرفع فهو نعت الرب سبحانه[4]،   وبالله التوفيق.

سورة يونس عليه السلام مكية إلا آية واحدة على رأس الأربعين وهي قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ فإنها مدينة[5]، و [هذه][1] السورة مائة وعشر آيات عند الشاميين وتسع عند غيرهم[2].

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (١٢/١٠٠).
والسمرقندي في بحر العلوم (٢/١٠١).
والواحدي في الوجيز (١/٤٤٨) والزمخشري في الكشاف (٣/١١١).
والخازن في لباب التأويل (٣/١٧٢).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٠١) والوجيز للواحدي (المرجع السابق) والمحرر الوجيز لابن عطية (المرجع السابق) وزاد المسير لابن الجوزي (٣/٥٢٢) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٤٤٣).
ولباب التأويل للحازن (المرجع السابق) والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٢٢).

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (١٢/١٠٠).

(٤) هذه قراءة شاذة لا يقرأ بها راجع: اتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢/٢٠) وهي منسوبة إلى ابن محيصن. وقد ذكرها بعض المفسرين كالثعلبي في الكشف والبيان (٣/٢٦٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٥٢١) وأبو حيان في البحر المحيط (المرجع السابق) وفيه : (ورويت عن ابن كثير) والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/١٤٢).

(٥) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/١٠٢) وقال الكلبي : هي مكية إلا قوله : (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به [يونس : ٤٠].
وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣) روى عطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن وعكرمة، وزاد القرطبي (١٠/٤٥٤) وعطاء وجابر.
ثم قال: وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله : (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن) به، وفي رواية عن ابن عباس أن فيها ثلاث آيات من المدني أولها قوله : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ ﴾ [يونس : ٩٤] إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وقال مقاتل

: هي مكية غير آيتين، قوله (فإذا كنت في شك) والتي تليها [يونس : ٩٤، ٩٥] وكذا قال أبو حبان في البحر المحيط (١٢٣/٢)
وكذا قال الفيروز آبادي في تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (١٦٩/١).
دار النشر : دار الكتب العلمية.
وأخرج السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة يونس بمكة وعزاه إلى النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه (٣٣٩/٤).
قال الألوسي في روح المعاني : (٥٨/١١) سورة يونس مكية على المشهور واستثنى منها بعضهم ثلاث آيات.
(وقد ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير (٥٢٢/٢)، قالت: والصحيح في ذلك أن السورة مكية كلها، إذ معنى الآية يناسب كونها مكية ولأن ما روى عبيد ابن عباس في أن هذه الآية مدنية ضعيف. فطريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس من أوهى الطرق عن ابن عباس. ينظر : الإسرائيليات والموضوعات لمحمد أبو شهبه (ص: ١٥٦).

(١) في (ب) (وهي) وهو تصحيف والصحيح كما أثبت من الأصل (أ) لأنه يقتضي المعنى ذلك.

(٢) ينظر: البيان في عد أي القرآن لأبي عمر والداني (ص: ١٦٣) تحقيق: عالم قدوري الحمد.
الطبعة : الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الناشر: مركز المخطوطات والتراث.
وروح المعاني للألوسي (٥٨/١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه : أنا الله أرى[1]، وعنه الروحم من حروف الرحمن[2]. وقوله عز وجل: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ أي هذه آيات الكتاب[3]، إنما

---

(١) ذكره الضحاك في تفسيره (١٣١/١) وهو الضحاك بن مزاحم الهلالي وهو يروي عن ابن عباس، وروايته عن ابن عباس منقطعة لأنه لم يلقه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لقي جماعة من التابعين ولم يشافه أحداً من الصحابة، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم. راجع: الثقات لابن حبان (حرف الضاد: ٤٨٠/٦) وتهذيب التهذيب (١٤/١٧).
وقد أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠٣/١٢) عن الضحاك، وعن أبي الضحى عن ابن عباس.
وأبو الضحى: هو مسلم بن صبيح الهمداني، روى عن النعمان بن بشير وابن عباس وابن عمر، قال ابن معين وأبو زرعة ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وكان ثقة كثير الحديث، وقال النسائي ثقة ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : (باب الصاد (١٨٦/٨).
والثقات لابن حبان (٣٩١/٥)، وتهذيب التهذيب لاب حجر: حرف الميم (١٣٢/٣٢).
وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٢١/٦) بسند الطبري. قال: عن أبي الضحى يعني مسلم بن صبيح والنحاس في معاني القرآن (٢٧٢/٣) عن عكرمة عن ابن عباس.
والثعلبي في الكشف والبيان عن ابن عباس والضحاك (٢٦٩/٣).
وكذلك الماوردي في النكت والعيون عن ابن عباس والضحاك (٤٢٠/٢) والسمعاني في تفسيره (٣٦٤/٢) عن أبي الضحى عن ابن عباس، والبغوي في تفسيره عن ابن عباس والضحاك أيضاً (٨١/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤) عن الضحاك عن ابن عباس.
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم عن أبي الضحى عن ابن عباس (٤٢٠/٢).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٣٩/٤) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أي عن ابن عباس. وقد أخرجه الطبري (المرجع السابق) عن عكرمة عن ابن عباس وابن أبي حاتم (المرجع السابق) عن عكرمة عنابن عباس أيضاً .
وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤) وعزاه لابن عباس من رواية على بن أبي طلحة عنه. وقد ذكر الأقوال الواردة فيها. والحازن في لباب التأويل (١٧٣/٣).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٤٠/٤) وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٣) قال ابن جرير الطبري رحمه الله : اختلف أهل التأويل في ذلك؛ فقال بعضهم: تلك آيات التوراة والإنجيل ونسب هذا القول إلى مجاهد وقتادة، وقال آخرون. معنى ذلك: هذه آيات القرآن. ثم قال رحمه الله: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: هذه آيات القرآن. ووجه معنى "تلك" إلى معنى "هذه" وإنما قلنا هذا التأويل أولى، لأنه لم يجيء للتوراة والإنجيل.قبل ذكر، ولا تلاوة بعده، فيوجه إليه الخبر. جامع البيان (١٠٥/١٢-١٠٦).

أضاف السورة إلى القرآن لأنها بعض الكتاب كما تضاف السورة لأنها بعضه[١].

ويجوز أن يكون (المر) اسم من أسماء السورة[٢]، كأنه قال تعالى : هذه السورة صحيح الكتاب الذي احتج بها النبي ﷺ . وقد تقدم الكلام في تفسير الحروف المقطعة وما في ذلك من جميع أقاويل المفسرين[٣].

قال مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٠/٢) يعني القرآن الحكيم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ابتداء وخبر، أي تلك التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم وان شئت كان التقدير هذه آيات الكتاب الحكيم.
وقال الزجاج (٥/٣) أي الآيات التي تجرى ذكرها هي آيات الكتاب الحكيم.
وأخرج ابن أبي حاتم قول قتادة في تفسيره (١٩٢٢/٦).
وقد وافق الطبري –رحمه الله-في ذلك: السمرقندي في بحر العلوم (١٠٢/٢).
وكما ذكر الثعلبي في الكشف والبيان قول مجاهد وقتادة قال: وتلك إشارة إلى غائب مؤنث. ثم قال وقال آخرون: أراد به القرآن.
وهو أولى بالصواب؛ لأنه لم يخص الكتب المقدمة قبل ذكره، ولأن الحكيم من نعت القرآن،دليله قوله : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١].
وقد أورد هذه الأقوال كذلك: الماوردي في النكت والعيون (٤٢٠/٢-٤٢١).
وقال السمعاني في تفسيره (٣٦٤/٢) والكتاب هو القرآن والحكيم هو المحكم على قول أكثر المفسرين.
وابن عطية في تفسيره (١٠٢/٣) واختار ما اختاره الطبري. والرازي في مفاتيح الغيب (١٨٣/٦) وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠-٤٤٦-٤٤٧).
وأبو حيان في البحر المحيط (/١٢٣).
وابن كثير في تفسيره (٤٢٠/٢) قول قتادة ثم قال: وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه.
وقد أورد السيوطي في الدرر المنثور (٣٤٠/٤) قول قتادة وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١) راجع: التحرير والتنوير لابن عاشور (٧٤/١١).
(٢) ذكره النحاس في إعراب القرآن ص (٣٨٨) وعزاه إلى مقاتل والبغوي (٢٠/١) عن مجاهد وابن زيد. كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤) وعزاه إلى ابن زيد. وكذلك الخازن في لباب التأويل (١٧٣/٣) غير معزو. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٦/١٠) وعزاه إلى قتادة.
(٣) ذكر ذلك في أول تفسيره لسورة البقرة –ويتلخص قول المحققين في الحروف المقطعة فيما يلي: انقسم العلماء في تفسير الحروف المقطعة إلى ثلاثة أقسام :
١- القسم الأول قال: لا معنى لها بالكلية الله أعلم بمراده منها.
٢- القسم الثاني قال: لها معنى وهي من التشابه الذي استأثر الله بعلمه.
٣- القسم الثالث قال: لها معنى. ونريد أن نبحث عن هذا المعنى لأن الله لا يخاطبنا ولا يكلفنا بما لا معنى له وذكروا في ذلك أقوالاً تصل إلى عشرة والراجح في تفسير هذه الحروف :
أنها أسماء مسمياتها الحروف التي يتركب منها الكلام:الغَرض منها : التحدي والإعجاز، فكأن الله تعالى يقول:هذا القرآن مركب ومنتظم ومنظُوم من نفس هذه الحروف التي ترتبون منها كلامكم فهل تستطيعون أن تأتوا بمثله أو بمثل أقصر سورة منه فعجزوا وقامت عليهم الحجة. قال البيضاوي: وهذا الوجه أقرب للتحقيق وأوفق للطائف التنزيل

وأما وصف القرآن أنه حكيم فلأن القرآن كالناطق بالحكمة لما فيه من التمييز بين الحق والباطل[1]، ويُقال: معنى الحكيم: المحكم بالحلال والحرام والأمر والنهي[2]، يقال: أحكمت الشيء فهو محكم وحكيم، كما يقال أكرمت الرجل فهو مُكرم وكريم[3].

قوله عز وجل : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾.

معناه : أعجبت قريش أن أوحينا إلى آدمي مثلهم من أهل نَسبهم أن خَوِّف الناس بالعذاب[4].

وأسلم من لزوم النقل واشتراك أسماء الأعلام من واضع واحد فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية.
قال الشنقيطي في كتابه أضواء البيان بعد أن ذكر أقوال العلماء في الحروف المقطعة، أمَّا القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو : أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها. ووجه استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه.
ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٦٩/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٧/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠/١).
والكشاف للزمخشري (١١/١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩/١).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢٦/١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٣/١).
وفتح القدير للشوكاني (٣٦/١-٣٧)، وروح المعاني للألوسي (٨٠/١).
وأضواء البيان للشنقيطي (٢٧٣/٢)، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة-بإشراف العلامَّة: بكر أبو زيد -دار : عالم الفوائد-وقف مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٠/٢).
كما ذكره السمرقندي بحر العلوم (١٠٢/٢)، وعزاه لمقاتل.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٦٩/٣) وعزاه لمقاتل أيضاً .
وكذلك السمعاني في تفسيره (٣٦٤/٢).
والخازن في لباب التأويل (١٤٧/٣).

(٢) ذكر هذا القول : الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣/٦)، والسمرقندي (المرجع السابق) والثعلبي (المرجع السابق).
والبغوي في معالم التنزيل (٨١/٣).
والقرطبي (المرجع السابق).
والخازن (المرجع السابق).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٠/١٢) باب: حكم.
وتهذيب اللغة (٤٧٥/١) باب : حكم.
والنهاية في غريب الأثر (١٠٢٣/١) باب: الحاء مع الكاف.

(٤) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٨٠/٢).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وذلك أن الكفار كانوا يقولون :لم يجد الله رسولاً يبعثه إلينا إلا يتيم أبي طالب[1]، ويقال: كانوا يتعجبون من البعث بعد الموت[2] كما قال الله عز وجل : ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[3].

والإنذار: هو الإعلام بموضع المخافة ليُحذر، والبشارة هي : تعريف موضع الخير والنعمة ليطلب ويرغب فيه[4].

قوله عز وجل : ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي أعمالهم الصالحة التي قدموها لأنفسهم سلف خير عند ربهم يستوجبون بها المنزلة الرفيعة في آخرتهم عند ربهم[5]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (قدم الصدق شفاعة نبيهم لهم هو إمامهم إلى الجنة وهم بالأثر)[1].

جامع البيان للطبري (١٠٦/١٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٩٢٢/٦).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٢/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨١/٣).

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٥/٣).
والنحاس في معاني القرآن (٢٧٦/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢١١).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٢/٣)، ونسبه إلى ابن عباس وابن جريج.
والرازي في مفاتيح الغيب (١٨٥/٦).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٧/١٠)، والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٨٣/٣).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢١٩/٢).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (المرجع السابق)، وابن عطية (المرجع السابق).
وابن الجوزي في زاد المسير (٥/٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق).

(٣) سورة (ق: ٢-٣).

(٤) والمعان الإنذار والبشارة.
ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢٠٠/٥) باب : نذر.
و (٥٩/٤) باب: بشر من المرجع نفسه.
والنهاية في غريب الأثر (٩٣/٥)، باب النون مع الذال.
و (٣٣٣/١)، باب الباء مع السين من المرجع نفسه.
وتاج العروس (٣٥٢٦/١-٣٥٢٧)، باب : نذر.
و (٢٥١٤/١) باب: بشر.

(٥) ينظر: تفسير الضحاك (٢٣٢/١)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٨٠/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي قال كفار مكة: إن هذا القرآن لسحر مبين، ومن قرأ لساحر مبين[٢] ذكر أنهم عنوا به النبي ﷺ وذلك أن الكفار لما عجزوا عن رد دلائل التوحيد ودلائل نبوة محمد ﷺ وعجزوا أن يأتوا بسورة مثل القرآن في كونهم أهل البيان لم يبق لهم من الاحتجاج إلا أن نسبوا رسول الله ﷺ إلى السحر[٣].

وفي الآية تسلية للنبي ﷺ ليصبر على أذى الكفار، وفيها تنبيه لمن بعده أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمتنع من ذلك بما يسمع من المكروه[٤].

وجامع البيان للطبري (١٠٥/١٢)، عن مجاهد ورجحه رحمه الله، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٧٦/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٢/٢-١٠٣) وعزاه لمقاتل، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٢/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٠/٢) عن مجاهد.

(١) قول ابن عباس ذكره كثير من المفسرين منسوب له أو لغيره ومنهم :
ابن جرير في جامع البيان (١١٢/١٢)، عن قتادة والحسن، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٢٤/٦)عن الحسن.
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٣/٢)، عن أبي سعيد الخدري.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٠/٣)، عن زيد بن أسلم.
والسمعاني في تفسيره (٣٦٦/٢)، ونسبه لمقاتل بن سليمان، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٣/٣)، عن الحسن وقتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/٤)، عن الحسن.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٩/١٠)، عن الحسن وقتادة، والخازن في لباب التأويل (١٧٤/٣-١٧٥)، عن زيد بن أسلم: أيضاً وابن كثير في تفسيره (٤٢٠/٢)، عن قتادة والحسن قال: وكذا قال: زيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان. واختار ابن جرير قول مجاهد أنها الأعمال الصالحة التي قدموها، قلت وهو قول الأكثرين والله أعلم.
والسيوطي في الدر المنثور (٣٤١/٤-٣٤٢)، عن الحسن، وعن علي بن ابي طالب، وعن أبي سعيد الخدري.

(٢) في قوله تعالى : (السخر) قراءتان متواتران: قرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم وابن كثير بألف بعد السين وكسر الحاء (لَسَاحِرٌ) وقرأ الباقون (نافع وأبو عمرو، وابن عامر) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف (لسِحْرٌ)، قال ابن خالويه: فالحجة لمن أثبتها: أنه أراد النبي ﷺ، والحجة لمن حذفها أنه أراد: القرآن.. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٥٦/٢).
والكشف لمكي ابن أبي طالب (٤٥٩/١).
والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص١٧٩).
والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (٣١/٢).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨١/٢)، بمعناه.
وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٨٤/٣) بمعناه.
ومدارك التنزيل للنسفي (٢٢٠/٢)مختصراً .
ولباب التأويل للخازن (١٧٥/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٢٥/٥).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٣/٢) بنصه.

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

في الآية بيان أن الذي خلق السماوات والأرض وقدر هذه القدرة قادر [٢٩٤/أ] على بعثهم بعد موتهم[١].

وقوله تعالى : ﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ قيل في ستة أيام من أيام الآخرة[٢]، وقيل: من أيام الدنيا[٣] ولو شاء لخلقها في أقل من لحظة ولكن خلقها على الترتيب ليكون حدوث شيء بعد شيء أبلغ للملائكة في التفكر فيها من حدوثها كلها في حالة واحدة، ويقال: ليكون خلق الأشياء على الترتيب أبعد من توهم وقوعها على الاتفاق[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش[٥].

وقد تقدم تفسير الاستواء من قبل[٦]، إن الدلالة لما دلت على أنه لا يجوز عليه الاستواء الذي هو بمعنى الجلوس والانتصاب لابد أن يكون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦/٣) بنصه.
وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (٧/٤)، ونسبه إلى الزجاج.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان عن مجاهد (٢١٤/١١).
وذكره لسمرقندي في بحر العلوم(٥٣٦/١)،عن ابن عباس، والسمعاني في تفسيره (٣٣٦/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٢٨٣/٢)، والخازن في لباب التأويل (٣٤/٣).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢٢٩/٢)، قال: نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل، ويروي ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس.
ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطة فإن الضحاك لم يلق ابن عباس. ولذلك فهي من الطرق الضعيفة عن ابن عبس: راجع: الإسرائيليات والموضوعات (١٥٦).

(٣) ذكره السمرقندي (المرجع السابق) عن الحسن، والسمعاني (المرجع السابق).
والبغوي في معالم التنزيل (المرجع السابق).
والخازن في لباب التأويل (المرجع السابق).
والفيروز آبادي في تنوير المقباس (١٢٩/١).

(٤) ذكره السمرقندي بمعناه (٥٣٦/١).
والماوردي في النكت والعيون (٤٩٠/١)مختصراً .
والبغوي (٢٨٣/٢) بمعناه.
والألوسي في روح المعاني (١٣٣/٨) بمعناه.

(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٦/١) بمعناه.

(٦) قد بسط الكلام في هذه المسألة عند تفسيره لسورة الأعراف آية : ٥٤. قال تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ..... الآية ﴾.

معنى الاستواء الاستيلاء، ولم ينزل سبحانه مستولياً على الأشياء كلها[1] إلا أن تخصيص العرش لتعظيم شأنه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: في قوله عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يقضي القضاء إلى الملائكة من رسله ولا يشركه في تدبيره أحد من خلقه[2]، فجبريل دون إسرافيل مما يلي الحجب ترعد

---

(١) هذا تأويل لصفة الاستواء على طريقة الماتريدية والأشاعرة والمعتزلة وهذا باطل ومخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة لأن في ذلك تعطيل لصفات الله سبحانه التي وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه محمدا ﷺ والواجب على كل مسلم أن يثبتها له سبحانه كما أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسول الله ﷺ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه وذلك كما أقره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ومن بعدهم من العلماء.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العقيدة الواسطية بعد أن ذكر الآيات التي ذكر فيها الاستواء.
هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش، وكلها قطعية الثبوت، لأنها من كتاب الله، فلا يملك الجهمي المعطل لها رداً ولا إنكاراً، كما أنها صريحةفي بابها، لا تحتمل تأويلاً ، فإن لفظ (استوى) في اللغة إذا عدى بـ (على) لا يمكن أن يفهم منه إلا العلو والارتفاع، ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات، ذكرها العلامة ابن القيم في (النونية) وهي: استقر، علا، وارتفع، صعد) فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستو على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه، كما قال مالك وغيره (الاستواء معلوم، =

= والكيف مجهول) وأما ما يشغب به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء؛ فهي لا تلزمنا لأننا لا نقول بأن فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق، وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة التي تدل على حيرتهم واضطرابهم، كتفسيرهم : (استوى) بـ (استولى)، إلى آخر ما نقل عنهم فكلها تشغيب بالباطل، وتغيير في وجه الحق لا يغني عنهم في قليل ولا كثير.
ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٤٥/٧)، تحقيق: محمد رشاد سالم. الناشر: دار الكنوز الأدبية – الرياض-١٤١٩هـ.
وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٦١/١-١٦٥)، محمد خليل هراس. الطبعة: الأولى -١٤١٣هـ-١٩٩٢م، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٨/١)، تحقيق/ أحمد شاكر، الطبعة: الأولى، المطبعة السلفية بمكة المكرمة.
وشرح الأصول الثلاثة للعلامة ابن باز رحمه الله (١٦/١) إعداد وترتيب: بعض طلبة العلم، نقله في شبكة سحاب السلفية : الشيخ / عبد الله حميد الغامدي.
وينظر: معالم التنزيل للبغوي (٣٨٣/٢).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٠/٢).
وأضواء البيان للشنقيطي (١٨/٢).

(٢)ذكر ذلك مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨١/٢) بنحوه غير منسوب، والطبري في جامع البيان (٢١٥/١١)، عن مجاهد. بنحوه، وابن أبي حاتم (١٩٣١/٦)بنحوه مختصراً .
والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٧/٦)مختصراً .
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧١/٣)عن مجاهد مختصراً .
والبغوي في معالم التنزيل (٨٢/٣)مختصراً .
والفيروز آبادي في تنوير المقياس (١٦٩/١) بمعناه.
والسيوطي في الدر المنثور (٣٤٢/٤) عن مجاهد مختصراً .

فرائصه ينتظر الأمر كلما أراد الله عز وجل أمراً ضرب الروح جهة إسرافيل وضرب الوحي قلبه، ثم يأمر جبريل عليه السلام بذلك الوحي[(١)].

وعن عمرو بن مرة ابن سابط[(٢)] أنه قال: [يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، أمَّا جبريل عليه السلام فعلى الرياح كالجنود، وأمَّا] [(٣)] ميكائيل فعلى القطر والنبات، وأمَّا ملك الموت فعلى الأنفس، وأما إسرافيل فينزل عليهم بما يؤمرون به.

والتدبير في اللغة[(٤)]: [تنزيل][(١)] الأمور في مراتبها على عواقبها.

---

(١) لم أقف على هذا الجزء من القول فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٢) هكذا في النسختين وهو تصحيف للسند، والصحيح عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط كما ورد في شعب الإيمان للبيهقي – فصل في معرفة الملائكة- حديث ١٥٢ (١٧١/١) حيث أخرج الأثر كاملاً.
وفي بحرا لعلوم للسمرقندي (١٠٣/٢)، عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن ابن سابط، كما أورده الخازن في لباب التأويل (٣٦/٣)، عن عبد الرحمن بن سابط، وذكره العز بن عبد السلام في تفسيره (٦٢/٢)، غير مسند، تحقي: د/ عبد الله الوهبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م-الناشر: دار ابن حزم-بيروت.
ترجمة الرواة:
أ)عمرو بن مرة بن عبد الله بن مراد الجَمَلِي أبو عبد الله الكوفي الأعمى، قال سعد الأراطي: زكاه أحمد بن حنبل، وقال ابن معين ثقة، وقال أبو حاتم صدوق ثقة، كان يرى الإرجاء وقال حفص بن غياث ما سمعت الأعمش يثني على أحد إلا على عمرو بن مرة فإنه كان يقول: كان مأموناً على ما عنده وقال : بقية عن شعبة كان أكثرهم علماً، وقال معاذ بن معاذ عن شعبة: ما رأيت أحدا من أصحاب الحديث إلا يدلس إلا ابن عون وعمرو بن مرة، مات سنة ١١٦هـ وقيل ١١٠هـ.
ينظر: الجرح والتعديل (٢٥٧/٦-٢٥٨).
تهذيب التهذيب (٨٩/٨).
ميزان الاعتدال (٢٢٨/٣).
تذكرة الحفاظ (١٢١/١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٨٨/٢).
ب)عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط القرشي الجُمحِي المكي تابعي أرسل عن النبي ﷺ، وروى عن أنس بن مالك من وجه ضعيف، وجابر بن عبد الله، والحارث بن عبد الله وأبيه سبط الجمحي وله صحبه، وسعد ابن أبي وقاص قال الواقدي وغير واحد، مات سنة ١١٨هـ، وكان ثقة كثير الحديث، له في صحيح مسلم حديث واحد في الفتن، ذكره البخاري وأبو حاتم وابن حبان في الثقات: وقال تابعي ثقة، سئل أبو زرعة ويحيى ابن معين عن عبد الرحمن بن سابط فقالا : مكي ثقة.
ينظر: الثقات لابن حبان (١٧٢/٥).
تهذيب الكمال للمزي (١٢٣/١٧).
وتهذيب التهذيب (١٦٤/٦).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).

(٤) قال الجرجاني في التعريفات: التدبير: النظر في العَواقب بمعرفة الخير-وقيل: التدبير: إجراء الأمور على علم العواقب، وهي لله تعالى حقيقة، وللعبد مجازاً.
راجع : التعريفات للجرجاني (١٧/١)، تحقيق/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى: الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

وقوله عز وجل : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ جواب قول الكفار إن الأصنام شفعاؤنا عبد الله عز وجل[٢]، فبين الله عز وجل أنه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل يشفع لأحد إلا من بعد أن يأذن الله عز وجل لمن يشاء ويرضى[٣]، فكيف تشفع الأصنام التي ليس لها عقل وتمييز[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ﴾ الذي يفعل ما هو المذكور في الآية من خلق السموات والأرض وتدبير الخلق هو الله خالقكم ورازقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام فإنها لا تستحق للعبادة[٥].

وقوله عز وجل : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي هلا تتعظون بالقرآن[٦].

معجم لغة الفقهاء (١٢٦/١)، د/ محمد روا قلعة جي، ود/ حامد صادق قينبي، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م-دار النشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

القاموس الفقهي (١٢٨/١)، د/ سعدي أبو حبيب –الطبعة : الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. دار النشر:دار الفكر – دمشق – سورية.

(١) في النسخة (ب) [ينزل]، بالياء وهو تصحيف والصحيح ما أثبت كما في الأصل.

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضربهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله....الآية﴾ (يوسف: ١٨).

(٣) اقتباس من قوله تعالى : ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ (النجم: ٢٦).

(٤) وقد ذكر هذا المعنى: مقاتل في تفسيره (٨١/٢)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٦/٣). والنحاس في معاني القرآن (٢٧٧/٣)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٣/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨٢/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٧/٤)، ونسبه للزجاج. والخازن في لباب التأويل (٣٦/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٢/١٠)، والسعدي في تفسيره (ص: ٣٥٧).

(٥) ذكر هذا المعنى الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٧/٦)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٣/٢)مختصراً .
والبغوي في معالم التنزيل (٨٢/٣).
والخازن في لباب التأويل (٣٦/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٢/١٠).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢).
قال ابن الجوزي في زاد المسير (٧/٤) فهلا تتعظون.
وقال الخازن (المرجع السابق) يعني أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والآيات التي تدل على وحدانية سبحانه وتعالى.
وهو ما قاله الطبري في جامع البيان (١١٤/١٢).

قوله عز وجل : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

معناه إلى الله سبحانه رجوعكم جميعاً[1]، ويقال: إليه موضع رجوعكم أي إلى موضع جزائه وإلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله تعالى بعد أن كان ملك الحكم الناس في كثير من الأشياء[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾نصب على المصدر[3] على معنى وعد الله البعث بعد الموت وعداً حقاً كائنا لاشك فيه.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ أي يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً [من بعد خلق][4] نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ثم يخرجكم نسماً للتمام للتمام ثم يمتكم عند انقضاء أجلكم ثم يبعثكم بعد الموت[1].

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢).
ولباب التأويل للخازن (٣٦/٣).
تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢١/٢).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٣٣/٣)، وذلك عند تفسير الآية (٣٠ من سورة يونس).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٢/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٤٦/٦).
وفتح القدير للشوكاني (٥٤٥/٢).

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٧/٣)، قال: لأن (مرجعكم) معناه الوعد بالرجوع وحقاً منصوب على أحق ذلك حقاً .
والنحاس في إعراب القرآن (ص: ٣٨٩) والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٤/٢).
كما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٧١/٣).
والزمخشري في الكشاف (١٠٥/٣).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٨٥/٣).
والسمين الحلبي في الدر المصون (١٤٨/٦).

(٤) ساقطة من (ب).
وهي اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ . [الزمر: ٦].

وفي هذا بيان أن خلق الشيء على الترتيب حالاً بعد حال أدل على الاعتبار من خلقه جملة واحدة [في ساعة واحدة] [٢] وقوله : ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. فيه بيان أن البعث [للجزاء][٣] ليجزيهم بالعدل فلا ينقص من ثواب محسن، ولايزيد على عقاب مسيء، بل يجازي كلاً على قدر عمله[٤] كما قال عز وجل: (جزاءاً وفاقا) [٥].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي جحدوا بتوحيد الله عز وجل ونبوة رسول الله ﷺ. ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ماء حار قد انتهى حرة[٦]، وعذاب وجيع يخلص وجعه إلى قلوبكم بكفركم بالكتب والرسل[٧]، ثم زادهم في الدليل وذكرهم نعمه ليستحيوا منه ولا يعبدوا غيره[٨] فقال عز

ومن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

(١) بحر العلوم (المرجع السابق).
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) ساقطة من (ب).
(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨١/٢) مختصراً، والزجاج في معاني القرآن (٦/٣) مختصراً .
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٤/٢) بمعناه.
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٢١/٢) بمعناه.
(٥) سورة النبأ : ٢٦.
(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨١/٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٧١/٣)، تفسير السمعاني (٣٦٦/٢)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس غنيم – الطبعة : الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م-دار النشر: دار الوطن-الرياض-المملكة العربية السعودية.
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٢/٣)، لباب التأويل للخازن (٣٧/٣).
(٧) تفسير مقاتل (المرجع السابق)، وجامع البيان للطبري (١١٨/١٢)، وتفسير السمعاني (المرجع السابق)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥٢/١٠-٤٥٣)مختصراً أيضاً .
(٨) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢)، وينظر: فتح القدير للشوكاني (٥٢٦/٢).

من قائل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

معناه هو الذي جعل الشمس ضياءً للعالمين بالنهار والقمر نوراً بالليل[١].

وروي في الخبر: أن وجوههما إلى العرش وقفاهما إلى الأرض تضيء وجوههما لأهل السماوات السبع وظهورهما لأهل الأرضين السبع[٢]) كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [٣]. وقوله عز وجل : (وقدره منازل) أي: قدر القمر منازل: وهي ثمانية وعشرون منزلاً في كل شهر[٤].

ويجوز أن يكون المعنى : وقدرهما إلا أنه حذف التثنية للإيجاز[٥] كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ [٢٩٤/ب] وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٦]، وقوله تعالى : ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ معناه لتعلموا بالشمس،

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٢/٢)، جامع البيان للطبري (١١٨/١٢). وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٣/٣).

(٢) أخرج نحوه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن الشمس والقمر وجوههما قبل السماوات وأقفيتهما قبل الأرض) تفسير الصنعاني (٣١٩/٣).
كما ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٢/٣)، وعزاه للكلبي.
وذكره القرطبي في الجامع مع لأحكام القرآن غير مسند (٤٥٤/١٠).
وعزاه السيوطي في الدر (٣٤٣/٤) لأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) سورة ، نوح : (١٦)

(٤) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٠٤/٢) والسمعاني في تفسيره (٣٦٧/٢) والبغوي في في معالم التنزيل (٨٣/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٤) وعزاه لابن قتيبة.
والخازن في لباب التأويل (٣٨/٣).
والشوكاني في فتح القدير (٥٢٧/٢).

(٥) قال الزجاج : الهاء ترجع إلى "القمر" لأنه المقدّر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً وإيجازاً وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة. لأن به يُعلم الشهور، وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله تعالى : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة: ٦٢].
وكذا قال النحاس في معاني القرآن (٢٧٨/٣).
وذكره الثعلبي في تفسيره (٢٧١/٣)، والسمعاني في تفسيره (٣٦٨/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨٢/٣-٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٤).
والشوكاني في فتح القدير (٥٢٧/٢).

(٦) [التوبة : ٦٢].

والقمر حساب السنين وحساب الشهور والليالي والأيام[١] على ما تقدم أن القمر يقطع في الشهر ما تقطعه الشمس في السَّنة.

وقوله عز وجل : ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ معناه: ما خلق الله الذي ذكر من الشمس، والقمر إلا لتعلموا الحساب وتعتبروا بهما وتستدلوا بطلوعهما وغروبهما على صانعهما[٢]، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي نبين علامات وحدانية الله تعالى بآية بعد آية لقوم يعلمون تفصيل الآيات[٣].

---

(١) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١١٩/١٢) بمعناه.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٣/٣)، والسمعاني في تفسيره (٣٦٧/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٣/٤).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢٢٠/٢).

(٢) ذكر هذا المعنى مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٢/٢)، والنحاس في إعراب القرآن (ص:٣٨٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٨٣/٣). وابن الجوزي في زاد المسير (٩/٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٥/١٠). والخازن في لباب التأويل (٣٧٨/٣).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٢/٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٤/٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٠٩/٦).
والجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق)، ولباب التأويل (المرجع السابق).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٢/٢).

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ ﴾.

معناه: إن في اختلاف ألوان الليل والنهار وتقلبهما بذهاب الليل ومجيء النهار، وذهاب النهار ومجيء الليل، وما يأخذ الليل من النهار، وما يأخذ النهار من الليل[1]، وفيما خلق الله عز وجل في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وفي الأرض من الجبال والبحار والأشجار والأنهار والدواب والنبات ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ أي علامات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ الله سبحانه ويخشون عقوبته[2]. فلم يؤمنوا بهذه الآيات ولم يصدقوا فأنزل الله[3] عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾.

معناه: إن الذين لا يخشون عقاب الله وقنعوا بالحياة الدنيا، ولا يعملون إلا لها، ولا يرجون ما وراءها، ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي سكنوا إليها وآثروها على عمل الآخرة، والذين هم عن دلائل توحيدنا غافلون، أي

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١٠٥/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٢/٢) بمعناه.
(٢) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره (٨٢/٢)، والطبري في تفسيره (١٢٠/١٢).
والسمرقندي (المرجع السابق).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٦٦/١) بمعناه.
(٣) ذكر سبب النزول هذا الثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٣/٣) عن ابن عباس.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٦/١٠) عن ابن عباس أيضاً .
وقد ذكر موقوفاً على ابن عباس من غير سند.

تاركون لها مكذبون بها ﴿ أُوْلَتِٓئِكَ ﴾ أي أهل هذه الصفة مصيرهم إلى النار بما كانوا يعملون[1].

وقد يذكر الرجاء بمعنى الخوف كما قال الله عز وجل: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقادرا) [2]. أي لا تخافون لله عظمة[3]، ويجوز أن يكون معنى ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يرجون جزاءنا فجعل لقاء جزائه بمنزلة لقائه، كما جعل في قوله عز وجل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٓئِكَةُ ﴾[4] . إتيان جلائل آياته بمنزلة إتيانه تعظيماً لها[5].

وأمَّا الغفلة في اللغة[6]: وهي ذهاب شيء عن النفس بحضور ما يضاده، وهو نقيض الغفلة[7].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٢/٢)، وجامع البيان للطبري (١٢١/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٣/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٣/٣).
(٢) سورة (نوح : ١٣).
(٣) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١٢١/١٢)، والجصاص في أحكام القرآن (٢٣٦/٣)ن والسمعاني في تفسيره (٣٦٧/٢)، والزمخشري في الكشاف (١١٦/٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٦/١٠-٤٥٧).
والثعلبي في تفسيره (٢٧٣/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٣/٣).
والخازن في لباب التأويل (٣٧٨/٣).
والشوكاني في فتح القدير (٥٢٩/٢).
(٤) سورة (البقرة : ٢١٠).
(٥) قلت : هذا تأويل للآية على طريقة الماتريدية، والأشاعرة والمعتزلة، والحق ما قاله أهل السنة والجماعة .
ينظر: شرح العقيدة الواسطية (١١٦/١).
ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١١٥/٢).
وينظر ما سبق تحقيقه وإيضاحه عند تفسير الآية(٣: من سور يونس) (ص:١٣٥-١٣٦) من الجزء المحقق، كما ذكر ذلك بعض المفسرين ومنهم البغوي في معالم التنزيل(١٦٧/١) =

= حيث قال: أي هل ينتظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان، يقال: نظرته وانتظرته، بمعنى واحد. فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه ، لم يكن إلا معنى

ثم أنزل الله سبحانه ما أعد للمؤمنين في الآخرة[1]، فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾.

معناه : إن الذين صدَّقوا بمحمد ﷺ والقرآن وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم[2]، يرشدهم ربهم على الصراط إلى الجنة بنور إيمانهم[3].

ويُقال: يرشدهم إلى منازلهم التي أعدها الله تعالى لهم[4] ويقال ينبتهم على الإيمان[1]. وقوله تعالى : ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أي تجري

الرؤية، والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها، أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله تعالى، وعلى ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله عند تفسير هذه الآية : (ص: ٩٤). وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، والمثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم من ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي بل ولا دليل عقلي.

وقال السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٤): وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: يأتيهم الله في ظل من الغمام، وتأتيهم الملائكة عند الموت.

(٦) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٩٧/١١).
وتاج العروس للزبيدي (٧٣٧٩/١-٧٣٨٠).

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٠٥/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٣/١٢)، (١٢١/١٢).

(٣) تفسير مجاهد (٢٩٢/١) وأخرجه الطبري في تفسيره (المرجع السابق) بنحوه عن مجاهد، وكذلك النحاس في معاني القرآن (٢٧٩/٣) عن مجاهد كما ذكره السمرقندي (١٠٥/٢) عن مقاتل، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٣/٣)، عن مجاهد وقتادة، والسمعاني في تفسيره (٣٦٨/٢) عن مجاهد، والبغوي في معالم التنزيل (٨٤/٣)، عن مجاهد، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٧/٣) عن مجاهد، وابن الجوزي في زاد المسير (١٠/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٨/١٠) عن مجاهد.
والخازن في لباب التأويل (٣٧٨/٣) عن مجاهد.
وابن كثير في تفسيره (٤٢٢/٢)عن مجاهد أيضاً .

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٢٣/١٢)، بنحوه. والسمعاني في تفسيره (٣٦٨/٢).

الأنهار بين أيديهم في الغرف متطلعون عليها[2] كما قال الله عز وجل عن
حكاية

فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3].

ويجوز أن يكون (تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ) من تحت شجرهم وبساتينهم في جنات يتنعمون فيها[4]. وقوله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾ أي قولهم ودعاؤهم في الجنة ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾، فإذا سمعوا الخدم ذلك من قولهم-تكبيراً لله تعالى وتعظيماً -أتوهم بما يشتهون[5].

والبغوي في معالم التنزيل (٨٤/٣)بنحوه أيضاً .
والألوسي في روح المعاني (٣٥٨/١) بنحوه.

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٠٥/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٤٧/٣)، والسمعاني في تفسيره (٣٦٨/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٠/٤).
والخازن في لباب التأويل (٣٧٤/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٥٨/١٠).

(٢) ذكر ذلك الطبري (المرجع السابق).
والثعلبي (المرجع السابق)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٧/٣).
وابن الجوزي (المرجع السابق).
والخازن (المرجع السابق) وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٤٧/٣).
والألوسي (المرجع السابق).

(٣) سورة الزخرف: ٥١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٣/٢)، وتفسير السمعاني (٣٦٨/٢)، كما ذكره القرطبي في تفسيره (٤٥٨/١٠)، وكذلك أبو حيان في البحر المحيط (٢٦٤/٦) بنحوه.
والألوسي في روح المعاني (٣٥٩/١)بنحوه أيضاً .
وابن عاشور في التحرير والتنوير (٤٣٣/٦).
والشوكاني في فتح القدير (٥٢٩/٢).

(٥) للعلماء في تفسير هذه الآية قولان :
الأول: أن معنى : (دعواهم فيها). المراد به: دعاؤهم، وفي المراد بهذا الدعاء قولان.
أحدهما: أنه استدعاؤهم ما يشتهون. قال ابن عباس : كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً، قالوا: (سبحانك اللهم، فيأتيهم ما يشتهون، فإذا طعموا، قالوا: (الحمد لله رب العالمين) فذلك آخر دعواهم،وورد ذلك أيضاً عن ابن جُريج، ومقاتل.
والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله في دعاءٍ يدعونه به، قالوا: (سبحانك اللهم) قاله قتادة. ينظر: تفسير مقاتل (٨٣/٢).
وجامع البيان للطبري (١٢٦/١٢-١٢٧)، ومعاني القرآن للزجاج (٨/٣).
وتفسير ابن أبي حاتم (٦-١٩٢٩-١٩٣٠).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٥/٢).
والنكت والعيون للماوردي (١٥٩/٢)، وتفسير السمعاني (٣٦٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٤/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٠/٤).

قال ابن جريج[1] رحمه الله : (تمر الطير على رجل من أهل الجنة يشتهيه، فيسبح الله عز وجل، فيقع الطير بين يديه، فيأكل منه ما شاء، فإذا فرغ منه قال: الحمد لله[2]).

ويقال: معنى قوله عز وجل : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾: أي مفتتح كلامهم التسبيح، ومختتم كلامهم التحميد، وهو آخر كلامهم[3]،لا أن يكون التحميد آخر كلامهم حتى لا يتكلمون بعده بشيء.

قوله عز وجل: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، وتحييهم الملائكة، وتأتيهم الملائكة من عنده بالسلام[4]، كما في قوله تعالى : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾[5].

والجامع لأحكام القرآن القرطبي (١٠/٤٥٨-٤٥٩)، لباب التأويل للخازن (٣/٣٧٩). وتفسير ابن كثير (٢/٤٢٣)، وتفسير السعدي (ص: ٣٥٩).

(١) عبد الملك بن عبد العزيز جريج العلامة الحافظ، صاحب التصانيف، وكان من بحور العلم، وكان يدلس ويرسل من السادسة، مات سنة خمسين ومائة أو بعدها، وقد جاوز السبعين، وقيل المائة، تهذيب الكمال (١٨/٣٣٨).
والتهذيب (٦/٣٥٢)، والتقريب (٢/١٠٧).
وسير أعلام النبلاء (٦/٢٢٥-٢٢٦).

(٢) ذكر هذا القول: ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/١٢٦) بمعناه عن بن جريج كما أورده ابن الجوزي في زاد المسير (٤/١١)، عن ابن جريج بمعناه أيضاً، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٤٥٩).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/٤٢٣) عن ابن جريج أيضاً .
والسيوطي في الدر المنثور (٤/٣٤٦) عن ابن جُريح وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٨٠).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٨٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٠).
وتفسير ابن كثير (٢/٤٢٣).
والسعدي (ص: ٣٥٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٨)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٠٥)، وتفسير السمعاني (٢/٣٦٨) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/٨٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٠) عن ابن عباس.

(٥) سورة (الأحزاب : ٤٤)

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

قيل إن هذه الآية نزلت في النضر[1] بن [الحارث] [2] حين قال: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]. ثم صارت عامَّة في كل من يستعجل العقاب[4].

يقول : ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي. ومعناه: ولو يعجل الله للناس [الشر] [5] كما يعجل الخير إذا دعوا بالرحمة والرزق والعافية [٢٩٥/أ] لماتوا وهلكوا[6]، ويُقرأ[7] (لقَضى إليهم أَجَلَهم). أَجَلَهم). بالنصب لا على ما لم يُسم فاعله.

---

(١) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها كما يقول (ابن إسحاق)، وهو ابن خالة النبي ﷺ ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدته الجاهلة وآذى رسول الله ﷺ كثيراً وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بعد انصرافهم من الوقعة. ينظر: الأعلام للزركلي (٣٣/٨)، وفيات الأعيان (٤٣٧/٣).

(٢) في النسختين (الحرث) وهو تصحيف (الحارث)، وأثبت الصحيح ليستقيم المعنى.

(٣) سورة (الأنفال : ٣٢).

(٤) وسبب النزول ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٤/٢)، والزجاج في معاني القرآن (٨/٣) بنحوه. والنحاس في معاني القرآن (٢٨٠/٣) بنحوه، والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٥/٣). والواحدي في تفسيره الوجيز (٤٩١/١).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٤/٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٨/٣) وعزاه لمقاتل.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦١/١٠-٤٦٢) وعزاه لمقاتل.

(٥) في (ب) بزيادة (من) قبلها.

(٦) هذا المعنى الذي ذكره المصنف المعنى العام للآية على أن الخطاب لجميع الناس.
وقد ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٤/٢) بمعناه، والطبري في جامع البيان (١٢٩/١٢) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٥/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٦/٢)، والسمعاني في تفسيره (٣٦٩/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٤/٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٩/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٠).

(٧) قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً (لَقَضَى) مبنياً للفاعل. و (أجلهم) بالنصب، والحجة لمن قرأ بذلك: أنه أتى بالفعل على بناء ما سمي فاعله، وأضمر الفاعل فيه وهو الله سبحانه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه.

وأما قوله : ﴿ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ ﴾هو نُصِبَ على معنى (مثل استعجالهم على نعت مصدر محذوف، كأنه قال: تعجيلاً مثل استعجالهم بالخير[1].

وقيل إن المراد بهذه الآية : دعاء الإنسان على نفسه وعلى قومه مثل قول الرجل : رفعني الله تعالى من بينكم، وقوله لولده : لعنه الله وأخزاه وأماته الله تعالى، لو استجاب الله تعالى هذه الأدعية لهلكوا، ولكن الله تعالى لا يعجل الموت والهلاك، بل أمهلهم حتى يتوبوا[2].

وقرأ الباقون : بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء، مبنياً للمفعولأَجَلُهُم﴾ بالرفع على النيابة، والحجة لمن قرأ بذلك: أنه يبني الفعل لما لم يسم فاعله فرفع به المفعول.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٢/٢).
والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: ١٧٩) ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب (٩٢/٢)، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للدمياطي (٢٤/٢).
والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور/ محمد سالم محيسن (٢٢٤/٢).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٨/٣).
وإعراب القرآن للنحاس (ص: ٣٩١).
كما ذكر هذا السمرقندي في بحر العلوم (١٠٦/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٤/٣).
وأبو البقاء في الإملاء (٢٥/٢).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٦٦/٦).
والسمين الحلبي في الدر المصون (١٥٧/٦).
والألوسي في روح المعاني (٧٨/١١).

(٢) ذكره مجاهد في تفسيره (٢٩٢/١)، والطبري في جامع البيان (١٣٠/١٢-١٣١)، عن مجاهد ومن طريق معمر عند قتادة. والزجاج في معاني القرآن (٨/٣) بنحوه وابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٣٢/٦)، عن مجاهد، ومن طريق محمد بن الأعلى عن معمر عن قتادة.
والنحاس في معاني القرآن (٢٨١/٣)، ونسبه لمجاهد.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٤/٣) عن مجاهد، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٠٨/٣) ونسبه لمجاهد، والبغوي في معالم التنزيل (٨٤/٣) ونسبه لابن عباس وقتادة.
وابن الجوزي في زاد المسير (١١/٤) ونسبه لابن عباس ومجاهد وقتادة.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦٢/١٠) ونسبه لمجاهد.
وابن كثير في تفسيره (٤٢٣/٢) ونسبه لمجاهد.
والسيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٤)، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عند قتادة.
ومن طريق أبو الشيخ عن سعيد بن جبير.

وقوله عز وجل : ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي يترك الذين لا يخافون في ضلالتهم وكفرهم يتحيرون ويترددون[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

نزلت هذه الآية في هشام بن المغيرة المخزومي[٢].

ومعناها: إذا أصاب الإنسان الشدة والمرض دعانا لكشفه وهو مضطجع لما به من المرض، أو قاعداً إذا كانت العلة أهون أو قائماً إذا بقي فيه أثر العلة، أو كان في شدة معيشة أو غيرها فلما رفعنا ما كان به

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٤/٢)، وجامع البيان للطبري (١٣٠/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٦/٢)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٠/٣).
وتفسير السمعاني (٣٦٩/٢)، ولباب التأويل للخازن (٣٨٠/٣).

(٢) ذكر سبب النزول هذا مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٤/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١١/٤) قال: قال ابن عباس ومقاتل وذكر اسمه: هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦٤/١٠) غير مسند.
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٦٦/٦) غير مسند.
والفيروز آبادي في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٧٠/١).
ولم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع سنداً لهذا السبب غير ما ذكر وعلى ذلك فهو ضعيف لضعف مقاتل بن سليمان كما سبق ذكره (ص : ٩١)، كما أن هشام بن المغيرة المخزومي والد أبو جهل قد مات قبل الإسلام وقبل يوم بدر بدهر طويل، قال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة، اسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، كما قال ذلك بعض المفسرين، وهشام ابن المغيرة وهاشم المغيرة أخوان. فهشام والد أبو جهل، وهاشم جد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمه، ولم أجد لهما ترجمة، والظاهر والله وأعلم أنه أيضاً مات قبل الإسلام.
ينظر : أسد الغابة (٣١٤/٢) الطبعة الأولى-١٤١٧هـ-١٩٩٦م. تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
والاستيعاب لابن عبد البر (٣٥٤/١) ، الطبعة : الاولى ١٤١٢هـ: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النشر: دار الجيل، بيروت.
وكتاب عمر بن الخطاب للبكري (١٠/١) الناشر: الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

من الشدة، واستمر على الإعراض عن شكر ما أنعمنا عليه في كشف الضر عنه[١].

وقوله عز وجل : ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾أي هكذا زُين للمسرفين ما كانوا يعملون في الشرك، والدعاء في الشدة، وترك الدعاء في الرخاء، فاغتروا بما زُين لهم[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

معناه: ولقد أهلكنا الأمم الماضية من قبلكم حين كفروا وجاءتهم رسلهم بالدلالات الواضحات[٣]. (وما كانوا ليؤمنوا) فيه بيان أن الله تعالى أهلكهم لأنه كان المعلوم من حالهم أنه لو بقاهم أبد الآبدين لم يؤمنوا، ولو كان في بقائهم صلاح لهم ولغيرهم لَبَقَّاهم[٤].

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي هكذا نجزي القوم المشركين نهلكهم كما أهلكنا الأولين[٥].

---

(١) ذكر هذا المعنى: النحاس في معاني القرآن (٢٨١/٣).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٦/٢)، والماوردي في النكت والعيون (١٦١/٢).
والسمعاني في تفسيره (٣٦٩/٢)، والزمخشري في الكشاف (١١٩/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١١/٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦٤/١٠).
والشنقيطي في أضواء البيان (١٥٢/٢).
(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٤/٢)، وجامع البيان للطبري (١٣٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٥/١٠).
(٣) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق) والقرطبي (المرجع السابق).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٣/٢).
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٨/٣).
وتفسير السمعاني (٣٧/٢) ونسبه للزجاج.
وزاد المسير لابن الجوزي (١٣/٤)ونسبه للزجاج أيضاً .
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٤/١٢).
الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٣)، والكشاف للزمخشري (١٢٠/٣)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢٣/٧).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢٣/٧).

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ من الخير والشر، ونشاهد هل [تعتبرون] [1] بما صنع الأولون أم لا ؟ وهذا على التهديد، أي إن عاملتكم مثل معاملتهم أهلكناكم كما أهلكناهم[2]، وإنما قال: لننظر لأنه يُقال:يُعَامِلُ العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء؛ حتى يكون مظاهرة في العدل، فإنه إنما يجازي العباد على عملهم لا على علمه فيهم[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

معناه :و[إذا تُقْرَأ أهل مكة على آياتنا] [4] المنزلة في القرآن، قال الذين لا يخشون عذابنا ولا يطمعون في ثوابنا-لأنهم لا يقرون بالبعث-إئت يا محمد بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا ولا ذكر البعث والنشور[5].

---

(١) في (ب) (يعتبرون).
(٢) راجع: بحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٦٩/٦). والكشاف (المرجع السابق).
(٣) ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن (١٠/٣) بمعناه.
والسمرقندي في بحر العلوم (٣٢١/١)بمعناه أيضاً .
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٧/٣)بمعناه أيضاً .
والسمعاني في تفسيره (٣٧٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦٦/١٠)، قال: يعاملكم معاملة المختبر إظهاراً للعدل.
وأبو حيان في البحر المحيط (٣٦٩/٦)، قال: والمعنى : استخلصناكم في الأرض بعد القرون المهلكة للنظر أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم، ومعنى لننظر: لنتبين في الوجود ما علمناه أولاً، فالنظر مجاز عن هذا.
(٤) هكذا في النسختين ولعل الصواب:وإذا تُقْرأ على أهل مكة آياتنا.
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١١/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٢/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/٢)،والنكت والعيون للماوردي (١٦٢/٢).
وتفسير السمعاني (٣٧٠/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٦/١٠).

وقوله عز وجل : ﴿ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ أي قالوا بدل هذا بغيره، قل يا محمد ما يكون لي [أي] [1]ما يجوز ولا ينبغي أن أغيره من قِبَلِ نفسي، ما أقول ولا أعمل إلا بما يوحى إليَّ من القرآن، إني أعلم إن عصيت ربي فبدلت القرآن أنه يكون على عذاب عظيم[2].

[ويقال] [3] : إنما قالوا : ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ ﴾ لأنهم ظنوا أنه لا يلزمهم الإيمان إلا إذا أتى النبي ﷺ بكل الآيات التي يقترحونها عليه، ولم يكن الأمر على ما توهموه؛ لأنه لو أتى بقرآن [غير هذا] [4] لاقترحوا آخر فكان لا يتناهى ذلك.

ويقولون في الثاني والثالث مثل ما قولوا في الأول، ودلائل الله عز وجل ليست تابعة لمقاصد السفهاء، وإنما ينزل الله عز وجل من الآيات ما يختاره بقدر ما تقوم به الحجة على الخلق[5].

وقوله عز وجل : ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾. قال يا محمد : لو شاء الله ما قرأت هذا القرآن عليكم، بأن كان لا ينزله علي[6]، وقوله تعالى

---

(١) أثبتها من الهامش لأنه مشار لها في المتن، ويقتضيها السياق.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٦/١٢-١٣٧).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/١) بمعناه.
وتفسير السمعاني (٣٧١/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٦/١٠-٤٦٧).
ولباب التأويل للخازن (٣٨٣/٣).
(٣) في (ب) (ويقالوا)، وهو تصحيف والصحيح ما أثبت من الأصل.
(٤) ساقطة من (ب).
(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢٣٦/٣)، بتصرف من المصنف.
(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٧/١٢) وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/١).
والوجيز للواحدي (٣١٢/١)، وتفسير السمعاني (٣٧١/٢).

تعالى : ﴿ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ ﴾، معناه : ولا أعلمكم الله تعالى به، أي لو شاء الله ألا يشعركم لم يشعركم[(١)].

وفي قراءة[(٢)] الحسن : (وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ) أي لأعلمكم، وقوله عز وجل: (فقد لبثت فيكم عمراً) أي مكثت فيكم دهرا قبل إنزال [٢٩٥/ب] القرآن، ولم أقل [من] [(٣)] هذا شيئاً، فليس لكم ذهن الإنسانية أنه ليس من تلقاء نفسي[(٤)].

قوله عز وجل : ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ معناه: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً أن جعل له شريكاً، أو ولداً، أو أدعى النبوة بغير حق[(٥)]،

---

(١) تفسير الضحاك (٤٣٢/١).
ويذظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٥/٢)، وجامع البيان للطبري (١٣٨/١٢-١٣٩)، من قول ابن عباس ومقاتل ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٢/٣)، من قول الضحاك وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٧/١).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٧/٣)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٢/٢)، من قول ابن عباس وقتادة.
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٤/٤).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٤٦/٤)، عن ابن عباس وقتادة. وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ.

(٢) هذه قراءة شاذة لا يقرأ بها. راجع : المحتسب لابن جني (٣٠٩/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢٥/٢).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٥/٢)، وجامع البيان للطبري (١٣٧/١٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١١/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٧/٣)، والنكت والعيون للماوردي (١٦٢/٢) بمعناه
والوجيز للواحدي (٣١٢/١). ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦٩/١٠).
ولباب التأويل للخازن (٣٨٣/٣).
وأضواء البيان للشنقيطي (٢٤٩/٢).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٥/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٦/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٤٦/٣).

وقال: أمرنا الله تعالى بعبارة الأصنام فنتقرب بعبادتها إليه، وقوله عز وجل: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ معناه: وكذب بأنبيائه ورسله وكتبه[١].

وقوله تعالى : ﴿ إنه لا يفلح المجرمون ﴾ أي لا [يوصل] [٢] المجرمون إلى مرادهم[٣].

قال الحسن رضي الله نه : هم الذين يبلغون حد الطبع[٤].

قوله عز وكل : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

معناه : أن أهل مكة يعبدون من دون الله تعالى الأصنام التي لا تضرهم إن تركوا عبادتها ولا تنفعهم إن عبدوها، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا [يشفعون] [٥] لنا عند الله تعالى[٦]، لأنه تعالى الذي أذن لنا في عبادتها وأنه سيشفعها فينا، وأرادوا بذلك شفاعة الأصنام في مصالح دنياهم فإنهم كانوا لا يقرون بالبعث[٧].

والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٤٧٠)، ولباب التأويل للخازن (٣/٣٨٥).

(١) ينظر: تفسير مقاتل (المرجع السابق).
وبحر العلوم (المرجع السابق).
ومعالم التنزيل (المرجع السابق).

(٢) هكذا في النسختين ولعله تصحيف لكلمة (يصل).

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٣٤٦).
والشوكاني في فتح القدير (٢/٥٣٦).

(٤) لم أقف على قول الحسن فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٥) في (ب) بزيادة (الذين) قبلها.

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٨٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/١١).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٨٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/٨).
وتفسير السمعاني (٢/٣٧٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/٣٤٦).

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (١/٣١٢)، وتفسير السمعاني (المرجع السابق).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٤)، ونسبه للحسن، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٤٧٠)، ولباب التأويل للخازن (٣/٣٨٦). والبحر المحيط لأبي حيان (٦/٢٧٦) ونسبه للحسن.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ استفهام بمعنى الإنكار[١]، إن الله خلق السماوات والأرض وهو عالم بما فيهما، يعلم أن ليس فيهما [إله] [٢] إلا الله ينفع ويضر غيره، أفتخبرونه أنتم بشيء لا يُعلم فيعلم بإخباركم[٣]؟ وهذا نفي العلم، والمراد نفي ما قالوه : في أن شفاعة الإنسان لا تكون أبداً [٤].

وقوله عز وجل : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تنزيها لله عز وجل عن كل سوءٍ لا يليق بذاته، فارتفع وتبرأ عما يشركون من الأصنام والأوثان[٥].

---

(١) ينظر: تفسير السمعاني (٣٧٢/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٦/٦).
وروح المعاني للألوسي (٤٦١/٧)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٤٥١/٦).
(٢) في (ب) [آلهة].
(٣) ذكر ذلك الضحاك في تفسيره بمعناه (٤٣٢/٢)، والنحاس في معاني القرآن (٢٨٣/٣) بنحوه والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢) والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٧/٣).
والواحدي في الوجيز (٣١٢/١)، والبغوي في معالم التنزيل (٨٦/٣).
والزمخشري في الكشاف (١٢٣/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٤/٤) ونسبه للضحاك.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٠/١٠-٤٧١).
(٤) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر هذا المعنى قبل المصنف وقد ذكره ذكره بعده: الزمخشري (المرجع السابق).
والرازي في مفاتيح الغيب (٢٢٧/٦).
والخازن في لباب التأويل (٣٨٦/٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٧٦/٦).
والسمين الحلبي في الدر المصون (١٦٥/٦-١٦٦).
والألوسي : (المرجع السابق).
(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٠٩/٢).
والوجيز للواحدي (٣١٢/١) بمعناه.

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

اختلف الناس في المراد بهذه الآية، قال بعضهم : أراد بذلك أن الناس كانوا أمة واحدة في وقت آدم عليه السلام ثم اختلفوا بأن كَفَّر بعضهم بعضاً، وأول من اختلف قابيل وهابيل[1]، ويقال: أراد به أن الناس كلهم ولدوا على الفطرة ثم اختلفوا بأن غير بعضهم الفطرة ولم يغير بعضهم، بل ثبت عليها[2].

وقال بعضهم : أراد بذلك أنهم كانوا أمة واحدة على عهد إبراهيم عليه السلام، وعلى عهد نوح عليهما السلام كانوا كلهم كافرين فتفرقوا (فرقتين) [3] مؤمن وكافر[4]، ويقال: أراد بالناس ههنا العرب كانوا على الشرك قبل مبعث نبينا ﷺ ثم اختلفوا بعد مبعثه، فآمن بعضهم وكفر

ومفاتيح الغيب للرازي (٢٥٠/٨) بنحوه.
وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٩١/٣).
ومدارك التنزيل للنسفي (٢٦٦/٢).

(١) ينظر: تفسير مجاهد (٢٩٢/١)، تفسير مقاتل بن سليمان (٧٨/٢) بنحوه، وجامع البيان للطبري (١٢٣/١٢) عن مجاهد ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٤/٣)، ونسبه لمجاهد، قال: وأبينها قول مجاهد. وبحر العلوم للسمرقندي (١٠٩/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٧٧/٣). وتفسير السمعاني (٣٧٢/٢). والكشاف للزمخشري (١٢٣/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٩/١)، والدر المنثور للسيوطي (٣٤٩/٤) عن مجاهد.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (١٢/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٢٨٤/٣).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢)، والثعلبي (المرجع السابق).
والبغوي في معالم التنزيل (٦٩/١) عن أبي بن كعب، والخازن في لباب التأويل (٣٨٧/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٣٨/١) ونسبه لأبي بن كعبأيضاً .
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/١٠).

(٣) في (ب) مرتين وهو تحريف لفرقتين كما في الأصل.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٤/٦-٢٥).
كما ذكر ذلك السمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢) ونسبه للكلبي.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٧/٣) والسمعاني في تفسيره (٣٧٢/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١٦٩/١)، عن ابن عباس.
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٣٥/١) عن ابن عباس أيضاً .
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٩/١) عن ابن عباس أيضاً .

بعضهم[1]، والقول الأول[2] أقرب إلى ظاهر الآية لأن قوله عز وجل في الآية التي قبل هذه (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يقتضي أن اتفاق الناس كان على عبادة الله عز وجل، وقوله عز وجل في آخر الآية.

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يقتضي النهي عن الاختلاف،

ولو حمل قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على اتفاقهم على الكفر لجعل الاختلاف بإيمان البعض فيكون المخالف ممدوحاً على الخلاف لا مذموماً عليه، ومما يؤيد هذا القول: أنه لا يجوز أن يطبق أهل الأرض كلهم على الكفر، حتى لا يبقى فيهم أحداً فمن يكون شاهداً عليهم بأعمالهم[3]، كما قال عز وجل ﴿ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[4]. وأراد بكل أمة: أهل كل قرن وعصر[5].

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم[6]عَرَبَهم وعَجَمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) [1]

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن (١٢/٣)، والنحاس في معاني القرآن (٢٨٤/٣).
والسمرقندي في بحر العلم (١٠٩/١) عن الزجاج.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/١٠)نقلاً عن الزجاج.
والخازن في الباب التأويل (٣٨٦/٣).

(٢) يشير بذلك إلى قول مجاهد وهو أن الناس كلهم كانوا على ملة واحدة وهي التوحيد من عهد آدم عليه السلام، إلى أن قتل أحد بني آدم أخاه فاختلفوا.
وهو قول مقاتل بن سليمان أيضاً حيث قال: وما كان الناس إلا ملة واحدة مؤمنين لا يعرفون الأصنام والأوثان، ثم اتخذوها بعد ذلك، وهذا ما رجحه السعدي رحمه الله في تفسيره (ص:٣٦٠) وهو قول أكثر المحققين.

(٣) ذكر نحو هذا التعليل الطبري رحمه الله عند تفسيره للآية : ٢١٣ من سورة البقرة وهي : ((كان الناس أمة واحدة ....)) (٢٨٠/٤).
وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب (٢٤٩/٣-٢٤٦).
والألوسي في روح المعاني (١٩٠/٢-١٩١).
وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٤٨٢/٣).

(٤) سورة النساء: ٤١.

(٥) ينظر: الوجيز الواحدي (١٢٣/١).

(٦) المَقْت: أشد البغض، وفي الأساس : هو بغض عن أمر قبيح.

والمراد

به بقايا أهل الكتاب الذين بقوا على الحق إلى أن أدركوا رسول الله ﷺ.[٢]

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ معناه لولا حكم من الله سبق ببقايا التكليف على الناس إلى وقت معلوم سواءً أطاعوا أم عصوا، لما علم من المصلحة لهم ولغيرهم في ذلك لعجل لهم العذاب عند العصيان واضطرهم إلى معرفة الحق فيما اختفوا فيه[٣].

راجع : أساس البلاغة للزمخشري (٣٨٤/٢).
وتاج العروس للزبيدي، باب: مقت (٩٥/٥).
النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (باب: الميم مع القاف) (٧٦٣/٤).

(١) هذا الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي عن قتادة، كتاب: الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥)، وقد ذكره بعض المفسرين في =

= مواضع متفرقة من تفاسيرهم كالبغوي في معالم التنزيل (١٦٢/٤)، عند تفسيره للآية : ٢١٤ من سورة الشعراء وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب (٢٢٨/٦) عند تفسير هذه الآية من سورة يونس كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/١) عند تفسيره للآية : ٢ من سورة البقرة، وهي قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه).
كما ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره وذلك عند تفسره للآية : ١٩ من سورة المائدة، وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ... الآية﴾
وعند تفسيره للآية: ٣٠ من سورة الروم ثم قال : انفرد بإخراجه مسلم من طرق عن قتادة.
راجع : تفسير ابن كثير (٣٧/٢)، و (٤٤٢/٣-٤٤٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٢٥/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٢٨/٦).

(٣) ذكر هذا المعنى كثير من المفسرين منهم :-
الماوردي في النكت والعيون (١٦٣/٢).
والسمعاني في تفسيره (٣٧٣/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٧/٣).
والزمخشري في الكشاف (١٢٣/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٧/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧١/١٠).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢٦٦/٢).

ولا يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾

أنَّه لولا أن الله عز وجل جعل لهم أجل للفصل بينهم لفصل بينهم في وقت اختلافهم بإهلاك أهل العصيان، ولولا الكلمة السابقة لكان الإهلاك هو الصواب، لأن هذا إنما يجوز على من يجوز أن يبدوا له بُدُوّاً [٢٩٦/أ] وأن يعلم في حال الشيء ما لم يكن عالماً به من قبل، وهذا لا يجوز على الله عز وجل.

قوله عز وجل : ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾.

معناه : ويقول كفار مكة هلا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، يعنون الآية التي كانوا يقترحونها عليه، سِوَى الآيات التي أنزلها الله عز وجل ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد إن غيب نزول الآيات لله سبحانه ولو علم الصلاح في زيادة الآيات لأنزل[1].

وقوله عز وجل : ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ عقاب الله عز وجل بالقتل في الدنيا، والنار في الآخرة، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ لهلاككم بما وعد الله عز

والخازن في لباب التأويل (٣٨٧/٣) وغيرهم.

(١) ذكر هذا المعنى للآية: مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٧/٢).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢) بنحوه، والواحدي في الوجيز (٣١٢/١).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٧/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٧/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/١٠).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٩١/٣).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢٢٦/٢).
والخازن في لباب التأويل (٣٨٧/٣).
والسعدي في تفسيره (ص: ٣٦٠)، وذكر بعض الآيات التي اقترحوها.

وجل من النَّصر عليكم، ويقال معناه: فانتظروا هلاكي أو انتظروا نزول هذه الآية، (إني معكم من المنتظرين) لهلاككم[1].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

معناه : إذا أعطينا الناس – أي الكفار – ما يسرون به من العافية والنعمة والرحمة والمطر من بعد فقر وبلاء ومرض وقحط وشدة إصابتهم، إذا لهم مكر في آياتنا بالاحتيال في دفعها والتكذيب بها[2]، كانوا إذا يقولون

مطروا سُقينا بنوء كذا وكذا، ولا يقولون هو رزق الله عز وجل ورحمته[3].

---

(١) ذكر هذه المعاني: مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٧/٢)، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢٦/٦)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٧/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٧/٤).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٩١/٣).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢٢٧/٢).
والخازن في لباب التأويل (٣٨٧/٣).
والفيروز آبادي في تنوير المقباس (١٧٢/١).

(٢) ذكر ذلك مقاتل بن سليمان في تفسيره (٨٧/٢).
والنحاس في معاني القرآن (٢٨٤/٣-٢٨٥)، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢١/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٠٩/٢).
والسمعاني في تفسيره (٣٧٣/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٧/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٧/٤).

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف (٢٧٩/٣) عن مقاتل بن حيان.
والبغوي (٨٧/٣) عن مقاتل بن حيان أيضاً، والزمخشري في الكشاف (١٢٣/٣) غير منسوب. وابن الجوزي في (المرجع السابق) (١٧/٤)عن مقاتل بن حيان أيضاً .
والرازي في مفاتيح الغيب (٢٣١/٦).
ومقاتل بن حيان هذا غير مقاتل بن سليمان الذي سبقت ترجمته (ص٩١). فمقاتل بن سليمان ضعيف.
وأما مقاتل بن حيان فهو ثقة صدوق واسمه : مقاتل بن حيان النبطي أو بسطام البلخي، مولى بكر بن وائل، روى عن سعيد بن المسيب وأبي بردة وعكرمة وقتادة والضحاك بن مزاحم وعمر بن عبد العزيز، وثقة يحيى بن معين وأبو داود، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الدار قطني: صالح وذكره ابن حبان في الثقات مات قبل الخمسين ومائة.

"وإذا" تنوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل، كأنه قال: إذا هم مكروا[1]، وهذا كما قالوا[2] في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾[3].

وأمَّا قوله عز وجل : ﴿ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ ﴾ يعني أعطى النعمة؛ لأن النعمة مما يختبر بها كما يختبر الذائق بما يذوق[4]. وقوله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ ﴾ أي أسرع جزاء على المكر وأقدر على ذلك[5]، فَسمَّى الجزاء باسم المجزي عليه.

ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٥٣/٨)، والثقات لابن حبان (٥٠٨/٧).
والتقريب (٢١٠/٢)، والتهذيب (٢٤٨/١٠)، وسير أعلام النبلاء (٣٤٠/٦).
والكشاف (٢٩٠/٢).

(١) إذا الفُجائية تقع في جواب الشرط لسد مسد الفعل الذي هو جواب الشرط.
راجع : إعراب القرآن للنحاس ، (ص: ٣٩٢) قال: وهذا قول الخليل وسيبويه.
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٢/٣).
والكشاف للزمخشري (١٢٣/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣١/٦-٢٣٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٠/٦).
والدر المصون للسمين الحلبي(١٦٦/٦).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٦/٦).

(٢) قال ذلك: النحاس في معاني القرآن (ص: ٧٤٣)، قال والتقدير عند سيبويه : قنطوا، ولهذا كان جواب الشرط.
وأيضاً الزجاج (المرجع السابق) قال: جواب الجزاء والمعنى: وإن تصبهم سيئة قنطوا، وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا.
والرازي في (المرجع السابق).
وكذلك ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك، باب: عوامل الجزم (٣٨/٤).

(٣) سورة الروم : (٣٦).

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١١/١٠)، باب: ذوق.
وتاج العروس (٢٢/١-٦٣) باب : ذوق.
وتهذيب اللغة (٢٥٩/٣) باب: ذوق.
وقد ذكر ذلك السمعاني في تفسيره (٣٧٣/٢) بنحوه.

(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٧٩/٣).
والنكت والعيون للماوردي (١٦٤/٢).
وتفسير السمعاني (٣٧٣/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٨٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٣/١٠).

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾أي الكرامَ الكاتبين يكتبون ما تمكرون أنتم[1]، وفي الآية بيان أن الله عز وجل لو أنزل عليهم الآية التي اقترحوها لم يؤمنوا بها، كما لم يعرفوا الرحمة التي قد ينعم الله عز وجل من بعد الشدة التي تصيبهم[2].

قوله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

معناه : هو الذي يسهل لكم السير ويحفظكم إذا سافرتم في البر على الدواب وفي البحر على السفن[3]، والسير في البحر مضاف إلى الله عز وجل على الحقيقة، لأن سير السفينة لا يكون إلا يجري الماء وبالريح الطيبة التي يستطيبونها، وأمَّا السير في البر فيجوز أن يكون إضافة إلى الله عز وجل على تسخير المركوب وسيره بإمساكه بقدرته[4].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٥/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٦/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٠/٢).
والوجيز للواحدي (٣١٢/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨/٤).
ولباب التأويل للخازن (٣٨٨/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٢٧/٢).

(٢) لم أقف على هذا التعليق عند المفسرين، والظاهر والله أعلم أنه من استنتاج المصنف رحمه الله وربطه الآية بما قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ....﴾ الآية [٢٠].

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٨/٢).
وجامع البيان للطبري (١٤٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٠/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٨/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٣/١٠) وعزاه للكلبي.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٧/٦).

وقرأ[١] بعضهم : ﴿هو الذي يُنْشِرِكم ﴾ بالياء والنون والشين المعجمة من فوقها، معناه: يثبتكم في البر والبحر.

وقوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ ، أي في السفن، وقد يكون الفلك واحداً، وقد يكون جمعاً، فمن جعله واحداً فجمعه أَفْلاَك، ومن جعله جمعاً فواحدة فَلَكْ كما يقال أُسْد وأسَدَ[٢].

وقوله تعالى : ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ أي السفن جرين بأهلها بريح لينة ساكنة وفرحوا بسكون ريحها، وأعجبوا بها، قال الزجاج[٣] : ابتداء الكلام خطاب، وبعد ذلك، إخبار عن معاينة، لأن مخاطبة الله عز وجل لعباده لا تكون إلا على لسان الرسول ﷺ وذلك بمنزلة الإخبار عن الغائب، وكل ما قام الغائب مقام من يخاطبه جاز له أن يرده إلى الغائب[٤]، كما

كما ذكر هذا المعنى الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (٢٥٧/٨)، والألوسي في روح المعاني (٤٧١/٧).

(١) وهي قراءة أبو جعفر وابن عامر. ووافقهما الحسن بالنون والشين (ينشركم) من النشور، والمعنى: هو الذي يثبتكم ويفرقكم في البر والبحر، كما قال تعالى : ﴿فانتشروا في الأرض﴾ [الجمعة: ١٠] والقراءة بالياء والسين (يُسَيِّركم) من التسيير وهو السير والمشي.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٢/٢).
والكشف لمكي (٩٣/٢)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢٨/٢).
والمغني في توجيه القراءات العشر (٢٢٧/٢).

(٢) قال الفراء: الفلك تذكر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعاً، قال تعالى هاهنا ﴿جائتها﴾ وقال في [يس : ٤١] ﴿ في الفلك المشحون﴾ فذكر. راجع : معاني القرآن للفراء (٤٦٠/١).
تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار السرور-يروت.
ومعاني القرآن للأخفش (٣٧١/١) تحقيق: هدى محمود، مكتبة الخانجي-الطبعة الأولى ١٤١١هـ-كما ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١٤٨/١٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٧٩/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (٨٨/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (١٨/٤).
والرازي في مفاتيح الغيب (٢٦٠/٣).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٨٣/٦).

(٣) الزَّجَّاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد ومات بها سنة ٣١١هـ، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وهو صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب.
ينظر: الانساب للسمعاني (١٤١/٣) تحقيق: إحسان عباس.
الناشر: دار صادر –بيروت، بدون ذكر سنة الطبع. والأعلام للزركلي (٤٠/١) والوافي بالوفيات (٢١٩/٢).

(٤) وهذا ما يسميه أهل المعاني بالالتفات : ينظر: معاني القرآن للفراء (٣٢/٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٣/٣) بتصرف من المصنف.

قال الشاعر[1]:

أسيئي بنا أو أحسني لا مَلُولَةٌ لدينا، ولاَ مَقْلِيَّة إنْ تَقَلَّتِ[2].

وقوه عز وجل : ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ أي جاءت السفن ريح عاصفة شديدة الهبوب الذي يكون أهله أفرح ما يكون فيه[3]. وقوله : ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي ركبهما الموج من كل جانب[4]. وقوله عز وجل : ﴿وَظَنُّوٓاْ ﴾ أي أيقنوا أنا قدرنا إهلاكهم[5]، تقول العرب لكل من وقع في الهلاك أو في بلية عظيمة (أحيط بفلان) أي أحاط به الهلاك[6].

وقوله عز وجل : (دعوا الله مخلصين له [٢٩٦/ب] الدين).

أي دعوا الله تعالى لكشف ذلك عنهم مخلصين له الاعتقاد أي مفردين له بالدعاء، لا يدعون عند الشدة غير الله عز وجل[7] قال الحسن[1]

وتهذيب اللغة (٨٥٥٩/١) فصل: القاف. والصحاح في اللغة (٩٣/٢).
وأساس البلاغة للزمخشري (٤٢٥/١) : (باب: اللام – ل ف ت).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٣/٦).

(١) هذا من تائية الشاعر كثير عزة التي مطلعها: خَليلَيَّ هذا ربع عزة فاعقلا.
واسمه: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني وكُثَيِّر تصغير كثير يُكنى باصخر وكان شاعر بن مروان وخاصة بعد الملك وكانوا يعظمونه ويكرمونه، كان مقيم بعزة بنت جميل الضميرية، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحداً، توفي بالمدينة في اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس سنة خمس ومائة قيل سبع ومائة. فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس.
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥٢/٥)، ومعجم الشعراء (٧٦/١).
والأعلام (٢١٩/٥)، الشعر والعشراء (١١٢/١).
وفيات الأعيان (١٠٦/٤).

(٢) ينظر: ديوان كثير عزة (٣٤/١)، والأغاني (٣٨/٩)، والشعر والشعراء (١١٢/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٦/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٠/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٨/٣) ولباب التأويل للخازن (٣٨٩/٣).
وتنوير المقباس (١٧٢/١).

(٤) راجع: المصادر السابقة.

(٥) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٨٨/٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٨/٦).
وبحر العلوم (١١٠/٢).
وتفسير السمعاني (٣٧٥/٢).

(٦) راجع: المصادر السابقة.

(٧) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢٧/١٢).
بحر العلوم للسمرقندي (١١٠/٢) وتفسير السمعاني (٣٧٥/٢).

رضي الله عنه : ليس هو إخلاص الإيمان ولكنه العلم بأنه لا ينجيهم من [ذلك] [٢] الشدة إلا الله عز وجل. وقوله عز وجل : ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ أي يقولون لئن أنجيتنا من هذه الريح والشدة والغرق لنكونن من الشاكرين لك على ذلك[٣].

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

معناه : فلما أنجاهم من البحر إذا هم يتطاولون على أنبياء الله عز وجل، صلوات الله عليهم أجمعين وأوليائه رضي الله عنهم أجمعين ويعملون بالمعاصي والفساد والدعاء إلى غير عبادة الله عز وجل[٤]. والبغي في اللغة: هو الترامي إلى الفساد، يقال بغى الجرح يبغي بغياً من الفساد، وبغث المرأة إذا فجرت[٥].

ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٥/١٠).
ولباب التأويل للخازن (٣٨٩/٣).

(١) ذكر قول الحسن : الرازي في مفاتيح الغيب (٢٣٥/٦).
كما ذكره الخازن (المرجع السابق) غير منسوب، وروح البيان (٢٥٠/٥) غير منسوب.
كما أشار إلى هذا المعنى أبو السعود في تفسيره (٤٨٥/٣).
وابن عاشور في التحرير والتنوير (٤٦٠/٦).
والشوكاني في فتح القدير (٥٣٩/٢).

(٢) هكذا في النسختين ولعلها (تلك) لتناسب المعنى والسياق.

(٣) ينظر: لباب التأويل (المرجع السابق)، وفتح القدير (المرجع السابق).

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١١٠/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠/٤) ونسبه إلى ابن عباس.
ولباب التأويل للخازن (٣٨٩/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٤/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٥/٣)، والوجيز للواحدي (٣١٣/١).
وتفسير السمعاني (٣٧٥/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾ أي ظلمكم وتطاولكم فيما بينكم، يعود ضرره عليكم ويرجع وباله إليكم[1]، كما يقال في المثل : المسيء [استقلته] [2] مساويه[3]. وقوله : ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ أي تَمَتُّعٌ قليل في الدنيا، ومتاع الدنيا يذهب ويفني[4]، ويجوز أن يكون قوله عز وجل : ﴿ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾خبراً لقوله : ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ ﴾[5] أي لا يتهألكم إلا أن يبغى بعضكم على بعض في مدة يسيرة مع سرعة انقضائها، ثم إلينا مرجعكم بعد الموت.

وقوله عز وجل : ﴿ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ وعيد بالعذاب، كما يقول الرجل لآخر: سأخبرك بما عملت، ويريد أن يجزيه على سوء عمله بأبلغ المجازاة[6]، ثم ضرب الله عز وجل للحياة الدنيا مثلاً فقال عز من

والكشاف للزمخشري (١٢٦/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣٦/٦)، ولمعنى البغي في اللغة : ينظر: النهاية في غريب الأثر، باب الباء مع العين (٣٧٦/١)، وتاج العروس، باب: بغى (١٧٩/٣٧).

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٨٨/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١٤/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٦/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١١/٢)، والوجيز للواحدي (٣١٣/١). وتفسير السمعاني (٣٧٥/٢).

(٢) في (ب) استقبلته

(٣) هذا المثل لم أجده فيما بين يدي من المصادر والمراجع إلا في بحر العلوم (١١١/٢)، بلفظ : (المحسن سيجزي بإحسانه والمسيء يكفيه مساويه).

(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس (٢٨٦/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣٢/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١٤/٣)، والكشف للثعلبي (٢٧٩/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (٨٩/٣)، وفي هذا إشارة إلى قراءة الجمهور وهي بالضم (متاعُ) على أنها خبر المبتدأ (إنما بغيكم) أو على إضمار المبتدأ والتقدير "هو" فيكون المعنى: هو متاعُ الحياة الدنيا-وقراءة النصب (متاعَ) هي قراءة حفص عن عاصم، وحجة من قرأ بالنصب على أنه مصدر مؤكد لعامله، أي تتمتعون متاعَ الحياة الدنيا. وكلا القراءتان متواترتان.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٣/٢)، والحجة لابن خالويه ، ص : ١٨١.
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢٧/٢).
والمغني في توجيه القراءات للدكتور محمد سالم محيسن (٢٢٨/٢).

(٦) ذكر هذا المعنى: الطبري في جامع البيان (١٤٩/١٢) والنسفي في مدارك التنزيل (٢٢٩/٢). وابن كثير في تفسيره (٤٢٨/٢)، والألوسي في روح المعاني (٤٧٧/٧). والسعدي في تفسيره (ص: ٣٧).

قائل : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

معناه: إنما صفة حياة الناس في الدنيا، وهي الحياة الأولى، صفة ما أنزل الله عز وجل ينبت به أنواع النبات فاختلط بعضه ببعض، لأن المطر يختلط بالنبات ويدخل في خلاله(١).

وقوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي مما يصير بعضه للناس من الحبوب والثمار، وبعضه علفاً للدواب من العشب والكلأ(٢). وقوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ أي زينتها من النبات.

(١) ينظر: جامع الطبري (١٤٩/١٢) ومعاني القرآن للنحاس (٢٨٧/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١١/٢)، تفسير السمعاني (٣٧٩/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠/٤)، وأصول البيان للشنقيطي (١٢٣/٢).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٠/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١١/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٨٠/٣).
والوجيز للواحدي (٣١٤/١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥٠/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠/٤).
والدر المنثور للسيوطي (٣٥٤/٤) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر.

والزخرف:حُسْنُ الشيء[1]. وقوله تعالى : ﴿وازَّيَّنتْ﴾ أي تزينت[2] بنباتها وثمارها من الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان التي لا غاية لها في الحسن بعدها[3].

وقوله عز وجل : ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ ﴾ معناه : وحسب[4] أهلها إدراك الانتفاع بها. وقوله عز وجل : ﴿ أتاها أمرنا﴾ أي عقابنا في ليل أو نهار، إما ببرد أو بصواعق محرقة أو غيرها[5]، وسمى العقاب أمراً؛ [لأن] [6] أفعال الله عز وجل تضاف إليه بلفظ الأمر: لأن ذلك أدل على سرعة الكون من غير استبطاء ولا تعب.

وقوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾ أي كالنبات المحصود الذي لا يُنْتَفَعُ به. وقوله عز وجل : ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي كأن لم يكن بذلك المكان شيء من الخضرة والحسن والنبات، والمغنى: هو الموضع الذي يقام فيه ويعمر، والمغاني: المنازل التي يعمرها الناس بالنزول بها، يقال: غَنَّينا بمكان كذا إذا نزلوا فيه[7].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٤/٣)، معاني القرآن للنحاس (٢٨٧/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣٦/٦).

(٢) قال الأخفش في معاني القرآن (٣٣/٢)، يريد : "وتزينت" ولكن أدغم التاء في الزاي لقرب المخرجين فلما سُكن أولها زيد فيها ألف وصل، وقال ﴿وازَّينت﴾ يريد المصدر وهو من التزين وإنما زاد الألف حين أدغم ليصل الكلام لأنه لا يبتدأ بساكن.
وكذلك قال الزجاج أيضاً (المرجع السابق) وذكر ذلك: السمرقندي في بحر العلوم (١١١/٢) بنحوه.
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٢٧/٦)، والسمين الحلبي في الدر المصون (١٧٨/٦).

(٣) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٨٩/٣)، وتنوير المقباس للفيروز آبادي (١٧٢/١).
وروح المعاني للألوسي (٤٧٨/٧).

(٤) ذكر ذلك : السمرقندي في بحر العلوم (١١١/٢).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٥٠/٣)، وقال: الظن هنا على بابه.
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٨٧/٦)، قال: والظن هنا على بابه من ترجيح أحد الجائزين، وقيل : بمعنى أيقنوا وليس بسديد.
ينظر: استعمالات الظن عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ [التوبة: ١١٨].

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥١/١٢) بمعناه.
وبحر العلوم للسمرقندي (١١١/٢) بمعناه.
والمحرر الوجيز (المرجع السابق).

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) ذكر ذلك المعنى الطبري في جامع البيان (١/١٢).

ووجه تشبيه الحياة الدنيا بالمطر الذي يتنزل فينبت به النبات ثم ينقضي وينقطع إنه كما لا يبقى شيء من ذلك النبات، كذلك المتمسك بالدنيا أقوى ما ينتهي إليه أمر دنياه، يأتيه الموت[١]، وهو قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[٢].

أي خاسرون الدنيا وقد أنفقوا أعمارهم فيها، وخاسرون الآخرة وقد انصرفوا عنها وقَلَّ فِكْرُهُم وعملهم لها، وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[٣].

وأمَّا قوله عز وجل : ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ فمعناه : كما فصلنا لكم الآيات فكذلك نبين الآيات في القرآن لقوم يتفكرون في أمر الدنيا والآخرة[٤]، وإنما خص بذلك من يتفكر ! لأن الغافل عن ذلك والمتغافل لا يكاد ينتفع بهذه الأمور بل هو كالأنعام وأضل[٥].

وكذلك السمرقندي في بحر العلوم (١١١/٢).
والثعلبي في الكشف (٢٨٠/٣).
والسمعاني في تفسيره (٣٧٦/٢).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٣٥٠/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٢١/٤).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٢/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١١/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢١/٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٣٧/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧٧/١٠)، لباب التأويل للخازن (٣٩١/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٦/٦).

(٢) سورة الأنعام، آية : (٤٤).

(٣) سورة الفرقان آية : (٢٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٥٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٢/٢)، والوجيز للواحدي (٤٩٥/١).
ولباب التأويل للخازن (٣٩٢/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٨/٦).

(٥) ينظر: جامع البيان (١٥٢/١٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٥١/٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ [٢٩٧/أ] ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾. وذلك أن الله سبحانه لما بين المثل الذي يزهد في الدنيا، أتبعه بذكر ما ينبغي للعبد أن يعمله(١)، قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : معناه –والله أعلم– والله يدعو إلى عمل الجنة، وقال: الله السلام، وداره الجنة(٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ أي يكرم من يشاء بالهداية إلى دين قائم برهان الله عز وجل وهو الإسلام.

وفي هذا بيان أن من تمسك بما أمره الله عز وجل به من عمل الآخرة هداه الله عز وجل إلى طريق الآخرة(٣)، ويقال: معنى دار السلام: الدار التي يَسْلَم أهلها من الآفات والأمراض والهرم والموت(٤)، والسلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة واللذاذ واللذاذة(٥).

وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٣/٣).
ومدارك التنزيل للنصفي (٢٢٩/٢).
وروح المعاني للألوسي (٤٧٩/٧).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦١).

(١) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١٥٣/١٢).
وينظر: تفسير السمعاني (٤١٤/٢)، ولباب التأويل للخازن (٣٩٢/٣).
وروح المعاني للألوسي (٤٧٩/٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢٩٣/٢)، ومن طريقه الطبري (١٥٢/١٢).
كما ذكره النحاس في معاني القرآن (٢٨٨/٣) عن قتادة.
والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٥/٣) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣١/٦).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٠/٣) عن قتادة.
وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير (١٢٢/٣) لابن عباس والحسن والسدي. والفيروز آبادي في تنوير المقباس (١٧٢/١).

(٣) ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١٥٤/١٢).
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٢/٢).
والسمعاني في تفسيره (٣٧٧/٢).

(٤) ذكر هذا المعنى الزجاج في معانيه (٢٩١/٢)ز
والسمرقندي في بحر العلوم (٥٠٠/١).
والماوردي في النكت والعيون (١٦٥/٢)، وعزاه للزجاج.
والسمعاني في تفسيره (٣٧٧/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١٣٠/٢).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٠/١٠).

(٥) ذكر ذلك الزجاجي في كتابه اشتقاق أسماء الله الحسنى (٢١٥-٢١٦).
تحقيق: عبد رب الحسين المبارك،الناشر: مؤسسة الرسالة-سنة النشر: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م الطبعة : الثانية.

وعن أبي قلابة[١] -رضي الله عنه –عن رسول الله ﷺ أنه قال: نامت عيني وعقل قلبي وسمع أذني ثم قيل له :سيدٌ بنى داراً أو وضع مأدبَة وأرسل داعياً، فمن أجاب الداعي ودخل الدار أكل من المأْدُبَة ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعي [ولم] [٢] يدخل الدار لم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد، فالله تعالى السيد، والدار الإسلام والمأدبة الجنة والداعي محمد ﷺ[٣].

وإنما تخصص الهداية بالمشيئة في آخر الآية؛ قال بعض المفسرين: إن الدعوة عامَّة، لأنه دعا جميع الخلق والهداية خاصة[٤]، لأن معناها التوفيق وهذا فضل من الله عز وجل وفضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء.

كما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٠/٣).
والقرطبي (المرجع السابق).

(١) أبو قُلابة "هو: عبد الله بن زيد الجرمي البصري، أحمد أعلام التابعين، ثقة كثير الإرسال مات سنة أربع ومائة. وأبو قلابة ممن ابتلى في بدنه ودينه أريد على القضاء بالبصرة فهرب إلى الشام، وقد ذهبت رجلاه ويداه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر.
راجع : الثقات لابن حبان (٢/٥). والتقريب لابن حجر (٣٠٤/١)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٣١/٩).
وتذكرة الحفاظ (٤٩/١).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣/٢) عن معمر عن أيوب قال: عن أبي قلابة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قيل لي : لتنم عينك، وليعقل قلبك، ولسمع أذنك .... الحديث".
كما أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٤/١٢)، عن محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة بلفظ عبد الرزاق-وهو مرسل بهذا السند. كما أخرج نحوه بسند آخر متصل من حديث الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. راجع : تفسير ابن كثير (٤٢٩/٢).
وأصل حديث جابر في البخاري، باب: الاعتصام، كتاب : الاقتداء بسنة النبي ﷺ حديث رقم (٦٨٥٢) كما ذكره الترمذي في سننه عن جابر، كتاب: الامثال: باب ما جاء في مثل الله لعباده حديث رقم (٢٨٦٠).
قال الترمذي : هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله.
قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.
ينظر: الجامع الصحيح – سنن الترمذي (١٤٥/٥).
وقد ذكره من المفسرين : الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٢/٦) بنحوه.
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٢/٢) عن أبي قلابة عن أنس بلفظ المؤلف –والماوردي في النكت والعيون (١٦٥/٢) عن جابر والبغوي في معالم التنزيل (١٣/٢) عن جابر والخازن في لباب التأويل (٣٩٣/٣)عن جابر أيضاً .

(٤) ذكر هذا المعنى الواحدي في الوجيز (٣١٣/١).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨١/٣)، بنحوه. وابن عطية في تفسيره (١٣٠/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣/٤). والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨١/١٠).
والنيسابوري في تفسيره (٢٤٧/٤). والثعالبي في تفسيره (١٧٦/٢).

وقال بعضهم : أراد بلفظ الهداية: الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون إلى النار[١].

ويقال: إنما أضاف الهدى إلى نفسه؛ لأن أفعال الله تعالى تضاف إليه بالمشيئة ليكون أعظم وأجل على الاقتدار وبالله التوفيق.

قوله عز وجل : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾، وذلك أن الله عز وجل لما بين من قبل أنه يدعوا إلى دار السلام من بعد ما يحصل للمجيب الطائع[٢]، فقال عز من قائل : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فيما دعاهم إليه بالتمسك بالعمل الصالح
واجتناب الكبائر[٣]، لهم الحسنى: وهي الجنة ولذاتها[١].

قال الإمام السعدي رحمه الله: (ص: ٣٩) (عم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك، والترغيب فيه، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة بعد البيان والرسل.

(١) ذكر هذا القول الطبري في جامع البيان (١٦٨/١)، عن تفسيره لقوله تعالى : ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦].
حيث قال: وقد زعم بعضهم أن معنى قوله. ﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ : أسلكنا طريق الجنة في المعاد، أي قدمنا له وامض بنا إليه.
ثم ذكر أن معنى قوله : (اهدنا) إنما هو مسألة الثبات على الهدى فيما بقى من عمره.
كما أشار إلى هذا المعنى: الرازي في مفاتيح الغيب (٢٥١/٣).
والنيسابوري في تفسيره (١٩/٢).
والألوسي في روح المعاني (٧٣/١).
كما ذكر القاسمي رحمه الله عند تفسيره لأية الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم)كلاماً شافياً وافياً حول أقوال العلماء في تفسير الهداية وأورد كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله حول ذلك.
ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٦/١).

(٢) هذا ربط بين هذه الآية والآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (١٥٦/١٢) بنحو ما ذكر المؤلف هنا.
كما ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١١٢/٢) بنحوه.
وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان (١٢٩/٥)بنحوه أيضاً .

وقوله : ﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾مؤنث الحُسْن، كما يقال:أكبر وكُبْرى واصغر وصُغْرَى[٢]، وقيل: إن الحسنى هي الحالة الجامعة للذاب والنعم على أكمل

ما يكون[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:حين تَلى هذه الآية أو تكتبُ عنده، أتدرون ما الزيادة ؟ قالوا: ما هي يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: الحسنى : الجنة، والزيادة: النظر إلى رحمه الله عز وجل[٤].

والبغوي في معالم التنزيل (٩٠/٣) وأبو حيان في البحر المحيط (١١٨/٥) وابن كثير في تفسيره (٥٠٤/٢)، والسعدي في تفسيره (٣٦٢).

(١) ينظر: تفسير مقاتل (٩٠/٢)، وتفسير الطبري (المرجع السابق).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥/)،
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٣٢/٦-٣٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٢/٢).
وتفسير الماوردي (٤٣٢/٢)، والوجيز للواحدي (٤٩٥/١).
ومعالم التنزيل (المرجع السابق).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤/٤) قال: وبه قال الأكثرون.
ولباب التأويل للخازن (١٨٦/٣) والبحر المحيط لأبي حيان (١١٨/٥)
قال: والحسنى قال الأكثرون : هي الجنة.
والدر المنثور للسيوطي (٣٥٧/٤-٣٥٨).

(٢) ينظر: لسان العرب: باب : حسن : (١١٤/١٣)، والقاموس الفقهي : حرف الحاء (٩٠/١).

(٣) لم أجد هذا القول عند أحد ممن سبقه إلا عند الإمام الطبري رحمه الله بعد ذكره لأقوال واختلاف العلماء في تفسيره الزيادة، حيث قال رحمه الله (وغير مستنكر من فضل الله أن يجتمع ذلك لهم، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله، فأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يعم كما عمه عز ذكره) راجع: جامع البيان للطبري (١٦٥/١٢).
كما ذكره من بعده المفسرين ابن عطية في المحرر الوجيز (١٣١/٣) ونسبه للطبري.
والبيضاوي في أنوار التنزيل (١٩٣/٣) بمعناه.
وأبو حيان في البحر المحيط (١١٨/٥)، ونسبه للطبري قال: قال الطبري: الحسنى عام في كل حسن. وكذلك ابن كثير في تفسيره (٥٠٤/٢ -٥٠٥).

(٤) هذا الأثر أخرج نحوه الطبري في قسيره مختصراً (١٥٦/١٢) من طريقين عن أبي بكر الصديق كلاهما صحيحة : الأولى من طريق عامر بن سعد البجلي، تابعي ثقة له في الصحيح حديث واحد، وروايته عن أبي بكر الصديق، مرسله، راجع : الثقات لابن حبان: باب العين: (١٨٩/٥)، وتهذيب التهذيب: حرف العين (١٢٨/٢٠)، والثانية: عن سعيد بن نمران الناعطي، روى عن أبي بكر الصديق، روى علي بن أبي طالب. راجع: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (باب النون: ٦٨/٤)، والثقات لابن حبان : باب السنين (٢٨٩/٤).
والثقات لابن حبان : باب السين (٢٨٩/٤).
كما ذكر ذلك عن أبي بكر الصديق ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٤٥/٦).
والثعلبي في تفسيره (١٢٩/٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٩٠/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٠/٣)، والخازن في لباب التأويل (١٨٦/٣).
وابن كثير في تفسيره أيضاً (٥٠٤/٢)

وأراد بهذا النظر إلى الله سبحانه كانت أحسن في إطلاق النظر إلى وجه الله عز وجل يوهم أن المراد به النظر إلى العضو الذي هو الوجه من الله عز وجل تعالى الله عن ذلك(١).

والسيوطي في الدر المنثور (٣٥٨/٤)، وعزاه إلى ابن أبي شيبه وابن جرير.
كما ذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٣/٦) غير منسوب.
قلت : وهذا هو الصحيح الوارد في تفسير هذه الآية كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، الحديث (٤٦٧-٤٦٨) (١١٢/١).
قال الشيخ: محمد ابن عثيمين رحمه الله: قوله تعالى : ﴿ للذين أحسن الحسنى وزيادة﴾ (يونس: ٢٦) فسر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحاً من حديث أبي موسى، وأبي بن كعب، ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عُجرة، وفي صحيح مسلم عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ في حديث قال فيه: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦].
المصدر: المكتبة المقروءة من موقع الشيخ: محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.
www.ibnothaimeen.com

(١) هذا تأويل للأية على طريقة الأشاعرة والماتريدية، والمعتزلة من تأويلهم الوجه بالذات، والحق ما قاله أهل السنة في آيات الصفات جميعاً كما سبق توضيحه في (ص:١٣٥-١٣٦) عند تفسير الآية: ٣ من سورة يونس.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ما نصه : وقوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٢٧] وقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] تضمنت هاتان الآيتان إثبات صفة الوجه لله عز وجل، والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق: أن الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثبات كونه تعالى مركباً من أعضاء، كما يقوله المجسمه، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهاً ولا يشبهه وجه، واستدلت المعطلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الذات، إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك، ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر، إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتاً للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه. على أنه يمكن رفع مجازهم بطريق آخر؛ فيقال: إنه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات، بدلاً من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات، وقد ذكر البيهقي نقلاً عن الخطابي أنه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال : ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾؛ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله : ﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ صفة للوجه، والوجه صفة للذات، وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو لغيرها في مثل قوله عليه السلام: (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ...). وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري : (حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) انتهى كلامه رحمه الله.
ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٤٤/٣).
وشرح العقيدة الواسطية لمحمد هراس (١٢٠/١-١٢١-١٢٢).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله وجماعة من المفسرين رحمهم الله أن المراد بالزيادة تضعيف الأجر على الطاعة[١] كما قال عز وجل : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٢].

ويقال: أراد بالزيادة رضى الرب[٣]، كما روى في بعض الروايات: أن أهل الجنة يؤتون بالتحف والكرامات ويقول رب العزة: رضيت عنكم، فهل رضيتم عني[٤]؟

وقوله عز وجل : ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ أي لا يلحق [ولا يعلو] [٥] وجوههم سواد -وهو كسوف الوجه- ولا ذلة، ولا هوان ولا حزن[٦]، [لا يكون] [١] نعيم الجنة كنعيم الدنيا لا يشوبها التنغيص والتنكيد،

---

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره (١٦٣/١٢).
والزجاج في معاني القرآن (١٥/٣) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٣/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٣/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٠/٥).
والماوردي في النكت والعيون (٤٣٣/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٩٠/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥/٤).
والخازن في لباب التأويل (١٨٦/٣).
وابن كثير في تفسيره (٥٠٤/٢).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٦٠/٤-٣٦١).

(٢) سورة (الأنعام : ١٦٠)..

(٣) ذكر ذلك السمرقندي في بحر العلوم (١١٣/٢).
والماوردي (٤٣٣/٢) عن مجاهد.
والسمعاني (٣٧٩/٢) عن مجاهد.
والبغوي (٩٠/٣)عن مجاهد أيضاً .
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥/٤) عن مجاهد أيضاً .

(٤) ذكر هذه الرواية بمعناها السمرقندي (المرجع السابق).
وأصل هذه الرواية في صحيح مسلم كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم ابداً) حديث رقم (٢٨٢٩) (٢١٧٦/٤)،عن أبي سعيد الخدري.
ولفظ مسلم: أن النبي ﷺ قال: إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟
فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول :أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً .

(٥) أدرجت من الهامش لأنه مشار لها في المتن وهي ثابتة في (ب).

(٦) ذكر هذه المعاني: مقاتل بن سلميان في تفسيره (٩٠/٢).
والطبري في جامع البيان (١٦٥/١٢)، والسمرقندي في بحر العلوم (١١٣/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٠/٥)، والماوردي في النكت والعيون (٤٣٣/٢).

والرهق[٢] في اللغة: هو اللحوق، ومنه قولهم للصبي إذا قارب البلوغ إنه مراهق أي قارب الاحتلام، والقتر[٣]: غبرة فيها سواد.

وقوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ظاهر المراد منها وبالله التوفيق.

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

معناه:والذين أَ بَوا طاعة الله عز وجل فيما أمرهم به ونهاهم عنه يجازيهم الله عز وجل على المعصية بما يستحقونه من العقوبة ولا يجازيهم بأكثر من الاستحقاق، بخلاف الطاعة فإن الله عز وجل قد يتفضل على المطيع بزيارة الأجر، فإنه كان يجوز أن يتفضل ابتداءً بتلك الزيارة، وكان لا يجوز أن يعاقب ابتداءاً، ولا [٢٩٧/ب] يجوز أن يزيد على قدر المستحق من العقاب بالمعصية[٤].

والبغوي في معالم التنزيل (٩٠/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥/٤).
وأبو حيان في البحر المحيط (١١٨/٥).

(١) بزيادة (و) في (ب) (ولا يكون).
(٢) ينظر: العين (باب: الهاء والقاف والراء) (٣٦٦/٣).
ولسان العرب : (باب : رق) (١٢٨/١٠).
وتهذيب اللغة (٢٥٩/٥).
ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٧٧/١).
(٣) ينظر: العين: المرجع السابق، باب: القاف والتاء (١٢٥/٥).
ولسان العرب (باب: قتر) (٧٢/٥)، وقد ذكر هذه المعاني الزجاج (١٥/٣).
والماوردي في النكت والعيون (٤٣٣/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٥/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٥/١٠).
(٤) هذا ربط بين هذه الآية والآية التي قبلها وهذا المعنى هو من كلام المصنف رحمه الله وقد أشار إليه بعض المفسرين.
كالماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٤/٦-٣٥) والسمرقندي في بحر العلوم (١١٣/٢) والسمعاني في تفسيره (٣٧٩/٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٩١/٣).
والخازن في لباب التأويل (١٨٧/٣)، حيث قال رحمه الله :

وقوله عز وجل : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تعلوهم كآبة وكسوف وهوان[1] لأن العقاب لا يكون عقاباً بمجرد الألم وإنما يكون عقاباً بما يقاربه من أراد به الإذلال والإهانة.

وقوله عز وجل : ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ معناه: ما لهم من حافظ يدفع عقاب الله عنهم[2].

وقوله عز وجل : ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ معناه: كأنما أُلْبِسَت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً[3]. من قرأ (قِطْعاً) بتسكين الطاء، فَمُظْلِماً نعتاً لقطع، ومن قرأ (قِطَعاً من الليل مظلماً) بنصب الطاء فالقطع جمع قطعة، ومظلماً حال من الليل، المعنى : قطعا من الليل في حال ظلمته[4].

والمقصود من هذا التقييد، التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لأن الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضاعف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وأمَّا السيئات فإنه يجازي عليها بمثلها عدلاً منه سبحانه.

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١١٣/٢).
والوجيز للواحدي (٤٩٦/١).
ولباب التأويل للخازن (١٨٧/٣).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (٩٠/٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٣/٢).
وتفسير الواحدي (٤٩٦/١).
ولباب التأويل للخازن (١٨٧/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٨/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٣٥/٦).
والوجيز للواحدي (٤٩٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩١/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٤).
ولباب التأويل للخازن (١٨٧/٣).

(٤) قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي بإسكان العين، وقرأ الباقون بفتحها وحجة من فتح أنه جعله جمع (قِطْعة) كـ(دِمْنه ودِمَن) ففيه المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون مُظْلِماً حالاً من "الليل" ولا يكون حالاً من القطع ولا من ضمير في الليل، لأن ذلك جمع و (مُظلماً) واحد. وحجة من أسكن أنه أجراه على التوحيد، على أنه بعض الليل، فيكون (مُظلماً " صفة لـ "قطع" أو حالاً من الضمير في "من الليل" ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٣/٢).
الكشف عن وجوه القراءات لمكي (٩٤/٢)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٨١).
وإتحاف فضلاء البشر (٢٨/٢)، والمغني للدكتور محمد سالم محيسن، (٢٢٨/٢-٢٢٩).

وقوله عز وجل : ﴿ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وقد تقدم تفسيره[١]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الآية في أهل الشرك[٢]، وقوله عز وجل : (وجزاء سيئة بمثلها) أي قصاص بالله تعالى النار، ليس في النار زيادة على جزاء المثل إذ لا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أشد من النار[٣] كما قال الله عز وجل : ﴿جزاءاً وفاقاً ﴾[٤].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم[٥]* إلى يوم القيامة، وإن لونها لأشد سواداً من القتر في عينين خضراوين، وأهلها سود وكذلك طبقاتها وشرابها، والذي نفس محمد بيده لو أطلع رجل من أهلها على الأرض لاسودت له الأرض من شدة سواده[٦]*.

---

(١) ذكر معنى هذه الآية عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . [البقرة: ٣٩].

(٢) لم أقف على قول ابن عباس فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٣) ذكر هذا المعنى السمرقندي في بحر العلوم (١١٣/٢).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٦/١٠).
وأبو السعود في تفسيره (١٣٨/٤).
والشوكاني في فتح القدير (٦٣٥/٢).

(٤) سورة النبأ : (٢٦).

(٥) هذا الحديث أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوتا بلفظ : (فهي سوداء مظلمة) ورجح وقفه، وقال: والموقوف أصح، وأخرجه ابن ماجه مرفوعاً بلفظ (فهي كالليل المظلم)- كلاهما من حديث أبي هريرة.
ورواه ابن أبي شيبه موقوفاً وفيه : (ابيضت) قبل (احمرت).
كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤) فقال: .... فذكره. ينظر: سنن الترمذي (٧١٠/٤)، وسنن ابن ماجه (١٤٤٥/٢)، ومصنف ابن أبي شيبه (٥٤/٤) وشعب الإيمان للبيهقي (٤٨٩/١)، وقد أورد هذا الأثر بعض المفسرين : كالسمرقندي في بحر العلوم (١١٤/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٧/١٠١)، والخازن في لباب التأويل عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما أدراك ما الحطمة) سورة الهمزة (٢٩٠/٧) ، وابن كثير عند تفسيره لسورة القارعة (٦٦٦/٤).

(٦) لم أقف على هذا الكلام فيما بين يدي من المصادر والمراجع إلا ما روى عن الضحاك أنه أنه قال: (جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود). وهذا القول ورد في تفسير الضحاك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ (سورة الكهف آية : ٢٩)، ينظر: تفسير الضحاك (٥٤٥/٢).
كما أخرجه الطبري بسنده عن الضحاك عن تفسيره للآية نفسها.
ينظر: جامع البيان (١٣/١٨).

قوله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

معناه : يوم نحشرهم جميعاً من قبورهم إلى المحشر للفصل بينهم[١]، والحشر في اللغة[٢]: جمع الحيوان من كل مكان، وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ معناه: ثم نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيرهم[٣]، وأشركوا في أموالهم[٤] كما قال الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [٥].

وقوله عز وجل : ﴿ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ أي يقال: قفوا أنتم وآلهتكم[٦]، وهذه كلمة تهديد، كما يقول آخذ بالعبرة مكانك، أي إلزم مكانك مكانك حتى تنظر ماذا يحل بك لسوء صنيعك وحتى يفصل بينك وبين خصمك[٧].

وقوله عز وجل : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ففرقنا بين الكفار وبين آلهتهم في القول بالاختلاف الذي يكون بينهم[٨] وليس هذا من الإزالة، ولكنه من

---

(١) ذكر هذا المعنى الطبري في تفسيره (١٧٠/١٢) بنحوه.
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٤/٢)بنحوه أيضاً .
(٢) ينظر: العين: باب الحاء والشين والراء (٩٢/٣).
ولسان العرب : باب : حشر، (١٩٠/٤).
وتهذيب اللغة (١٠٥/٤-١٠٦).
وتاج العروس، باب: حشر، (١٨/١١-٢٣).
(٣) ذكر هذا المعنى الطبري (المرجع السابق).
(٤) لم أجد هذا المعنى فيما بين يدي من المصادر والمراجع عند من سبق المصنف ولعله من من تعليقه رحمه الله، وقد أشار إليه من بعده كالنيسابوري في تفسيره (٢٤٩/٤).
والخازن في تفسيره (١٨٧/٣) والفخر الرازي في تفسيره (٢٤٤/٦).
حيث قال : وإنما سماهم شركاؤهم، لأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم.
(٥) [الأنعام : ١٣٦].
(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٠/١٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٤/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩١/٣). وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٨٨/١٠).
(٧) هذه المعاني أشار إليها الزجاج في معاني القرآن (١٦/٢).
وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٢٦/٤) نقلاً عن الزجاج.
والزمخشري في الكشاف (٣٢٧/٢)مختصراً .
والقرطبي (المرجع السابق)مختصراً .
والألوسي في روح المعاني (١٠٨/١١).
والقاسمي في محاسن التأويل (ص: ٢٨).
والسعدي في تفسيره (ص: ٣٦٢).
(٨) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٠/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٣٦/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥).
والوجيز للواحدي (٤٩٦/١).

قولك:زلت الشيء عن مكانه أزيله زيلاً، والتَّزْييل: ا لكثرة من هذا الباب والمزايلة: هي المفارقة[1].

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم ﴾ معناه : أن الله عز وجل سأل الأصنام التي عبدوها، هل أمرتم هؤلاء بعبادتكم ؟ فيقولون للذين كانوا يعبدونها في الدنيا رَداً عليهم ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بأمرنا ولم نعلم بعبادتكم، ولم يكن فينا روح فنعقل بعبادتكم، فيقول من عبدها: بلى قد عبدناكم، وأمرتمونا فأطعناكم[2]، فيقول الأصنام كما قال الله عز وجل: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

معناه: كفى بالله فاصلاً للحكم بيننا وبينكم ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين لم نعلم شيئاً من ذلك[3]، وفي هذا بيان أن الأصنام لا تجحد أصل عبادة الكفار لها، وإنما ترد عليهم الأمر لهم بعبادتهم، والفائدة في عبارة الأصنام أن

ومعالم التنزيل للبغوي (٩١/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٤) عن ابن عباس.
والسعدي في تفسيره (ص: ٣٦٢).

(١) ذكر هذه المعاني الفراء في معاني القرآن (١٣٤/٢).
والزجاج في معاني القرآن (١٦/٢)، والطبري (المرجع السابق).
والنحاس في معاني القرآن (٢٩١/٢)، والسمرقندي (المرجع السابق).
وابن الجوزي (المرجع السابق).
والقرطبي في تفسيره (٤٨٩/١٠).
والسمين الحلبي في الدر المصون (١٩١/٦).

(٢) ينظر: جامع البيان للبطري (١٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥)، والوجيز للواحدي (٤٩٦/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩٠/١٠).نقلاً عن مجاهد.
ومحاسن التأويل للقاسمي (ص: ٢٨).
وتفسير السعدي، (ص: ٣٦٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٦/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥).
والوجيز للواحدي (٤٩٦/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٦/٤)، نقلاً عن الزجاج.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩٠/١٠).

يظهر الله عز وجل للمشركين ضعف معبوداتهم فيزيدهم بذلك حسرة على عبادتهم[1].

قوله عز وجل : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

من قرأ (تبلوا) بالباء فالمعنى عن ذلك نخبر كل نفس جزاء ما كسبت وقدمت من خير أو شر، ومن قرأ (تتلوا) بتائين، فالمعنى تقرأ كل نفس كتاب عملها، ويجوز أن يكون معناه : تتبع كل نفس جزاء عملها[2]، وهنالك: من حروف الظرف أصله هناك واللام زائدة والكاف للمخاطبة كُسِرت اللام لسكونها وسكون الألف[3].

وقوله عز وجل : ﴿ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ معناه : ردوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك فيه الحكم أحد إلا الله عز وجل[4]، والحق: هو الذي

---

(١) قال السمرقندي في بحر العلوم (١١٤/٢)، والفائدة في إحضار الأصنام أن يظهر عند المشركين ضعف معبودهم فيزيدهم حسرة على ذلك.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاءين من فوق(تَتْلُوا)، أي: تتطلب وتتبع، ما أسلفته من أعمالها، أو المراد: تقرأ كل نفس ما عملته مسطراً، في مصحف الحفظة، لقوله تعالى: ﴿اقرأ كتابك﴾ [الإسراء : ١٤] وافقهم الأعمش.
والباقون بالتاء من فوق، والباء الموحدة(تَبْلُوا) من البلاء، أي تختبر ما قدمت من عمل، فتعاين قبحه وحسنه.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٣/٢)، والكشف لمكي (٩٤/٢).
والحجة لابن خالويه، (ص: ١٨١)، واتحاف فضلاء البشر (٢٨/٢).

(٣) كلام المصنف هنا نقلاً عن الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١٧/٢).
وللفائدة يراجع: توضيح المقاصد والمسالك لأبي محمد المرادي (٤١٤/١-٤١٥).
شرح وتحقيق/ عبد الرحمن علي سليمان، الناشر: دار الفكر العربي.
الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٦٩/١).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٣٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٣/٣)، معالم التنزيل للبغوي (٩٢/٣).
مفاتيح الغيب للرازي (٢٤٦/٦)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٦/٣).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٧٠/١١)، وفتح القدير للشوكاني (٥٤٥/٢).

يكون معنى اللفظ حاصلاً له على [الحقيقة] [(١)]، والله عز وجل حق لأن معنى الإلهية حاصل له على الحقيقة لاقتداره على جميع الأشياء[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ معناه : بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب الأصنام [إنها] [(٣)].

آلهة تشفع عند الله عز وجل[(٤)]. قوله عز وجل : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ [٢٩٨/أ] ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

معناه : قل لكفار مكة من يرزقكم من السماء المطر ومن الأرض النبات والثمر، أمن يقدر أن يخلق لكم السمع والأبصار ومن يخرج الحي من النطفة، والنطفة من الحي، والفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ والسنبلة من الحبة والحبة من السنبلة، ومن يدبر أمر العباد على ما توجبه الحكمة، وما يكون فيه قوام معايشهم، فسيعترفون بأن الله سبحانه فعل هذه الأشياء وأن الأصنام لا تقدر على فعل شيء منها وقل لهم يا محمد: أفلا تخافون من عقاب الله؟ ولماذا تعبدون الأصنام[(٥)] ؟

---

(١) أضيفت من الهامش لأنه مشار لها في المتن ويقتضيها المعنى وهي مثبتة في (ب).

(٢) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من أشار إلى هذا المعنى ممن سبق عصر المصنف، وقد أشار إليه بعض المفسرين بعده: كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٩١/١٠). والبيضاوي (المرجع السابق).
قال الجرجاني في التعريفات: الحق: اسم من أسمائه تعالى، والشيء الحق أي الثابت حقيقة ويستعمل في الصدق والصواب أيضاً .
راجع: التعريفات للجرجاني (١٢٠/١)، والقاموس الفقهي (٩٤/١).

(٣) بزيادة : واو في (ب) وإنها.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٥/١٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (٥٣٦/١)، عند تفسيره للآية: ٥٣ من سورة الأعراف. والكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥)، والنكت والعيون للماوردي(٤٣٤/٢).
والوجيز للواحدي (٦١٦/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٠٦/٢)، وذلك عند تفسيره للآية: ٢٤ من سورة الأنعام، والكشاف للزمخشري (٣٢٨/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨/٣)، عند تفسيره للآية: ٢٤من سورة الأنعام أيضاً .
ولباب التأويل للخازن (١٧٨/٣).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩١/٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٠/١) وذلك عند تفسيره للآية : ٢٧ من سورة آل عمران. وفصل أقوال المفسرين في ذلك.

قوله عز وجل : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

معناه : إن الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر هو ربكم الحق دون الأصنام، [فما] [(١)] يردكم عن عبارة الله عز وجل؟ وهو الحق، لا عبادتكم الأصنام الباطلة [إلا الضلال] فمن أين تصرفون عن الإيمان بالله وإخلاص الطاعة له بعد المعرفة[(٢)].

قوله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

معناه : كما وجبت كلمة العذاب فيهم كذلك وجبت على كل من تمرد بالكفر[(٣)]. وقوله عز وجل : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يجري مجرى التعليل كأنه قال: بإصرارهم على الكفر، لأن كل ما كان تمردهم أكثر كانوا في الكفر أشد ضلالة، وإلا فقد أمن كثير من الكفار[(٤)]، ويجوز أن يكون وجه التشبيه

ومفاتيح الغيب للرازي (٢٤٧/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩٠/١٠).
ولباب التأويل للخازن (١٨٨/٣)، وتفسير السعدي (ص: ٣٦٢).

(١) في (ب) : (فمن).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٥/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٢٩/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٣/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩١/١٠)، (٤٩٨/١٠).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٨/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٥/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٧/٣).
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٨/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٢/٣).
كما أشار إلى هذا المعنى مختصراً ، السمرقندي في بحر العلوم (١١٥/٢).

في أول هذه الآية أن الوعيد من الله عز وجل للكفار بالنار في الصحة كالقول: فإنه ليس بعد الحق إلا الضلال[(١)].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (وجبت كلمة العقاب عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام) [(٢)].

وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩/٤)نقلاً عن الزجاج.
وكذلك الزمخشري في الكشاف (٣٢٨/٢)، والنسفي في مدارك التنزيل (٢٣٤/٢).
والسمين الحلبي في الدر المصون (١٩٦/٦).
والشوكاني في فتح القدير (٥٥١/٢) حيث قال: ويجوز أن تكون الجملة تعليلية لما قبلها بتقدير اللام: أي لأنهم لا يؤمنون.

(١) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع التي سبقت عصر المصنف رحمه الله من ذكر هذا المعنى وقد أشار إليها بعض المفسرين بعده منهم: الزمخشري في تفسيره الكشاف (٣٢٩/٢)، حيث قال: كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال، وكما حق أنهم مصروفون عن الحق، فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا. وأيضاً الرازي في مفاتيح الغيب (٢٨٢/٦) حيث قال: كما ثبت وحق أنه ليس بعد الحق إلا الضلال كذلك حقت كلمة ربك بأنهم لا يؤمنون.
والخازن لباب التأويل (١٨٨/٣)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٥٦/٥).
والشوكاني في فتح القدير (٥٥١/٢).

(٢) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع أحداً من المفسرين نسب هذا القول إلى ابن عباس، ولكن قد أشار إلى معناه بعضهم كالزمخشري في الكشاف (٣٢٩/٢).
والخازن في لباب التأويل (١٨٨/٣).

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

معناه : قل يا محمد : هل من شركائكم الذين أشركتم مع الله تعالى في العبادة من ينشئ الخلق من النطفة بعد أن لم تكن ويجعل فيه الروح[(١)].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ فيه اختصار لأن الإعادة رد الشيء إلى الحالة الأولى ولا يكون ذلك إلا بعد فناء الخلق[(٢)]، فيكون تقدير الآية: من يبدأ الخلق ثم يفنيه ثم يبعثه، فإن أجابوك : الله يفعل ذلك، وإلا فقل:الله يبدؤُ الخلق من النطفة ثم يفنيه ثم يعيده في الآخرة[(٣)].

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾أي من أين تُقْلَبُون عن الإيمان بالله عز وجل والإخلاص بالطاعة[(٤)] [له] [(٥)].

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

معناه : قل لهم: أمن آلهتكم من يهدي الناس الرشد وما فيه صلاح لهم، قل: الله يهدي الناس إلى الرشاد وما فيه صلاح الإنسان[(١)]، يقال هُدِيتُ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢).
كما ذكر هذا المعنى : الطبري في جامع البيان (١٧٩/١٢)، والسمرقندي في بحر العلوم (١١٥/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٣١/٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٩٢/٣). والرازي في مفاتيح الغيب (٢٨٤/٦).
(٢) قال الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٩/٦)، قال عامة أهل التأويل (ثم يعيده) البعث بعد الموت كما ذكر هذا المعنى: البيضاوي في أنوار التنزيل (١٩٧/٣).
(٣) هذا المعنى أشار إليه: الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٧/٨).
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٦/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٣١/٥).
والبغوي في معالم التنزيل (٩٢/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٤٩/١٠).
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (المرجع السابق).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٩٩/١٠).
وفتح القدير للشوكاني (٦٤٢/٢).
(٥) ساقطة من (ب).

إلى الحق، وهُدِيتُ للحق ومعناهما واحد؛ لأن هُدِيتُ يتعدى إلى المَهْدِيِّين وإلى الحق، ومعنى يهدي للحق: يهدي من يشاء للحق[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ معناه : أفمن يدعو إلى تحمل الحق أحق أن يطاع ويُعْمَل بأمره ؟ يعني الأصنام كأنه قال : إن الذين يعبدونها من دون الله لا تهدي بأنفسها إلا أن يهديها غيرها [٣].

واختلفت القراءة في قوله عز وجل : ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ﴾

وأجودها قراءتان:يَهَدّى) بفتح الهاء، (يَهِدِّىٓ) بكسر الهاء والأصل في ذلك (يهتدي) أدغمت التاء في الدال وطرح فتحها على الهاء وكسرت الهاء بالتقاء الساكنين، ومن قرأ:يَهِـدِّي) بكسر الياء والهاء أتبع الكسرة الكسرة. ومن قرأ:يَهْدِي) بجزم الهاء[٤].

---

(١) أشار إلى هذا المعنى: الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٢)، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٠/٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٣١/٥)، والخازن في لباب التأويل (١٩٨/٣)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٣٢/٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٩/٢).
وينظر مفاتيح الغيب للرازي (٢٥٠/٦)، نقلاً عن الزجاج. وزاد والله تعالى ذكر هاتين اللغتين في قوله : ﴿قل الله يهدي للحق أفمن يهدى إلى الحق﴾. كما ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب: باب هدى (٣٥٣/٥)، والأزهري في تهذيب اللغة (٢٠١/٦) نقلاً عن الزجاج.

(٣) ذكر هذا المعنى : الفراء في معاني القرآن (١٣٦/٢).
كما أشار إلى ذلك : الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٢).
ورجح رحمه الله أن المعنى: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهتدي إلى شيء إلا أن يهدى ؟ ، والسمرقندي في بحر العلوم (١١٥/٢).
والزمخشري في الكشاف (٣٣٠/٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٣١/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٦٩/١٠).

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر وورش بفتح الياء والهاء وتشديد الدال:يَهَدِّي) وكذلك قرأ أبو عمر وقالون غير أنهما اختلسا فتحة الهاء، وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الهاء والتخفيف:يَهْدِي)وقرأ حفص بفتح الياء وكسر الهاء والتشديد:يَهِدِّي) وكذلك قرأ أبو بكر، غير أنه كسر الياء مع كسر الهاء:يِهِدِّي).
راجع : النشر في القراءات العشر (٢٨٣/٢).
والكشف لمكي بن أبي طالب (٩٥/٢).
والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٣-١٨٤).
وإتحاف فلاء البشر للدمياطي (٣١/٢).

قال الكسائي: قوم من العرب يقولون: هُدِيتُ الطريق واهتديته بمعنى اهتديت[1].

وقوله عز جل : ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي شيء لكم في عبادة الأوثان، فكيف تقضون لأنفسكم فتعبدون من لا يستحق العبادة[2]. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما أنزل الله عز وجل هذه الأيات ولم يؤمنوا وغلب عليهم الشقاء أنزل[3] الله عز وجل : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

معناه: وما يعبد أكثرهم الأصنام إلا تقليداً لآبائهم وقبائلهم بظن بظنونه في غير يقين، يعني: أن رؤساؤهم قالت لهم : الأصنام تشفع لهم عند الله تعالى أمَّا السفلة فلا يعملون إلا ما قالت لهم [٢٩٨/ب] رؤساؤهم[4]، وقوله عز وجل : ﴿ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ معناه: إن الظن في موضع يمكن الوقوف فيه على العلم لا يغني عن الحق شيئا، لأنه لا يكون ذلك بمنزلة من عرف شيئاً باليقين ثم ترك ما عرفه بالظن، فإن عمله بالظن لا يغني عن عمل الحق شيئا، وعبادة الصنم بالظن لا

والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن (٢٣١/٢).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٥٤/٢) وتهذيب اللغة للأزهري (٢٠١/٦).
والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري (٥٧٧/٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠/٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤١/٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٢/٥).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٢/١٠)، ولباب التأويل للخازن (١٨٩/٣).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٤).

(٣) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من نسب هذا القول إلى ابن عباس غير المصنف.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٤١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٩٣/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٣٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٢/١٠).
ولباب التأويل للخازن (١٨٩/٣).

تغني من عذاب الله تعالى شيئاً [1]، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ وعيد لهم على كفرهم[2].

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٧) ﴾ .

جواب عن دعواهم على النبي ﷺ الإفتراء على الله عز وجل وعن قولهم إئت بقرآن غير هذا أو بدله[3]، ومعنى الآية: أن القرآن كلام الله تعالى في أعلى طبقات البلاغة بحسن النظام، ليس هو مما يقدر أحد أن يفتريه على الله عز وجل[4]، ولكن تصديق الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل والزبور لمجيئه شاهداً لها بالصدق [وبكونه] [5] مصداقاً لما

---

(١) ذكر هذا المعنى : الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٢)مختصراً .
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٦/٢)مختصراً .
والبغوي (المرجع السابق مختصر أيضاً) والخازن (المرجع السابق).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٢٦/٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق)، والبحر المحيط (المرجع السابق).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٠٨/٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠/٢).
والوجيز للواحدي (٤٩٨/١).
وأشار إلى هذا المعنى ابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٥/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣٢/٤) ونسبه إلى الزجاج.
والخازن في لباب التأويل ((١٩٠/٣)

(٤) ينظر : جامع البيان للطبري (١٨٢/١٢)، معاني القرآن للنحاس (٢٩٣/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٣/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٣٥/٢).
والوجيز للواحدي (٤٩٨/١)، ولباب التأويل للخازن (المرجع السابق).
وفتح القدير للشوكاني (٥٥٢/٢).
وقد ذكر هذا المعنى ابن كثير في تفسيره (٤٣٣/٢).
والشنقيطي في أضواء البيان (١٥٦/٢).

(٥) في (ب) يكسونه، وهو تصحيف (لكونه) والصحيح كما في الأصل وهو الذي أثبت.

البشارة[1]، ويجوز أن يكون معنى التصديق لما بين يديه: التصديق لما بين يدي القرآن من البعث والنشور والحساب[2].

وقوله عز وجل : (وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ) معناه : ويبين المعاني المختلفة من الحلال والحرام والأمر والنهي لاشك فيه أنه حق من رب العالمين[3]، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ هذه الآية ازدادوا تكذيبا وقالوا ما هو بقرآن

---

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان. (٩٢/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٢/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٠/٢).
وتفسير ابن أبي حاتم (٣٨/٨) ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٣/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢) والنكت والعيون للماوردي (٤٣٥/٢).
وتفسير السمعاني (٣٨٣/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (٩٣/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٥/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٣٢/٤) ونسبه لابن عباس.
ولباب التأويل للخازن (١٩٠/٣)، وتفسير ابن كثير (٤٣٣/٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (المرجع السابق).
ومعاني القرآن للنحاس (المرجع السابق) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٣/٦).
والنكت والعيون (المرجع السابق).
وزاد المسير (المرجع السابق) ونسبة للزجاج.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٣/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٤/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٠/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٢).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٤).

ولا أنزله الله عليك قط فنزل[1] قوله عز وجل : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

معناه: بل يقولون إن محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من تلقاء نفسه، قل يا محمد : إن كان هو اختلقه فأتوا بسورة مثل القرآن لأنه نشأ بين اظهركم وتعلم اللغة منكم، فلو قدر على افتراء القرآن لقدرتم أنتم على الإتيان بسورة مثله، فإذا لم تأتوا مع هذا التقريع، وحرصكم على تكذيبه وإبطال أمره دل أن مثله غير مقدور عليه للبشر[2].

ومعنى الافتراء : هو الإخبار على القطع بالكذب، من قولهم فريت الأديم إذا قطعته[3]. وقوله عز وجل : (﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي استعينوا على الإتيان بسورة مثل القرآن بكل من قدر تم عليه إن كنتم صادقين أن محمد ﷺ يختلقه من تلقاء نفسه[4]، فإن العادة لم تجر بأن [يستعد] [1] إنسان بالاقتدار على كلام لا يقدر أحد أن يأتي بمثله[2].

---

(١) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر ذلك سبباً لنزول الآية، وكأن المصنف والله أعلم ليس يقصد بذلك سبب للنزول وإنما مناسبة للآية.

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري (١٢/١٨٢-١٨٣).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٢١) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٤٣) والكشاف للزمخشري (٢/٣٣١)، وأنور التنزيل للبيضاوي (٣/١٩٩).
ولباب التأويل للخازن (٣/١٩٠).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٣٣).
وفتح القدير للشوكاني (٢/٥٥٣).
وأشار إلى هذا المعنى الشنقيطي في أضواء البيان (٢/١٥٥).

(٣) ينظر : العين للفراهيدي، باب: الراء والفاء (٨/٢٨٠).
وتهذيب اللغة للأزهري (٥/١٧٥).
وتاج العروس للزبيدي (باب: فرى (٣٩/٢٣١).
وقد ذكر ذلك الرازي في مفاتيح الغيب (٦/٢٥٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/١٨٣).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/٢١) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٤٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٢٩٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١١٧).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣٣)، والوجيز للواحدي (١/٤٩٨).

فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ هذه الآية سكتوا فلم يجيبوا، فأنزل[٣] الله تعالى قوله : ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .

معناه : بل كذبوا بما لم يدركوا كيفية ترتيبه ونظمه ولم يرد أنهم لا يعلمون لفظه، فإن ألفاظ القرآن كانت معلومة لهم، وكذلك معانيه[٤].

ومعالم التنزيل للبغوي ((٩٣/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٣٣/٤)، ومدارك التنزيل للنسفي (٢٣٥/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٠/٣)،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٢).

(١) في (ب) يستبد . والصحيح كما في الأصل وهو ما أثبت.
(٢) أشار إلى هذا المعنى السعدي في تفسيره (ص: ٣٦٤) بمعناه.
(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٤/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٣/٦).
وأشار إلى هذا المعنى الماوردي في النكت والعيون (٤٣٦/٢).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٧/٣).
وابن عاشور في التحرير والتنوير (٦١/٧).

وقوله عز وجل : ﴿وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ أي ولم يأتهم عاقبة ما وعدوا به من العذاب على التكذيب[1].

ومعنى التأويل: ما يؤول إليه أمرهم[2]، ويقال: معناه في القرآن: أشياء لم يعلموا معناها وكان لا يمكنهم معرفة معناها إلا بالرجوع إلى النبي ﷺ ولم يرجعوا فيها إلى النبي ﷺ، ولكن كذبوا ولما يأتهم تفسيره ولا نظروا فيما يؤول إليه أمرهم [3].

وقوله عز وجل : ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كما كان عاقبة

هؤلاء الهلاك والعقاب، كذلك يكون عاقبة هؤلاء[4].

---

(١) ينظر : تفسير الضحاك (٤٣٣/١) وجامع ا لبيان للطبري (١٨٤/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢١/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٤/٦)
معاني القرآن للنحاس (٢٩٤/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢)
الكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥) ونسبة للضحاك.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٥/١٠).

(٢) يشير المصنف هنا إلى معنى التأويل في قوله (تأويله) وليس إلى معنى التأويل مطلقاً ينظر: جامع البيان (المرجع السابق) وتأويلات أهل السنة (المرجع السابق) النكت والعيون للماوردي (٤٣٦/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٧/٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (المرجع السابق)، والكشف البيان للثعلبي (المرجع السابق)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٧/٣)مختصراً .
وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٩/٣).
ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٤/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٤/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٥/١٠).
ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٨٦/١١-٨٧).

قولـه تعـز وجـل ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ قال بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في اليهود؛ أي من اليهود من يؤمن بالقرآن في المستقبل ومنهم من يصر على كفره ولا يؤمن به، وربك أعلم باليهود بمن يؤمن ومن لا يؤمن[١].

وقال مقاتل رضي الله عنه : نزلت الآية في أهل مكة[٢] قيل: إن في الآية إشارة إلى أنه لولا أن الله عز وجل كان عالماً بأن منهم من سيؤمن في

المستقبل وإلا لأهلكهم جميعاً في الحال[٣].

وذهب الزجاج في معنى الآية : أن منهم من يؤمن به في نفسه ويعلم صحة القرآن إلا أنه يعاند فيُظْهِر الكفر، ومنهم من يشك ولا يُصَدِّق[٤] فكأنه قال: ومنهم معاندون ومنهم شَكَّون.

---

(١) ذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٤/٦) من غير نسبة.
كما ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١١٧/٢) ونسبه للكلبي.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥٠٥/١٠-٥٠٦) من غير نسبة.
والفيروز آبادي في تنوير المقياس (٢٢٣/١).
ولم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع على هذا السبب مسنداً .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٩٣/٢) وجامع البيان للطبري (١٨٤/١٢-١٨٥).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٤/٦) من غير نسبة.
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٨/٢) ونسبة لمقاتل.
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٣/٥) من غير نسبة.
والوجيز للواحدي (٤٩٩٨).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٤/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٥/١٠-٥٠٦).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٣/٢).
وفتح القدير للشوكاني (٥٤٤/٢).

(٣) أشار إلى هذا المعنى مقاتل ابن سليمان في تفسيره (٩٣/٢) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٤/٦) والسمرقندي في بحر العلوم(١١٨/٢).
والثعلبي (١٣٣/٥).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣٤/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥٠٦/١٠).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٥/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢١/٢-٢٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٥/٣)
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٨/٢) ونسبة للزجاج، وتفسير السمعاني (٣٨٥/٢).
وزادالمسير لابن الجوزي (٣٤/٤)ونسبة للزجاج أيضاً .

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ [٢٩٩/أ] فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

معناه : فإن كذبك قومك بما أتيتهم بـه فقل : لـي جزاء عملـي ولكم جزاء عملكم، أنتم بريئون من جزاء عملي وأنا بريء من جزاء عملكم[١]، فكان هذا القول من النبي ﷺ على جهة حسن العشرة منهم[٢]، لا لأنه كـان شاكاً في جزاء عمله وجزاء أعمالهم، وهذا كما يقول الإنسان لخصمه في المناظرة (لي مذهبي ولك مذهبك) لا يقوله لشكه فـي صـحة مـذهب نفسـه ولكن جهة حسن المعاشرة[٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ معناه : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (نزلت في يهود المدينة كانوا يبلغون إلى مكة فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه

والتحرير والتنوير لابن عاشور (٦٤/٤).
وفتح القدير للشوكاني (٥٥٤/٢).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٥/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٥/٦) وتفسير السمعاني (٣٨٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٤/٣٠) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٦/١٠) ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٢٩/٥)، وفتح القدير للشوكاني (٥٥٤/٢).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٤).

(٢) أشار إلى هذا المعنى الرازي في مفاتيح الغيب (٢٥٧/٦) مختصراً حيث قال: ومعنى الآية: الردع والزجر أو استمالة قلوبهم.
والشنقيطي في أضواء البيان (٣١٧/٢).
حيث قال : والمراد به : حسن المخالقة، وهي المعاملة بحسن الخلق.

(٣) لم أقف على هذا المعنى فيما بين يدي من المصادر والمراجع ولعله والله أعلم من تعليق المصنف رحمه الله.

ويستمعون قراءته فيعجبهم ذلك ويشتهونه ثم يغلب عليهم الشفاء فلا يؤمنون به) [١].

ومعنى الآيتين والله أعلم: ومنهم من يستمع إليك وهو في الظاهر كأنه متفكر فيما تقول (وهو[٢] متفكر فيه)، ومنهم من ينظر إليك نظر من هو في الظاهر مستمع إلى كلامك وطالب الانتفاع به، وليس هو في الحقيقة كذلك[٣].

ويقال معناه :ومنهم من يستمع إليك وينظر استماع الطاعن طلباً في كلامك[٤]. وقوله عز وجل : ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ أي كما لا يقدر أن يسمع كلامك الصم فكذلك لا يقدر على أن ينتفع من يستع إلى كلامك غير طالب الانتفاع به، كما أنك لا تقدر أن تُبصِّر العمي، وكذلك لا يقدر على أن ينفع بما يأتي من الأدلة من ينظر إليها ولا يطلب الانتفاع بها[٥].

---

(١) ذكر هذا السبب السمرقندي في بحر العلوم (١١٨/٢) مختصراً أو نسبة للكلبي.
وابن الجوزي في زاد المسير (٣٤/٤) وقال: إنه مروي عن ابن عباس.
وذكره أبو حيان في البحر المحيط (١٦١/٥) وعزاه إلى ابن الأنباري.

(٢) هكذا في النسختين ولعل هناك سقط لكلمة (غير) لأن المعنى بدونها غير مستقيم والله أعلم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٢/٢).
وينظر : معاني القرآن للنحاس (٢٩٥/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٨/٢)ز
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
وتفسير السمعاني (٢٨٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٣٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٦/١٠-٥٠٧).
ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٦/٦).
والوجيز للواحدي (٤٩٩/١)، وتفسير السمعاني (٣٨٥/٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٤/٤)
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٥).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٣/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٦/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٦/٦).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٧/١٠) ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣).

وفي الآيتين ما يدل على تفضيل السمع على البصر لانه عز وجل ذكر مع الصُّم فقدان العقل، ولم يذكر مع العمي إلا فقدان البصر[1].

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ معنا : أن الله تعالى لا يظلمهم بأن ينقص من حسناتهم ويزيد على سيئاتهم إذ يمنعهم عن الانتفاع بكلامه وأدلته، ولكن الناس أنفسهم يظلمون بأن لا يطلبوا الانتفاع به ويعرضوا عن التفكر[2].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ معناه : ويوم نجمعهم في الموقف كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار[3]، في هذا بيان أن المكث في الدنيا وإن طال كان في جنب الآخرة بمنزلة مكث ساعة من النهار.

وقوله عز وجل : ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي يعرف بعضهم بعضا ويكون في معرفة بعضهم لبعض حسرة على من يعقل لقيام الحجة عليهم[4]، قال

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٤/٢).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٥).

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١١٨/٢٥).
وتفسير السمعاني (٣٨٥/٢) ونسبة لابن قتيبة.
كما ذكر ذلك الرازي في مفاتيح الغيب (٢٥٧/٦) حيث قال: احتج ابن قتيبه بهذه الآية على أن السمع أفضل من البصر، فقال: إن الله تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٨/٢)مختصراً .
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٧/١٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩١/٣) والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٦٢/٥).
وتفسير السعدي (ص : ٣٦٥).

(٣) ينظر: تفسير الضحاك (٤٣٣/١) ، وتفسير مقاتل بن سليمان (٩٢/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٧/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٧/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢) ونسبه إلى مقاتل.
والكشف والعيون للماوردي (٤٣٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٣)ونسبة للضحاك أيضاً .
والكشاف للزمخشري (٣٢٢/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٣٦/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠٨/١٠-٥٠٩).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٤/٢)

(٤) ذكر هذا المعنى :

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك حين يحرجون من قبورهم ثم تنقطع المعرفة[1].

وقوله عز وجل : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ معناه غُ[بـ ِنَ][2] الذين كذبوا بالبعث بعد الموت بذهاب الدنيا والآخرة عنهم وما كانوا مهتدين للحق[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

في الآية وعد من الله عز وجل لنبيه ﷺ أن ينتقم له منهم، إمَّا في حياته أو بعد موته[4]، وقوله عز وجل ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ معناه أنهم لا يفوتوننا ولا يعجزوننا[1].

الزجاج في معاني القرآن (٢٢/٢) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٧/٦) وأشار إليه الواحدي في الوجيز (٤٩٩/١).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣٦/٤) ونسبة إلى الزجاج.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥٠٩/١٠).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٦٣/٥) بمعناه ونسبة للكلبي.

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (١٧٨/١٢) غير منسوب.
والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٧/٦) غير منسوب.
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٩/٢) ونسبة للكلبي.
والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٤/٥) ونسبة لابن عباس.
والماوردي في النكت والعيون (٤٣٧/٢) ونسبة للكلبي.
والبغوي في معالم التنزيل (٩٥/٣) غير منسوب.
والزمخشري في الكشاف (٣٣٣/٢) غير منسوب.
وابن الجوزي (المرجع السابق) ونسبة إلى ابن عباس.
وأبو حيان (المرجع السابق) ونسبة للكلبي.

(٢) في (ب) غير ولعله تحريف لكلمةغُ(ـِ نَ) لأنها لا تناسب المعنى والله أعلم.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٤/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٢/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٤/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٨/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٣/٢).

وقـول عـز وجـل : ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ أي عـالم بأعمـالهم يجـزيهم عليها[2]، وروي عن ابن عباس أنه قـال : نـزل جبريـل عليـه السـلام علـى رسـول الله ﷺ يـوم بـدر فقـال: إن ربـي أمرنـي أن لا أفارقـك اليـوم حتـى ترضى، فهل رضيت؟ قـالعَم يـا جبريـل أرانـي بعض مـا أ َو ْ عـَدَهم فلـه الحمد على ذلك[3].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

معناه : ولكل أمة من الأمم رسول يدعوهم إلـى مـا أمرهم الله عز وجل به ونهاهم عنه، ويبشرهم بالجنة وينذرهم النار[4].

والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥١٠/١٠).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٥/٢).

(١) ينظر : جامع البيان (المرجع السابق).
ومعاني القرآن للزجاج (المرجع السابق).
والجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق).

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري (١٨٨/١٢)
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣/٢)
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٥/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٢/٣).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن عطية بن قيس مرفوعاً باب جامع الشهادة : حديث رقم (٢٨٧٣) (٣١٣/٢) وذكره ابن حجر في فتح الباري، باب : شهود الملائكة بدراً، حديث رقم -٣٦٩٤-.
قال الشيخ ابن باز –رحمه الله-في تعليقه على فتح الباري (٣١٣/٧) قال: هو من مراسيل الصحابة ولعل ابن عباس حملة عن أبي بكر ووقعت في بعض المراسيل تتمة لهذا الحديث مقيدة وهي ما أخرج سعيد بن منصور من مرسل عطية بن قيس، فذكره.
وينظر: حاشية السندي على صحيح البخاري (٨/٣).
وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري (٢٦٦/٢٥).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٤/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٨/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣/٢-٢٤).

وقولـه عز وجل : ﴿ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ يـوم القيامـة شـاهداً علـيهم بأعمالهم، قضي بينهم بالعدل فيوفى كل إنسان جزاء عمله لا ينقص من ثواب محسن، ولا يزيد على عقاب مسيء[1].

كما روى في الخبر : (إن الله عز وجل يقول للأمة المكذبة ألم يأتكم رسولي بكتابي فيه حلال وحرامي، فيقولون يا رب ما أتى لك رسول ولا كتاب، ثم يؤتى بالرسول الذي أرسل إليهم، فيقول : [٢٢٩/ب]بَلَى : يا رب قد أبلغتهم كتابك ورسالتك، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول الملائكة: نحن نشهد إنه قد أبلغهم رسولك رسالتك وكتابك، فيقولون : يا رب هؤلاء

والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٣٧/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٢/٣).

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٤/٢).
وجامع البيان للطبري (١٨٩/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣/٢-٢٤) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٩/٦)،
ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٦/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢) ونسبه لمجاهد.
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥) ونسبه لمجاهد ومقاتل.
والنكت والعيون للماوردي (٤٣٤/٢) ونسبه لمجاهد.
وتفسير السمعاني (٣٨٧/٢).
ومعالم التنزيل (٩٥/٣).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٣٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١١).
لباب التأويل للخازن (١٩٢/٣).
وللعلماء في وقت القضاء والحكم بينهم قولان ذكرها المفسرون وهي :
القول الأول : إما أن يكون في الدنيا، بأن يرسل إليهم الرسول لتبليغ الرسالة وإقامة الحجة، فإن كذبوا وخالفوا أمر الله قضى بينهم في الدنيا بإهلاك الكافرين ونجاة ا لرسل والمؤمنين ويكون ذلك عدلاً لا ظلماً لأن قبل مجيء الرسول لا يكون ثواباً ولا عقاباً .
القول الثاني : أن وقت القضاء في الآخرة وذلك أن الله إذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمنين والكافرين جيء بالرسل تشهد عليهم، والمراد من ذلك، المبالغة في إظهار العدل.
وهذا الذي ذكره المصنف –رحمه الله- هنا.

يشهدون لك بما شئت، فيختم الله على ألسنتهم ويأذن لجوارحهم في الكلام، فيشهد عليه سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. [١]

قوله عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

معناه : إن الكفار يقولون لو َ قِّت ْ لنا، وقتاً لمجيء هذا الوعد الذي تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين أن العذاب ينزل بنا[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

معناه : قل يا محمد لا أقدر لنفسي على دفع ضر وجر نفع إلا ما شاء الله عز وجل أن يقدر لي عليه، وكيف أقدر لكم.

وقوله عز وجل : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ أي وقت مضروب إذا جاء أجلهم لا يستأخرون قدر ساعة [يقدر] [٣] الأجل ولا يتقدمون[٤].

---

(١) لم أقف على هذا الخبر الذي أورده المؤلف هنا فيما بين يدي من المصادر والمراجع.
وقد أشار إلى معناه الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٣٦/٦) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ (سورة يونس: ٢٨) قال: ينطق الله تعالى يوم القيامة هذه الأصنام وإن لم يكن في خلقتها النطق في الدنيا كقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (الزلزلة: ٤)، وقوله ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾ (النور: ٢٤) أنطقهم ليشهدوا عليهم.

(٢) ذكر هذا المعنى :
مقاتل بن سليمان في تفسيره (٩٤/٢)، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٤٩/٦)،
والسمرقندي في بحر العلوم (١١٩/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٤/٥).
والواحدي في الوجيز (٥٠٠/١).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٣٩/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (٩٦/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٣٧/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٢).
والخازن في لباب التأويل (١٩٣/٣).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٣٢/٥).
وهذا القول الذي أورده المصنف : هو أحد قولي المفسرين في تفسير هذه الآية :
فمنهم من قال : إن هذا الوعد الذي استعجله الكفار هو العذاب.
ومنهم من قال : إنه قيام الساعة. وهذا الذي رجحه الإمام الطبري رحمه الله تعالى. حيث لم يورد قولاً آخر في تفسيره – انظر : جامع البيان للطبري (١٨٩/١٢) وكذلك الإمام السمعاني في تفسيره (٣٨٧/٢).

(٣) هكذا في النسختين ولعل الصحيح والله أعلم (بعد) ليستقيم المعنى.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٠/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥٠/٦).

قولـه عـز وجـل : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

معناه : قل لهم: أخبروني إن أتاكم (الله تعالى) [١] ليلاً أو نهاراً ما الذي يستعجل من العذاب المشركون ؟ أي كيف إن أنزل بهم العذاب.

وبحر العلوم للسمرقندي (١١٩/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٦/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/١٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٣/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٣٢/٥).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٥/٢).

(١) هكذا في النسختين ولعل هناك سقط لكلمة (عذاب).

ويجوز (أن يكون العذاب) [١] أن تكون الهاء في منه عائدة على ذكر الله عز وجل، ويكون ماذا : في موضع نصب، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله عز وجل[٢]؛ هل يدرون ما يستعجلون؟ فقالوا: نؤمن حينئذٍ قال الله عز وجل: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

الألف في أول هذه الآية استفهام ذكرت على جهة الإنكار، المعنى: إذا أنزل عليكم العذاب آمنتم به ؟ قالوا: نعم، قل لهم يا محمد الآن تؤمنون وقد كنتم به تستعجلون ؟ وكيف يقبل منكم إيمانكم[٣] وهو إيمان الإنجاء[٤]؟

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

---

(١) هكذا في النسختين ولعله تكرار والله أعلم.

(٢) في "ماذا" مذهبان للعرب. أحدهما: أن تجعل "ما" استفهام بمعنى: أي شيء، و"ذا" بمعنى الذي أي اسم موصول بمعنى الذي، و"يستعجل" صلته وعائدة ضمير محذوف تقديره : أي شيء الذي يستعجله منه أي من العذاب، أو من الله تعالى.
والمذهب الثاني: أن يكون "ماذا" كله مبتدأ. أي يجعل الإسمان بمنزلة اسم واحد، والجملة بعده خبر.
والضمير في "منه" إما أن يعود على الله، أو على العذاب.
وقد أشار إلى ذلك : الزجاج في معاني القرآن (٢٤/٢).
والنحاس في معاني القرآن (٢٩٨/٣) والسمعاني في تفسيره (٣٨٨/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (٩٦/٣) ورجح معنى: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون، وقد وقعوا فيه؟ وحقيقة المعنى أنهم كانوا يستعجلون العذاب. فهو ما رجحه الطبري في جامع البيان (١٩٠/١٢).
وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٣٨/٤) ونقل كلام الزجاج في ذلك.
ورجح ما رجحه البغوي وابن جرير –رحمهما الله تعالى-.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٠/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥١/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٠/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٣/٣) ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦٣/٦) والبحر المحيط لأبي حيان (١٣٤/٥).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٠٣/١١).

(٤) والإنجاء والتنجية : كلاهما بمعنى التخلص من المهلكة.
وفرق بعضهم بينهما قال: الإنجاء في الخلاص قبل الوقوع في المهلكة. والتنجية يستعمل في الخلاص بعد الوقوع ي المهكلة.
راجع : الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري (٧٧/١).
تحقيق/ مؤسسة النشر الإسلامي – الطبعة : الأولى ١٤١٢هـ.

معناه : ثم تعذبون بعذاب الآخرة وهو العذاب الدائم الذي لا ينقطع، ويقال لهم : هل تعاقبون إلا بما كنتم تقولون وتعملون في الدنيا[1].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

معناه: ويستخبرونك يا محمد أحق ما تعدنا من العذاب والبعث بعد الموت؟ قل نعم وأحلف عليه إنه لحق، أي صدق كائن، وما أنتم بمعجزين عن إحلال هذا العذاب بكم[2]، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : (حق هو) دين الإسلام[3].

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩١/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٠/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٤/٥).
ولباب التأويل للخازن (١٩٣/٣).
وتنوير المقباس للفيروز آبادي (٢٢٤/١).
والتحرير ولتنوير لابن عاشور (١٠٤/١١).
وفتح القدير للشوكاني (٥٦٠/٢).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٥/٢).
وجامع البيان للطبري (١٩١/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٥/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥١/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٠/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٥/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٣٨/٢).
والوجيز للواحدي (٥٠١/١) وتفسير السمعاني (٣٨٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١١).

(٣) ذكر ذلك : السمرقندي في بحر العلوم (١٢٠/٢).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٤١/٣).
والشوكاني في فتح القدير (٥٦٠/٢).

معناه : لو أن كل إنسان ظالم لنفسه له ما في الأرض جميعاً لافتدى به من عذاب الله عز وجل لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه[١].

وقوله عز وجل : ﴿ بِهِۦ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أي أسروا القادة الندامة عن الأتباع حين رأوا العذاب[٢]، وقيل معنى أسروا : أخلصوا الندامة[٣]، والإسرار: الإخلاص.

وقوله عز وجل : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي بين الخلائق كلهم بالعدل وهم لا يظلمون بأن يزاد على عذاب مسيء على قدر المستحق[٤].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٥/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٣/٣-١٩٤).
وتفسير السعدي ، ص: ٣٦٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٠/٢) وجامع البيان للطبري (١٩٢//١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٥/٢)، والوجيز للواحدي (٥٠١/١).
وذكر النحاس في معاني القرآن أن أسروا قد تأتي بمعنى أظهروا، فهي على ذلك من الأضداد كما ذكر ذلك الماتريدي وابن الجوزي عن أبي عبيدة والمفضل وكذا أبو حيان. ثم قال: وهو في الآية يحتمل الوجهين. وذكر ذلك أيضاً السمين الحلبي.
ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٥/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٢٩٩/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٩/٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢٦٥/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/١١)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٣٥/٥-١٣٦). والدر للسمين الحلبي (٢٢١/٦).

(٣) ذكر هذا المعنى: الزمخشري في الكشاف (٣٣٨/٢).
والرازي في مفاتيح الغيب (٢٦٥/٦).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٣٦/٥)، واستبعده، حيث قال: وهو بعيد عن سياق الآية.
والشوكاني في فتح القدير (٥٦١/٢).

(٤) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٩٥/٢)، وقال الطبري في تفسيرها : (وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل، "وهم لا يظلمون" وذلك بأنه لا يعاقب أحداً منهم إلا بجريرته، ولا يأخذه بذنب أحد، ولا يعذب إلا من قد أعذر إليه في الدنيا وأنذر، وتابع الحجج.
جامع البيان : (١٩٢/١٢).
وذكر ذلك السمرقندي في بحر العلوم (١٢١/٢) كما ذكر المعنى العام الذي ذكره المصنف.

قولــه عــز وجــل : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٥ ﴾ .

معناه : ألا إن الله ما في السماوات والأرض ملكاً لا يقدر رجل على منعه من إحلال [بمملوكه] (١)، ألا إن وعد الله بإحلال العقاب بالمجرمين حق ولكن أكثرهم لا يعلمون(٢).

[قوله عز وجل : ﴿ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٥٦ ﴾] (٣).

وقولــه عــز وجــل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ .

ومعنى الموعظة : الإبانة عن ما يدعوا إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة(٤)؛ ومعنى الشِّفَاء : ما يجده من يستدل بإعجاز القرآن من الرَّوح

---

(١) هكذا في النسختين ولعل هناك سقط لكلمة (العقاب) كما يقتضيه المعنى.
(٢) تفسير مقاتل (٩٥/٢).
وينظر: جامع البيان للطبري (١٩٢/١٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٤/٣).
وفتح القدير للشوكاني (٥٦١/٢).
وتفسير السعدي، (ص : ٣٦٦).
(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
قال الطبري –رحمه الله- في تفسير هذه الآية : (إن الله هو المحي المميت، لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم، فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه (١٩٣/١٢).
(٤) ينظر: التعريفات للجرجاني، باب الميم : (٣٠٥/١).
ويهذب اللغة للأزهري، باب العين والظاء، (٩٣/٣).
ولسان العرب لابن منظور، باب : وعظ (٤٦٦/٧).
وتاج العروس للزبيدي باب : وعظ (٢٨٩/٢٠).

بزوال الشك[١]، والمشبه: وهو شرح الصدر الذي ذكره الله عز وجل بقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[٢].

ومعنى الهدى : بيان الشرائع من الحلال والحرام والفرض والندب والإباحة[٣].

وأما الرحمة: فهي الإنعام على المحتاج[٤] بدليل أن مَلِكاً لو أهدى إلى ملك لم يكن ذلك منه رحمة عليه وإن كان ذلك نعمة يجب الشكر والمكافأة عليها[٥]، وأمَّا تخصيص المؤمنين بالرحمة فلأنهم [٣٠٠/أ] هم الذين ينتفعون بنعم الدين.

قوله عز وجل : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[٦] قل يا محمد لأصحابك بالقرآن الذي أكرمكم الله عز وجل وجل به وبالإسلام الذي وفقكم له فليفرحوا[٧] هو خير مما يجمع اليهود

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري، باب: الشين مع الضاد، (١١٨٩/٢) – ولسان العرب: باب : شفى (٤٣٦/١٤)، وتاج العروس للزبيدي، باب: شفى (٣٨٢/٣٨).

(٢) الزمر: ٢٢

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب : هدى (٢٠١/٦).
النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري، باب : الهاء مع الدال (٥٧٧/٥).
ولسان العرب لابن منظور، باب : هدى (٣٥٣/١٥).

(٤) ينظر: العين للفراهيدي، باب: الحاء والراء والراء والميم (٢٢٤/٣) والنهاية في غريب الأثر (١١٨٩/٢) باب: الراء مع الحاء (٥٠٤/٢)، وتاج العروس للزبيدي، باب : رحم (٢٢٥/٣٢).

(٥) ذكر هذا المعنى : أبو هلال العسكري في كتابه : معجم الفروق اللغوية (٢٥٣/١) قال: الفرق بين الرحمة والنعمة : أن الرحمة الإنعام على المحتاج إليه، وليس كذلك النعمة لأنك إذا أنعمت بمال تعطيه إياه فقد أنعمت عليه ولا تقول إنك رحمته.
ولجميع هذه المعاني:
ينظر: جامع البيان للطبري (١٢-١٩٣-١٩٤) وبحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢)، ولباب التأويل للخازن (١٩٤/٣)،ورح المعاني للألوسي (١٧٦/١١)وتفسير السعدي، (ص:٣٦٦)

(٦) في (ب) زيادة كلمة (معناه).

(٧) وتفسير المصنف رحمه الله: على أن معنى فضل الله : القرآن ورحمته : الإسلام، وهذا ما ما فسر به بعض العلماء.
ينظر: تفسير الضحاك (٤٣٣/١)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٩٦/٢)، وجامع البيان للطبري (١٩٥/١٢) عن الضحاك وابن عباس، وعن زيد بن أسلم، وروي عن مجاهد والحسن وقتادة أن فضل الله: الإسلام ورحمته : القرآن.

والمشركون من الأموال[1].

وقرأ بعضهم (فلتفرحوا – وتجمعون) كلاهما بالياء على المخاطبة[2].

وقيل غير ذلك. كما أخرج هذه الأقوال الطبري في (المرجع السابق) وكذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٤٨-٤٩) وذكر هذه الأقوال الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٦/٥٥)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢/١٢١) وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤١) والسيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٧-٣٦٨) .
قال السعدي رحمه الله في تفسيره (ص: ٣٦٦) (قل بفضل الله) الذي هو القرآن. وهو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده (وبرحمته) الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته.

(١) ذكر ذلك الطبري (١٢/١٩٥) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٥٠) عن الضحاك والحسن.
والسمرقندي في بحر العلوم (٢/١٢١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٥/١٣٥)، والسيوطي (٤/٣٦٨).

(٢) اختلفوا في(فليفرحوا) فقرأ رويس بتاء الخطاب (فلتفرحوا) وافقه الحسن، والمطوعي، وهي قراءة أبي وأنس رضي الله تعالى عنهما، وهي لغة قليلة لأن الأمر باللام إنما يكثر في الغائب، كقراءة الباقين-والباقون قرأوا بالغيب﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾وكلهم سَكَّن اللام إلا الحسن كسرها ﴿فَلِتَفرحوا﴾.
واختلفوا في "مما يجمعون"، فابن عامر، وأبو جعفر، ورويس، بالخطاب على الإلتفات، ﴿مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾ وتوافق قراءة رويس وافقهم الحسن. والباقون بالغيب (مما يجمعون).
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٨٥)، والكشف لمكي بن أبي طالب (٢/٩٦). والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٢)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢/٣٥-٣٦).

وعن محمد[1] بن كعب القرظي أنه قال: (إذا عملت عملاً رجاء ثـــــــــــــــــــــــــواب الله عز وجل فبذلك فافرح فإنه خير مما تَجمع من الدنيا) [2].

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية: قل يا محمد لأهل مكة أرأيتم ما أنزل الله عز وجل في الكتاب من رزق وجعله لكم حلالاً طيباً من الأنعام وللحرث فجعلتم منه حلالاً وحراماً؟

أي :جعلتم البحائر والسوائب حلالاً للرجال منفعتها وحراماً على النساء[3]، وجعلتم لآلهتكم نصيباً من الحرث فحرمتموه على النساء

(١) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة روى عن أبي هريرة وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وابن عباس، تابعي ثقة ورجل صالح عالم بالقرآن، كان يجالس عمر بن عبد العزيز ويأخذ عنه عمر. وسئل أبو زرعة عنه ؟ فقال : مدني ثقة.
راجع : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦٧/٨).
والثقات للعجلي (٢٥١/٢٠) تحقيق/ عبد العليم البستوي – الطبعة: الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة.
والمؤتلف والمختلف للدار قطني (باب: القرطبي والقرضي والقرطبي (٥٠/٤) تحقيق د/ موفق عبد الله عبد القادر- الطبعة الأولى-بدون ذكر سنة الطبع – الناشر: دار العرب الإسلام.

(٢) أخرج هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي بلفظ (إذا عملت خيراً فحمدت الله عليه فافرح فهو خير مما تجمعون من الدنيا).
كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٨/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ١٠٣)

وأحللتموه للرجال[1] كما تقدم تفسيره في آخر سورة الأنعام، والله سبحانه لم يحرم شيئاً من ذلك[2].

قل لهم يا محمد الله أمركم بتحريمه أم على الله تختلقون الكذب يعني بينوا الحجة في ذلك، وإلا فأنتم مفترون على ربكم ثم أوعدهم على الكذب، فقال جل ذكره : ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ ﴾.

معناه : وما ظن الذين يكذبون على الله في التحليل والتحريم ؟ ماذا يفعل بهم يوم القيامة؟ أيظنون أن الله تعالى لا يعاقبهم على افترائهم[3].

وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾أي ذو مَنٍّ عليهم بتأخير العذاب عنهم[4]، ولكن أكثرهم لا يشكرون نعم الله سبحانه وتعالى،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا .... الآية ﴾ (الأنعام:١٣٦).

(٢) ذكره الضحاك في تفسير (٤٣٥/١)مختصراً ومقاتل بن سليمان في تفسيره مختصراً (٩٧/٢) والطبري في جامع البيان (٢٠١/١٢-٢٠٢-٢٠٣).
عن ابن عباس، وابن زيد، والضحاك. كما ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢٥/٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥١/٨) عن ابن عباس، ومجاهد وقتادة، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٥٦/٦-٥٧) غير منسوب.
والنحاس في معاني القرآن (٣٠١/٣) عن مجاهد، والسمرقندي في بحر العلوم (١٢١/٢) غير منسوب.، والثعلبي في الكشف والبيان (١٣٦/٥) غير منسوب، والبغوي في معالم التنزيل (٨٩/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤١/٤) غير منسوب، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٢/١١-١٣-١٤) عن مجاهد، والخازن في لباب التأويل (١٩٥/٣)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٣٦/٢) عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والسيوطي في الدر المنثور (٣٦٩/٤) عن ابن عباس، وقتادة، والشوكاني في فتح القدير (٥٦٨/٢) عن ابن عباس.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠١/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٥٦/٦)، بحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٣/٥)، ولباب التأويل للخازن (١٩٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٩٧/٢).
وجامع البيان للطبري (٢٠٤/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١١).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٧/٢).

ويقال: أراد بقوله عز وجل : ﴿ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ إنه تفضل عليهم بنعم الدين والدنيا، إذ أباح لهم أكل الطيبات وبين لهم ما يأتون، ولكن الكفار لا يعرفون نعم الله عز وجل[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾.

معناه : وما تكون يا محمد من أمر من الأمور، وما تقرأ من الله من قرآن يوحى إليك من سورة أو آية تقرأ على أمتك[٢].

ويقال: معنى ما تتلوا : وما تقرأ من البيان الذي أنت فيه من قرآن[٣]، ولا تعملون أنتم جميعاً يا بني آدم عليه السلام عامَّة، ويا أمة محمد ﷺ من خير أو شر إلا كنا عليكم – أي على أمركم وتلاوتكم وعملكم حفظاً أو يدخلون فيه[٤]– الإفاضة: هي الدخول في العمل على جهة الإنصات فيه، وهي مأخوذة من فيض الأنا[٥].

---

(١) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (٥٧/٦).
والكشاف للزمخشري (٣٣٧/٢).
ولباب التأويل للخازن (١٩٥/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٧١/٥).
وتفسير ابن كثير (المرجع السابق).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢)، وينظر : الوجيز للواحدي (٥٠٢/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢/٤).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٦/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢/٤) وعزاه إلى الزجاج.

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢).
ومعالم التنزيل (المرجع السابق).
وزاد المسير (المرجع السابق)

(٥) لمعنى الإفاضة ينظر: لسان العرب: باب : فيض (٢١١/٧).
وتهذيب اللغة : (٥٥/١٢-٥٦).

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ معناه : ما يبعد وما يغيب عن ربك من مثقال من وزن نملة حميراء صغيرة من أعمال العباد[1]. ويَعْزُب بضم الزاي وكسرها لغتان[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [من قرأ أصغر وأكبر بالفتح فموضوعهما خفض على معنى ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، أي] [3] لا أخف في الوزن من الذرة ولا أثقل منه إلا وهو مع علم الله تعالى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ إلا أن أصغر وأكبر إنما فتحا في موضع خفض لأن أفعل لا ينصرف، [وبين] [4]رفع ولا أصغرُ ولا أكبرُ فهو على وجهين: أحدهما: على معنى لا يعزب عن ربك مثقالُ ذرة، ولا أصغرُ ولا أكبرُ. والثاني : على الابتداء وخبره "إلا في كتاب مبين"[5] ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب المبين: ما يكتبه الحفظة[6].

وينظر : معالم التنزيل للغوي (المرجع السابق) ولباب التأويل للخازن (١٩٥/٣) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/١١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٦/١٢-٢٠٧).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢).
وتفسير السمعاني (٣٩١/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (٩٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٢/٤).

(٢) قرأ الكسائي بكسر الزاي(يَعْزِبُ) وقرأ الباقون بضم الزاي(يعْزُبُ).
ينظر: النشر في القرآن العشر (٣٣١/٢).
- والكشف المكي بن أبي طالب (٩٧/٢).
- والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٢).

(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).

(٤) هكذا في النسختين ولعله تحريف لحرف(مَنْ) لأنه يشير هنا إلى القراءة بالرفع. والله أعلم.

(٥) هذا المعنى ذكره الزجاج في معاني القرآن (٢٦/٣). وفي هذه الآية قراءتان متواترتان فقرأ يعقوب وحمزة وخلف برفع الراء فيهما (ولا أصغر ولا أكبرُ) وقرأ الباقون بالنصب و(لا أصغرَ ولا أكبرَ).
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٥/٢)،والكشف لمكي بن أبي طالب (٩٧/٢).
والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٢)، واتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٣٦/٢)

(٦) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من فسر (الكتاب المبين) بما يكتبه لحفظة، وأكثر المفسرين ذكروا أن المراد بالكتاب المبين : اللوح المحفوظ الذي عند الله.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٠/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢١/٢)

كما قال الله عز وجل : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

وأما ذكره الذرة في الآية فقد جعلها الله تعالى مثالاً في هذا الباب إذ ليس شيء يشاهده الناس أصغر منه، وكذا القول فيما هو أقل منه لئلا يظن أحدٌ أنه يغيب عنه ما هو أصغر من الذرة.

قوله عز وجل : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

معناه : ألا إن الذين تولاهم الله تعالى بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا[2].

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ تفسير لأولياء الله تعالى، أي : هم الذين يؤمنون بمحمد ﷺ والقرآن ويتقون الشرك [٣٠٠/ب] والفواحش[3]، وعن رسول الله ﷺ أنه سئل عن أولياء الله فقال: هم المتحابون في الله تعالى[4].

ومعالم التنزيل للبغوي (٩٩/٣).

وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣/٤) وروح المعاني للألوسي (١٠٦/٢٢).

(١) سورة الجاثية : ٢٩.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٠٨/١٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٨/٢) وتفسير السعدي (ص: ٣٦٧).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٢/٢).

(٤) أخرج نحوه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي مالك الأشعري (٥٤١/٣٧).
وأبي داود في سننه : كتاب الإجارة، باب الرهن حديث (٣٥٢٩) (٣١١/٣).
والحاكم في مستدركه : كتاب: البر والصلة (١٨٨/٤) قال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص صحيح.
وينظر : جامع الأصول لابن الأثير (٥٥٢/٦).
وجمع الجوامع للسيوطي (٨١٠٢/٨).
كما أورد نحو هذا الأثر كثير من المفسرين : كابن جرير في جامع البيان (٢١٢/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٦/٨).
والبغوي في معالم التنزيل (٩٩/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٤٣/٤-٤٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦/١١).
والخازن في لباب التأويل (١٩٦/٣) وغيرهم.

وعنه ﷺ أنه قال : (هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى) [١] يعني: إذا رَأتهم العامة ذكروا الله تعالى من أجل سيماهم في وجوههم. وسئل عيسى عليه السلام عنهم فقال : (هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، ونظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأحبوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكره) [٢].

قوله عز وجل : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

معناه : لهم البشرى في الحياة الدنيا بالقرآن، وفي الآخرة الجنة[٣]، ويقال: أراد بالبشرى في الدنيا: بشارة الملائكة للمؤمنين وقت نزولهم لقبض أرواحهم[٤].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه : كتاب التفسير: باب تفسير سورة يونس (٣٢٦/٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. كما أخرجه البزار في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٨٧/٢) قال: هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. كما أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٢/١). عن سعيد بن جبير أيضاً، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/١).
كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/١٠) باب: في الذين إذا رؤوا ذكر الله. قال. رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.
وينظر: جمع الجوامع للسيوطي (١٠٠٣٥/١).

(٢) ذكره الإمام أحمد في الزهد (٦٠/١) . الناشر: دار الريان للتراث-القاهرة – مصر- سنة ١٤٠٨هـ- دون ذكر الطبعة.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩/٨).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٢٣/٢).
وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء (١٠/١).
الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة : الرابعة.
سنة : ١٤٠٥هـ.
والسيوطي في الدر المنثور (٣٧٠/٤).

(٣) تفسير الضحاك (٤٣٥/١).
وينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٢/٢) ومعاني القرآن للزجاج (٢٦/٣-٢٧).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٠/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣/٤) ونسبة للحسن والفراء والزجاج.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٤/١٢).
وتأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٣/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٩٩/٣).
وزاد المسير (المرجع السابق) عن الضحاك وقتادة والزهري.

كما قال جل ذكره : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ...... الآية﴾[1].

وعن عطاء[2] بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال : [لم يبق من النبوة بعدي إلا المبشرات] قيل : وما المبشرات ؟ فقال عليه السلام: الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح لنفسه أو ترى له، وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة] [3].

وأمَّا قوله تعالى : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فمعناه :لا خُلف في وعد الله تعالى[4]. وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي ذلك الذي ودهم الله تعالى هو الثواب الوافر والنجاة الوافرة[5].

قوله عز وجل : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ .

في الآية تسلية للنبي ﷺ على كفرهم وتكذيبهم إياه، ونسبتهم إياه إلى الافتراء على ربه. ومعناه: ولا يحزنك يا محمد تكذيبهم إياك وتهديدهم لك بالقتل[6].

---

(١) سورة فصلت : ٣٠.
(٢) عطاء بن يسار أبو محمد مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، وروى عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وميمونة زوج النبي ﷺ، سئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقة، وسئل أبو زرعة فقال مدني ثقة، مات سنة ثلاث مائة وكان مولده سنة تسع عشرة.
ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : باب من اسمه عطاء (٢١٨/٦).
(٣) هذا الحديث عبارة عن حديثين أخرجهما البخاري في صحيحه الأول عن أبي هريرة، كتاب التعبير: باب: المبشرات – حديث رقم (٦٥٨٩) بلفظ (لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات ؟ قال:الرُّؤيا الصالحة)
والثاني: عن عبادة بن الصامت كتاب : التعبير باب : الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة).
كما أخرجه مسلم بلفظ البخاري عن عبادة عن الصامت أيضاً .
كتاب الرؤيا. حديث رقم (٢٢٦٤)
وعن أبي هريرة بنحوه. كتاب الرؤيا، حديث رقم (٢٢٦٣).
وينظر تفسير هذه الآية في جامع البيان (٢٢٥/١٢).
(٤) جامع البيان للطبري (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
والوجيز للواحدي (٥٠٣/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٠/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٦/٢).
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
(٦) ينظر تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
والوجيز للواحدي (٥٠٣/١)، والكشاف للزمخشري (٣٢٩/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ استئناف كلام؛ ولذلك كُسِرت(إِنَّ) [1] والمعنى فإن العزة لله جميعاً، يمنعهم عنك بعزته ولا يتعزز أحد إلا بإذنه وهو ناصرك وناصر دينه، وهو السميع لمقالة الكفار، العليم بضمائرهم[2].

ولباب التأويل للخازن (١٩٩/٣).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٣/٢) وجامع البيان للطبري (٢٢٧/١٢). والكشف والبيان للثعلبي (١٣٩/٥) والكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢) وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٧/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٩/٢). وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢) والوجيز للواحدي (٥٠٣/١). والكشاف للزمخشري (المرجع السابق) ولباب التأويل للخازن (١٩٩/٣).

ولا يجوز أن يقرأ (أن العزة) بنصب أن لاستحالة أن النبي ﷺ كان يحزنه قول الكفار بأن العزة لله جميعاً [1].

قوله عز وجل ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

معناه : واعلموا أن لله تعالى من في السماوات ومن في الأرض من الخلق. جميعاً عبيده، وفي ملكه وتحت قهره وقدرته[2]، وإنما ذكر بلفظ "من" لتغليب من يعقل على من لا يعقل[3].

---

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٢٣٣/٦) قوله تعالى : (إن العزة لله) العامة على كسر "إنَّ" استئنافاً وهو مشعر بالعليَّة، وقيل : هو جواب سؤال مقدر كأن قائلاً قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ؟ فأجيب بقوله : (إن العزة لله جميعاً) والوقوف على قوله "قولهم" ينبغي أن يعتمد ويقصد ثم يبتدأ بقوله : (إن العزة) وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقولهم، إلا من لا يعتبر بفهمه، وقرأ أبو حيوة : أنَّ العزة" بفتح "أنَّ"، وفيها تخريجان :
أحدهما : أنها على حذف لام العلة، أي :لا يحزنك قولهم لأجل أن العزة لله جميعاً .
والثاني: أن أنَّ " وما في حيزها بدل من "قولهم" كأنه قيل: ولا يحزنك أن العزة لله، وكيف يظهر هذا التوجيه أو يجوز القول به، وكيف ينهى رسول الله ﷺ عن ذلك في المعنى وهو لم يتعاط شيئاً من تلك الأسباب، وأيضاً فمن أي قبيل الإبدال هذا ؟
قال الزمخشري : "ومن جعله بدلاً من "قولهم" ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكره من القراءة به" يعني أن إنكاره للقراءة منكر، لأن معناه صحيح على ما ذكرت لك من التعليل، وإنما المنكر هذا لتخريج.
وقد أنكر جماعة هذه القراءة ونسبوها للغلط ولأكثر منه. قال القاضي: فتحها شاذ يقارب الكفر، وإذا كسرت كان استئنافاً وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب". وقال ابن قتيبة: لا يجوز فتح إنَّ" في هذا الموضع وهو كفر وغلو، وقال الشيخ: وإنما قالا ذلك بناءً منهما على أن "أن" معمولة لـ "قولهم". قلت. كيف تكون معمولة لـ "قولهم" وهي واجبة الكسر بعد القول إذا حكيت به، كيف يتوهم ذلك؟ وكما لا يتوهم هذا المعنى مع كسرها لا يتوهم أيضاً مع فتحها ما دام له وجه صحيح.
وينظر: الكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٠٧/٣) والبحر المحيط لأبي حيان (١٧٤/٥). والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٧/١١-١٢٨).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢).

وقولـه تعـالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ ﴾ على جهة التقبيح لفعلهم[1]، كقولك: ما عندي أي شيء عندك.

ويجوز أن يكون:وما يتبع جحداً على معنى [ما يتبعون شركاء في الحقيقة، والمعرفة[2]. وقوله تعالى[3]] ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ معناه: أما يعبدونهم إلا بالظن بتقليد آبائهم، وقول بعضهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ معناه : وما هم إلا يكذبون في قولهم : إنها تشفع لهم عند الله تعالى[5].

قولـه عـز وجـل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

معناه : هو الذي خلق لكم الليل لتبيتوا وتهدأوا فيه وتستريحوا عما لحقكم من التعب بالنهار، وخلق النهارُ مضِيئاً للذهاب والمجيء وطلب

ولباب التأويل للخازن (١٩٩/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٧٤/٥).
والدر المصون للسمين الحلبي (٢٣٤/٦).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٧/١٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٠/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/١١).
(٢) ينظر: الوجيز للواحدي (٥٠٣/١).
ومعالم التنزيل (المرجع السابق).
والكشاف للزمخشري (٣٤٠/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٥/٤).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٧/٥).
(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
(٤) سورة الزمر : (٣).
(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
ومعالم التنزيل (١٠٠/٣).
ولباب التأويل للخازن (١٩٩/٣).

المعيشة، وسماه مبصراً لأنه يُبْصَرُ فيه[١]، كما قال الشاعر رؤبَه[٢] : [قد نـــــــــــــــــــــــــــــــــــــام

ليلي وتجلَّى همي] [٣].

وقال آخر[٤] :

لقد لُمْتِنَا يا أم غيلان في السُّرى

ونمت وما ليل المَطِي بنائم[٥].

أي وما ليل السير من يُنَامُ فيه، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ أي في ما ذكرتُ كدلالات لقوم يسمعون دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها[١].

فيها[١].

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٧/١٢-٢٢٨).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٦/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/١١).
وفتح القدير للشوكاني (٥٧١/٢).

(٢) رؤبة بن عبد الله بن العجاج التميمي السعدي.
من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية وقد أسن.
ينظر : سير أعلام النبلاء (١٦٢/٦).
الأعلام للزركلي (٣٤/٣) والوافي بالوفيات للصفدي (٤٦٤/٤).

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والأدب لابن المبرد (١١٣/١).
ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٥٠/١).
وقد استشهد بهذا البيت كثير من المفسرين.

(٤) قائل هذا البيت هو: جرير بن عطية الخطفي، شاعر ، كان من فحول الشعراء في الإسلام وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وهو أشعر من الفرزدق.
ينظر: الأعلام للزركلي (٧٢/٢).
والوافي بالوفيات للصفدي (١١/٤).

(٥) ينظر: ديوان جرير (٦١٧/١)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٧٩/١)، وقد استشهد بهذا البيت كثير من المفسرين ومنهم :
الطبري في جامع البيان (٢٢٨/١٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٤٠/٥).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٤٧/٣).
والخازن في الباب التأويل (١٩٩/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٤٦/٤).

قولــه عــز وجــل : ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

معناه : قال الكفار:اتخذ الله ولداً . فإن المشركين قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله[٢].

وقوله تعالى تنزيها له عن الولد والشريك : ﴿ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن اتخاذ الولد. وقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ [٣٠١/أ] مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾.

معناه : [إن] [٣] من كان له ملك السماوات والأرض وما بينهما فما حاجته إلى اتخاذ الولد وإنما يتخذ الولد ذو الضعف ليتقوى به ويستعين به على بعض أموره، وذو الوحشة يستأنس به، ومن يخاف الموت على نفسه فيتخذ الولد ليخلفه في أملاكه بعد موته، والله تعالى لا يجوز عليه السرور، ولا المنافع والمضار ولا يلحقه الموت، فهو الغني عن اتخاذ الولد[٤].

ثم طالب الكفار بالحجة والبرهان فقال: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ﴾ أي ما عندكم من حجة وبرهان على هذا القول[٥]، ثم عاد عليهم

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري (٢٢٨/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٠/٣).
(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٤/٦-٦٥).
وجامع البيان للطبري (٢٢٩/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٤/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٨٠/٦).
(٣) في (ب) إنه.
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٩/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٦/٦).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٨٠/٦-٢٨١) ومدارك التنزيل للسنفي (١٣٥/٢) ولباب التأويل للخازن (٢٠٠/٣).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٩).
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢٩/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٧/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٧/٦).

تبكيتاً لهم فقال عز من قائل : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ وهذا على جهة الإنكار والرد عليهم، أي لم تقولون على الله ما لا علم به ولا حجة لكم عليه[1]، وفي هذا بيان أن من قال شيئاً بغير علم ولا حجة ولا برهان كان مبطلاً في قوله، وكان قوله مردوداً عليه.

قوله عز وجل : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

معناه: قل يا محمد إن الذين يقطعون كذباً يكذبون به على الله تعالى لا يفلحون في الدنيا بالحجة، ولا في الآخرة بالثواب[2].

وقوله تعالى : ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ رُفع على معنى ذلك متاعٌ في الدنيا[3] يتمتعون به قليلاً ثم ينقضى، ثم إلينا منقلبهم في الآخرة إلى دار لا يكون الحكم فيها إلا لله تعالى الواحد القهار[4].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ ﴾ معناه : ثم نذيقهم أليم العذاب الشديد بكفرهم بالله تعالى ورسله عليهم السلام[5].

وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢١).

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٢٤).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٤٧)، ولباب التأويل للخازن (٣/٢٠٠) والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٧٥).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٤٠).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٤١).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٠٠).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/١٤٣).
ومعاني القرآن للزجاج (٣/٢٧).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٦٧).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٠٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٤٧).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة (٦/٦٧).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٤٠).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٢٣٠).
وتأويلات أهل السنة (٦/٦٧).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٠٠).

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾.

معناه : واقرأ عليهم خبر نوح إذ قال لقومه إن كان عظم عليكم وثقل طول مقامي ومكثي فيكم، وعظتي بدلائل الله تعالى فعلى الله توكلت، أي: به وثقت وإليه فوضت أمري[(١)]، وذلك حين قالوا له ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴾[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾ معناه: فاعزموا على أمركم مع شركائكم، كما يقال: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها) أي مع فصيلها[(٣)]، ويقال معناه : فاعتزموا على أمركم، وادعوا آلهتكم واستعينوا بهم، واجتمعوا على أمر واحد، ويقال: أجمعت على الأمر إذا عزمت عليه[(٤)].

ومن قرأ : (فاجْمَعُوا) بنصب الميم فهو الجمع[(٥)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٠٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٥/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤١/٥).
والوجيز للواحدي (٥٠٤/١).

(٢) سورة الشعراء : ١١٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٠٧/٣-٢٠٨).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٨/٦) والنكت والعيون للماوردي (٤٤٢/٢) ونسبه للزجاج، والوجيز للواحدي (٥٠٤/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠١/٣) ونسبة للزجاج.
وزاد المسير لابن الجوزي (٤٨/٤)ونسبة للزجاج أيضاً .

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣١/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٥/٢) والنكت والعيون للماوردي (٤٤٢/٢) ونسبة للفراء ومعالم التنزيل (المرجع السابق).
وزاد المسير (المرجع السابق) ونسبة إلى الفراء وابن قتيبة.

(٥) قرأ "رويس" بخلف عنه "فاجمعوا، بوصل الهمزة، وفتح الميم، على أنه فعل أمر من جمع"الثلاثي ضد فَرَّق، وقرأ الباقونفأجْمِعُوا، بقطع الهمزة المفتوحة، وكسر الميم، على أنه فعل من أمر " أجمع" الرباعي. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٥/٢). وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٣٧/٢). والمغني في توجيه القراءات العشر للدكتور محمد سالم حسنين (٢٣٧/٢).

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ أي ليكن أمركم عليكم ظاهراً منكشفاً لا يستره شيء(١)، والغمة: مأخوذة من الغمامة، ويقال: الغَم الغُمَّة، أي لا يكن أمركم غماً (٢) [عليكم] (٣)وفَرِّجوا عن أنفسكم ثم امضوا إلى ما تقصدون من القتل ولا تمهلوني. (٤)

وهذا كان آخر معجزات نوح عليه السلام لأنه كان وحيداً مع نفر يسير، إذْ لم يؤمن به إلا ثمانون إنساناً، الذين حملهم في السفينة مع نفسه وقد فزعهم بالعجز عن الوصول إلى قتله، وعن أن يُنزلوا به سوءاً وأخبرهم أن الله تعالى هو الذي يتوكل عليه يحفظه عنهم، فلم يقدروا عليه بسوء.

ويقال معنى الآية : أن نوحاً عليه السلام طالبهم بالحجة فكأنه قال لهم: (استقبلوني مستعدين لما تريدون من الحجة حتى لا تقولوا غالطنا هذا الرجل ولم يدعنا لنشهد لخصومته، ثم إذا غلبتموني بحجة لا يكون فيها شبهه، فافعلوا بي ما تريدون ثم لا تنظروني إن استنظرتكم طرفة عين(٥).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٨/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦٩/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٥/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٤١/٥) والكشاف للزمخشري (٣٤٢/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/١١)، ولباب التأويل للخازن (٢٠٠/٣).

(٢) ينظر : لسان العرب لابن منظور (٤٤١/١٢).
والنهاية في غريب الأثر (٧٣١/٣).
وكذلك معاني القرآن للزجاج (٢٨/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (المرجع السابق).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/١١).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) ينظر : جامع البيان للطبري (٢٣٤/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (المرجع السابق).
والكشف والبيان للثعلبي (المرجع السابق).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٤/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠١/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥/١١).

قولـه عـز وجـل : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

معنـاه : فـإن أعرضـتم عـن الإيمـان بمـا جئـتكم بـه لـم يضـرني إعراضكم، فإني لا أطلب ما لكم أجراً ولا أدعوكم إلى الإيمان لطمع مني في ما لكم وثوابي فيما أدعوكم إليه إلى الله تعالى وقد أمرني الله تعالى أن أكون من المسلمين على دينهم[١].

قوله عز وجل : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

معناه : فكذبوا نوحاً عليه السلام فنجيناه من [العرب] [٢] ومن كان معه من المؤمنين في السفينة وجعلناهم خلفاً وسُكَّاناً في الأرض من قوم أهلكوا بالتكذيب وأغرقنا الذين كذبوا [٣٠١/ب] بدلائلنا وحججنا فانظر يا محمد كيف صار آخر أمر اللذين أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا[٣].

وهذا تحذير لقوم النبي ﷺ عن تكذيب النبي ﷺ حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح ﷺ، وتسلية للنبي ﷺ ليصبر على أذاهم كما صبر نوح عليه السلام على أذى الكفار مع قلة من معه من المؤمنين[٤].

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٢٣٥-٢٣٦).
(٢) هكذا في النسختين وهو تحريف لكلمة (الغرق) والله أعلم.
(٣) ينظر: جامع البيان للبطري (١٢/٢٣٦).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٧٠-٧١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٠٢).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٠١).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٦).
(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/٣٤٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٢٨٦).
والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٧٩).
وتفسير السعدي (ص: ٣٦٩).

مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

معناه :ثم بعثنا من بعد نوح عليه السلام رسلاً مثل هود وصالح وإبراهيم ولوط وغيرهم عليهم السلام إلى قومهم فجاؤوهم بالحجج والبراهين[1]، فما كانوا ليصدقوا بما كذبوا به في الابتداء[2].

وقوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ قد تقدم تفسيره[3].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

معناه : ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى وهارون عليهما السلام، إلى فرعون وملائه بدلائلنا وحججنا فاستكبروا، أي رفعوا أنفسهم فوق أقدارهم بالتكذيب بآيات الله تعالى وكانوا قوماً مجرمين[4].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٧١/٦). =
= وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٦/٢).
والكشاف للزمخشري (٣٤٣/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (٤٩/٤).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٨٦/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٠١/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٧٩/٥).

(٢) قال ابن جرير الطبري : فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية. جامع البيان للطبري (٢٣٧/١٢).
وينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٠١/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٨/٢).

(٣) ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٥]. [١٦٩/أ] قال: الحسن رضي الله عنه :إن الكافر إذا بلغ في الكفر والعناد حداً معلوماً طبع الله على قلبه عقوبة على عناده من غير أن يمنعه الطبع عن الإيمان أو أن يسلب قدرته عليه.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٧/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٢/٦).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥١٩/٢).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٠).

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

معناه : فلما ظهر لهم الحق من عند الله تعالى على يدي موسى وهارون عليهما السلام، قال إن هذا لسحر مبين، أي ليس له حقيقة[١]، وقد تقدم أن السحر ما يتَخَيَّل الشيء حقاً ولا يكون حقاً [٢].

ومن قرأ (لساحر) أراد به موسى عليه السلام[٣]، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْۖ ﴾ إنه سحر ثم ابتدأ فقال : ﴿(أَسِحْرٌ هَٰذَا ﴾ أم معجزة[٤]، وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه : (أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر) [٥].

وقوله : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ معناه: ولا يظفر الساحر بمراده، أي كيف يكون هذا سحر وقد أفلح الذي أتى به.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٨/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٢/٦).
والكشاف للزمخشري (٣٤٣/٢-٣٤٤).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٠).

(٢) قد أورد ذلك مفصلاً رحمه الله عند تفسيره للآية (١٠٢) من سورة البقرة، وكان جل كلامه رحمه الله من أحكام القرآن للجصاص (٥٠/١-٥١).

(٣) قراءة شاذة لا يقرأ بها نسبها ابن جني في المحتسب (٣١٦/١) إلى مجاهد وسعيد بن جبير.
وقراءة الجماعة (لسحر مبين) إشارة إلى الفعل الواقع من قلب العصا حية ونحوه.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٨/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٢٩/٣)، وبحرا لعلوم للسمرقندي (١٢٧/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٢/٣) والكشاف للزمخشري (٣٤٤/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥٠/٣) ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٠٨/٥).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٠٩/١١).

(٥) لم أقف على هذه القراءة فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

والسحر ما يظهر بالاختيار أنه تمويه لا حقيقة له[1].

قوله عز وجل : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

ومعناه : قالوا لموسى عليه السلام أجئتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا، يقال لفته عن الأمر: إذا صرفه عنه، ومنه قولهم:إلْتَفَتَ إليه: إذا عدل وجهه[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ معناه : ويكون لك ولهارون عليهما السلام السلطان والشرف والملك في أرض مصر، وما نحن لكما بمصدقين[3]، وإنما سُمِّيَ المُلْك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا[4]، والكبرياء: استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب[5].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٩/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٣/٦)، ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣).
وروح المعاني للأوسي (١٦٤/١١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٣٩/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٩/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٣/٦)، والنكت والعيون للماوردي (٤٤٤/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠/٤).
والجامع لأ؛كام القرآن للقرطبي (٢٨/١١).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٠/١١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤١/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٤/٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢)، الكشف والبيان للثعلبي (١٤٢/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٤٤٥/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٥٠/٤).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢٩/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٠٨/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣) ونسبة للزجاج.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨/١١).
وروح المعاني للألوسي (١٦٥/١١) ونسبة للزجاج.

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور: باب : كبر (١٢/٥).
وتاج العروس للزبيدي : باب : بر : (٨/١٤).

ولهذا لا يجوز أن يوصف به أحد غير الله.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

معناه : إئتوني بكل ساحر حاذق بالسحر، حتى تغالبوهما بسحرهم، فإن ما أتيا به سحر[1].

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ معناه : فذهبوا وجاء السحرة، فلما جاء بالسحر قال لهم موسى عليه السلام: ألقوا جميع ما تريدون إلقاءه[2]، وذُكر هذا على جهة التعجير لهم، أي إنكم لا تقدرون على إبطال أمري، وكان هذا أمر تعجيز على جهة التعجيز والتحدي، كقوله : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[3] .

ولا يجوز أن يكون هذا أمراً بالسحر إذ العمل بالسحر كفر والأنبياء صلوات الله عليهم لا يأمرون بالكفر.

قوله عز وجل ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

معناه : فلما ألقت السحرة ما جاؤوا به، قال لهم موسى عليه السلام: الذي جئتم به السحر والخداع[4].

والقاموس الفقهي (٣١٤/١).
وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥١/٣).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٥١/١١).

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٢/١١).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧١).
(٢) ينظر : جامع البيان للطبري (٢٤١/١٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣).
(٣) سورة البقرة : ٢٣.
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤٢/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٢٩/٣-٣٠).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢).

ووقف بعض القراء على (ما جئتم به) ثم قال : (السحر) على معنى: أي شيء جئتم به ؟ أهو السحر؟ على جهة التوبيخ لهم والخداع[1].

وقوله تعالى : ﴿ إن الله سيبطله﴾ أي يبطل عمل السحرة حتى يظهر الحق من الباطل، ﴿إن الله لا يصلح﴾ أي لا يرضى عمل الساحرين. وقوله عز وجل : ﴿ ويحق الله الحق﴾ من الباطل أي ينصر دينه الحق بالوعد الذي وعده لموسى عليه السلام[2] كما قال جل ذكره : (سنشد عضدك بأخيك) [3] إلى آخر الآية.

ويجوز أن يكون [٣٠٢/أ] معنى الكلمات: ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ[4]. قوله عز وجل : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

معناه :ما صَدَّق بموسى عليه السلام وبما جاء به إلا ذرية من قوم فرعون، وهم : [قوم] [5] كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل، فآمنوا بموسى عليه السلام واتبعوا أمهاتهم وأخوالهم ولم يسلم آباؤهم الذين كان موسى عليه السلام مبعوث إليهم[6].

---

(١) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، على لفظ الاستفهام. وقرأ الباقون بألف وصل من غير مد ولا همز.
ينظر: الكشف لمكي بن أبي طالب (٩٨/٢)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٣) وإتحاف فضلاء البشر الدمياطي (٣٨/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤٤/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٤/٦-٧٥).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣).

(٣) سورة القصص : ٣٥.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٨٨/٦-٢٨٩) ولباب التأويل للخازن (٢٠٢/٣) والبحر المحيط لأبي حيان (١٤٩/٥).

(٥) في (ب) قوة، والظاهر أنه تحريف لكلمة (قوم) والله أعلم.

(٦) هذا هو القول الأول من أقوال العلماء في تفسير هذه الآية، وهو أن الهاء في قوله تعالى : تعالى : "قومه" عَائدة على فرعون. ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٠١/٢)، ومعاني القرآن للفراء (١٤٧/٢)،وجامع البيان للطبري (٤٢٦/١٢)، عن ابن عباس. وتأويلات أهل السنة للماتريدي=

وقال الحسن رضي الله عنه : أراد بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ إلا ذرية من قوم موسى عليه السلام[1]، كان فرعون أجبرهم على تعلم السحر، وجعلهم من أصحاب نفسه فلما أسلمت السحرة وآمنوا بموسى عليه السلام حين ظهر أن الذي أتى به موسى عليه السلام ليس بسحر أتبعهم هؤلاء الذرية في الإيمان بموسى عليه السلام.

وكان يقول: لم يؤمن من القبط أحد إلا المؤمن الذي يكتم إيمانه من فرعون وقومه[2]، كما ذكره الله تعالى في سورة حم المؤمن"[1].

= (٧٥/٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٣/٥) عن ابن عباس والنكت والعيون للماوردي (٤٤٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٣/٣) ونسبة لابن عباس، ولباب التأويل للخازن (٢٠٣/٣).
وبحر المحيط لأبي حيان (١٨٣/٥)

(١) المؤلف هنا رحمه الله يشير إلى القول الثاني للعلماء في تفسير هذه الآية وهي أن الضمير في قوله تعالى "قومه" عائد على موسى عليه السلام، أي لم يؤمن إلا ذرية من قوم موسى. وهذا هو اختيار الطبري رحمه الله، حيث قال: وهذا القول أولى بالصواب في ذلك، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون "الهاء" في قوله "من قومه" من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر، وبَعْدُ: فإن قوله : (على خوف من فرعون وملئهم) الدليل الواضح على أن الهاء في قوله (إلا ذرية من قومه) من ذكر موسى لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام (على خوف منه) ولم يكن على (خوف من فرعون). انتهى كلامه رحمه الله، جامع البيان (٢٤٧/١٢) وهو اختيار أكثر العلماء رحمهم الله. وهو الظاهر من الآية والله أعلم.
ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٥/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٤٣/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٤٤٥/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٣/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٥٣/٤)، ولباب التأويل للخازي (٢٠٢/٣)، وتفسير السعدي (ص: ٣٧١).
ولم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من نسب هذا القول إلى الحسن. وإنما أكثر العلماء نسبة إلى ابن عباس في أحد قوليه في تفسير هذه الآية.

(٢) وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى : (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم) قال: كانت الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون، يسير، منهم: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤٥/١٢-٢٤٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٣/٥) عن ابن عباس أيضاً .
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٢٠/٢) عن العوفي عن ابن عباس.

وقولـه تعـالى : ﴿ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ ﴾ معنـاه علـى القول الأول[2]: آمنت الذرية على خوف من فرعون وآبائهم وقومهم. [و] [3] على القول الثاني[4] : على خوف من فرعون وأشرافهم ورؤسـائهم أن يَعْلَم الأشراف أمرهم فيخبروا فرعون فيقتلهم أو يعذبهم أو يصـرفهم عن دينهم[5].

وقال الزجاج –رحمه الله-: إنما قال ﴿ مِّن فِرۡعَوۡنَ ﴾ لأن فرعون كان ذا أصـحاب يـأتمرون لـه[6]، وقـال: ونظيـر هـذا قولـه تعـالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ ﴾[7] يعنـي محمداً صلى الله عليه وسلم لأن [النبـي صلى الله عليه وسلم][8] يذكر مع أهل دينه والملك يذكر مع أتباعه[9].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ معناه : إنـه لمستكبر فـي أرض مصر، (وإنه لمن المسرفين) في الكفر والمعاصي[10].

---

(١) سورة غافر، الآية (٢٨).
(٢) القول الأول هو أن الذرية التي آمنت من قوم فرعون كما سبق ذكره في الصفحة (٢٤٩ -٢٥٠).
(٣) ساقطة من (ب).
(٤) القول الثاني: وهو أن الذرية هي التي آمنت من قوم موسى كما سبق ذكره.
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٤٨/١٢-٢٤٩).
(٦) معاني القرآن للزجاج (٣٠/٣).
(٧) سورة هود آية : ١٤
(٨) أثبته من الهامش لأن مشار له في المتن، وهو مثبت في (ب).
(٩) لم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع على هذا القول منسوباً للزجاج وإنما ذكر بعض المفسرين بنحو هذا المعنى غير منسوب وذلك عند تفسيرهم للآية : ١٤ من سورة هود.
ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٤١/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٩/٥-١٦٠) ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٤/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٩/٥).
(١٠) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٠/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).

والإسراف : هو التجاوز عن الحد في كل شيء.[١]

وعن محمد[٢] بن المنكدر –رحمه الله- قال: (عاش فرعون ثلاثة مائة واثنين وعشرين سنة لم يَرَ مكروها، ودعاه موسى عليه السالم ثلاثين سنة) [٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

معناه : قال موسى لبني إسرائيل يا قوم إن كنتم صدقتم بالله كما تقولون فأسندوا أموركم إليه إن كنتم مخلصين مستسلمين لأوامره[٤]،

ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٤/٣) والكشاف للزمخشري (٣٤٦/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٣/٣).
وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٣٣/٣).

(١) ينظر: التعريفات للجرجاني (٣٨/١).
وتاج العروس للزبيدي (٤٣٢/٣٢).
والقاموس الفقهي (١٧٠/١).
وينظر: جامع البيان (المرجع السابق) والكشف والبيان للثعلبي (١٤٣/٥).
والكشاف (المرجع السابق).

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير قرشي تيمي – أبو عبد الله ويقال أبو بكر أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه -وله صحبة- وأبي هريرة وعائشة وأبي أيوب، وروى ابن راهوية عن سفيان قال: كان من معاون الصدق ويجتمع إليه الصالحون، وقال الحميدي : هو حافظ، وقال ابن معين وأبو حاتم ثقة.
توفى سنة ثلاثين ومائة للهجرة.
ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٤٧٣/٣٠).
وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥٥/٥).
والوافي بالوفيات للصفدي (١١٧/٢).

(٣) ذكر هذا القول بنحوه :
بن أبي حاتم في تفسيره (٧٣/٨).
والسمرقندي في بحرالعلوم (١٢٨/٢).
والسيوطي في الدر المنثور (٥٠٩/٣) عند تفسيره للآية : ١٠٣ من سورة الأعراف.
وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٠/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢) والكشاف للزمخشري (٣٤٦/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٣/٣).

وكذلك حين قالوا لموسى عليه السلام : ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾[1].

ويقال أن موسى عليه السلام خاطب بالخطاب المذكور في هذه الآية: الذرية التي آمنت على خوف من فرعون وملائهم[2].

قولـه عـز وجـل ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

معناه : فقالوا لموسى عليه السلام أسندنا أمورنا إلى الله عز وجل ووثقنا به. (ربنا لا تجعلنا فتنة) أي لا تظهرهم علينا فيظنون أنهم على الحق فيكون ذلك فتنة لهم ولغيرهم[3].

ويقال معناه : لا تمكنهم من أن ينزلوا أمراً لا نطيق الصبر عليه فنصرف به عن الدين[4].

وقوله تعالى : ﴿ونجنا برحِمتك﴾ معناه : خلصنا بنعمتك من استعبادهم إيانا[5] فاستجاب الله تعالى دعاؤهم كما ذكر الله تعالى من بعد.

وتفسير السعدي (ص: ٣٧١).

(١) سورة الأعراف: ١٢٩.

(٢) لم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع على من قال ذلك وإنما عامة المفسرين قالوا: إن الخطاب لبني إسرائيل.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٠/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٣٠/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٦/٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٣/٥-١٤٤).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٦/٢).
معالم التنزيل للبغوي (١٠٤/٣).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٢).

(٤) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (٧٦/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٦/٢).
=

= ولباب التأويل للخازن (٢١٣/٣).
والباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٣٩٤/١٠).

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

وذلك أن فرعون لما أتاهم موسى عليه السلام بالرسالة أمر بمساجد بني إسرائيل فكسرت كلها ومنعوهم عن الصلاة علانية فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

ومعناها :وأوحينا إليهما أن اتخذوا لقومكما بمصر بيوتاً [٢]. ويقال: بوأ، إذا عد لغيره بيتاً، وتبوء إذا اتخذ لنفسه بيتاً [٣]. ومن قرأ بتاء خالصة بغير همز جعل الهمزة [ياء] [٤] اختيلراً للتخفيف[١].

تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود. والشيخ: علي محمد معوض. الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ-١٩٦٨م.
دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنات.
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٤/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٣/٣).
(١) المؤلف والله أعلم لا يقصد بقوله "فأنزل الله" أنه سبب نزول للآية وإنما يشير إلى كونه مناسبة للآية.
ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٨/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٤/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن القرطبي (٣٤/١١).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٤/١٢).
الكشف والبيان للثعلبي (١٤٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٦/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٤/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٣/٣).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٦١/١١).
(٣) ينظر : الصحاح للجوهري: باب : بوأ (٣٨/٢).
ومختار الصحاح للرازي باب: الباء (٧٣/١).
ولسان العرب لابن منظور باب: بوأ(٣٦/١).
وتاج العروس للزبيدي : بابيوّ أ (١٥٥/١).
(٤) ساقطة من (ب).

وقوله : ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ أي اجعلوها مصلّى فصلوا فيها مستترين من فرعون وقومه[2]. وقيل معناه: واجعلوا بيوتكم مساجد[3]، قال الحسن رضي الله عنه : واجعلوا بيوتكم نحو [الكعبة] [4] وحيال الكعبة[5]، وقال: وكانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين[6].

وقيل: إنما لم يذكر الزكاة في هذه الآية لأن فرعون كان قد استعبدهم وأخذ أموالهم فلم يكن لهم مال تجب الزكاة فيه[7].

وقوله تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ [٣٠٢/ب] فبشرهم بالثواب في الآخرة والنصر في الدنيا آجلاً وعاجلاً [8].

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٥٤٣/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٣٩/٢) وينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٢٥٩/٦).
واللباب في علوم الكتاب (٣٩٤/١٠).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٥٥/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣٠/٣) ومعاني القرآن للنحاس (٣١٠/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥/١١).
(٣) تفسير الضحاك (٤٣٧/١).
وينظر : جامع البيان للطبري (٢٥٦/١٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣١٠/٣) ونسبه لابن عباس.
وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).
والباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٣٩٦/١٠).
(٤) في : ب (القبلة).
(٥) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من نسب هذا القول للحسن رحمه الله وإنما نُسِب إلى ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، ومقاتل وهو قول الفراء أيضاً. ينظر: تفسير مجاهد (٢٩٦/١).
تفسير الضحاك (٤٣٧/١)، وتفسر مقاتل بن سليمان (١٠٢/٢).
ومعاني القرآن للفراء (١٤٨/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٥٧/١٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٤/٥) وزاد المسير لابن الجوزي (٥٤/٤).
(٦) هذا القول نسبه الثعلبي في الكشف والبيان إلى ابن عباس (١٤٤/٥)، وكذلك ابن الجوزي في زاد المسير (المرجع السابق)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٥/١١)، وابن عادل الحنبلي في اللباب (٣٩٥/١٠).
(٧) بحر العلوم للسمرقندي (١٢٨/٢).
(٨) ينظر : جامع البيان للطبري (٢٦٠/١٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٥٥/٤).



وتفسير السعدي (ص ٣٧٢).

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

قال بعضهم معنى الآية : وقال موسى عليه السلام ربنا إنك أعطيت فرعون وملأه زينة أي زهرة من المراكب [والحلى] [(١)] والثياب وأموالاً كثيرة من الدراهم والدنانير والعروض، يا ربنا أعطيتهم الزينة والأموال لتكون عاقبة أمرهم أن يضلوا عن سبيلك ولا يؤمنوا، وقال: هذه اللام: لام العاقبة[(٢)] كما في قوله تعالى ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[(٣)].

وقوله عز وجل : ﴿ ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ معنى الطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها[(٤)]، وحقيقة الطمس : ذهاب الشيء الشـــــــــــيء عن صورته بمحو الأثر[(٥)].

---

(١) في (ب) : الحلوى.
(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٣٨/٢)، وجامع البيان للطبري (٢٦٢/١٢).، ومعاني القرآن للزجاج (٣٠/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣١٠/٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٣٧/٣) وقد ذكر ذلكأيضاً : الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٥/٥).
والرازي في مفاتيح الغيب (٢٩٢/٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٨/١١).
قال: وهو قول الخليل وسيبويه ورجحه.
وأبي حيان في البحر المحيط (١٨٥/٥) وابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٢٨).
(٣) سورة القصص آية : ٨.
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٣/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣١/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٥/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٣).
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣١/٣).
ومختار الصحاح للرازي : باب: الطاء. (٤٠٣/١٠).
ولسان العرب: باب: طمس (٢٦/٦).

قال مجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير رحمهم الله تعالى : يغير الله أموال قوم فرعون حتى صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة أنصافاً وأثلاثاً وأرباعاً وكذلك سائر أموالهم حتى السكر[١] [الفَانيد] [٢].

وقوله تعالى : ﴿ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ معناه : اربط على قلوبهم بالصبر حتى لا يجولوا عن بلادهم إلى بلاد الخصب فيبقون في هذه العقوبة أبداً . وهذا كما قال لمن أصابته مصيبة : (ربط الله على قلبك) أي صبرك الله تعالى[٣].

وقوله تعالى : ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ مؤخر عن موضعه على هذا القول متصل بقوله تعالى : ﴿ ليضلوا عن سبيلك﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ حتى يرو العذاب الأليم﴾ أرادبه عذاب الاستئصال.
(١)

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٦/١٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٧٤/٨).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٥/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٨/٢).
والوجيز للواحدي (٥٠٦/١).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩/١١).

(٢)هو ضرب من الحلوى معروف، فارسي مُعَرَّب بانيد-بالدال المهملة ينظر: تاج العروس للزبيدي : باب : فند (٤٥٥/٩).

(٣) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر هذا المعنى عند تفسير هذه الآية، وإنما عامَّه المفسرين ذكروا أن معنى (واشدد على قلوبهم) أي:قَسِّها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٦٧/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٥/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٥/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٣).

(٤) بمعنى أنه معطوف على "ليضلوا" وهو في موضع نصب.
ينظر : معاني القرآن للأخفش (٣٨/٢).
وجامع البيان للطبري (٢٦٩/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٣١/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣١٢/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٤٨/٢).
والدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٠/٦).

وقال بعض المفسرين رحمهم الله: معنى قوله تعالى : ﴿ ليضلوا عن سبيلك﴾ أعطيتهم الأموال لئلا يضلوا عن سبيلك[٢].

وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾[٣] معناه: ألا تضلوا وكما في قوله تعالى : ﴿ أن تضل إحداهما ﴾[٤] المعنى: لأن لا تضل إحداهما وقوله تعالى (﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾[٥] فكأن موسى عليه السلام قال في دعائه: ربنا إنك أعطيتهم الأموال لئلا يضلوا عن دينك فكفروا بنعمتك وضلوا عن الحق، ربنا أطمس على أموالهم.

وقوله تعالى : ﴿ فلا يؤمنوا ﴾ على هذا التأويل : خبر وضع في موضع جواب الأمر لوقوعه موضع الجزاء[٦] كما يقال :

انظر إلى الشمس تغربْ ، وكان ينبغي أن يقال : (تغرُبُ) بالرفع إلا أن هذا لما كان في موضع الجزاء في صورة اللفظ أجرى عليه إعراب الأمر، كذلك قوله تعالى : ﴿ واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا﴾ تقديره: واشدد على قلوبهم فلن يؤمنوا حتى يروا العذاب الموجع الأليم.

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).
والوجيز للواحدي (٥٠٧/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٥/٣).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٠٥/١).
وأحكام القرآن للجصاص (٢٣٧/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩٢//٦).
والدر المصون للسمين الحلبي (٢٥٩/٦) ونسبة للجبائي قال: ورأي البصريين في مثل هذا تقدير (كراهة) أي : كراهة أن يضلوا.

(٣) سورة النساء، آية : ١٧٦.

(٤) سورة البقرة، آية : ٢٨٢.

(٥) سورة الأعراف، آية : ١٧٢.

(٦) قال العكبري في إملاء ما من به الرحمن (٣٣/٢) في موضع: (فلا يؤمنوا) وجهان : أحدهما النصب، والثاني: الجزم لأن معناه : الدعاء (فلا آمنوا) والموضع الثاني وهو الجزم، هو الذي يشير إليه المصنف هنا رحمه الله.
ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٩/٢).
وجامع البيان للطبري (٢٦٥/١٢).
وإعراب القرآن للنحاس (٢٦٦/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٦/٥).

وذهب بعض المفسرين رحمهم الله إلى أن قوله تعالى : ﴿ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا ﴾. استفهام إلا أنه حذف عنه ألف الاستفهام[١]، وهـــذا

كما قال الشاعر[٢] :

كذبتك عينك إن رأيت بواسط

غلسَ الظلام من الرباب خيالاً [٣]

وأراد بقوله: كذبتك عينك: أكذبتك على جهة الاستفهام إلا أنه حذف عنه ألف الاستفهام فصار تقدير هذه الآية : ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ ﴾.

وإنما حملت هذه الآية على إحدى هذه التأويلات الثلاثة؛ لأن الأنبياء عليهم السلام إنما يبعثون للدعاء إلى الإسلام فيستحيل أن يسأل أحد منهم أن يشد الله تعالى على قلوب الكفار حتى لا يؤمنوا[١].

---

(١) ذكر ذلك:
الرازي في مفاتيح الغيب (٢٩٢/٦).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٨٥/٥).
والسمين الحلبي في الدر المصون (٢٦٠/٦).
وابن عادل الحنبلي في الباب (٣٩٨/١٠).

(٢) قائل هذا البيت: هو الأخطل وهو شاعر زمانه واسمه غياث بن غوث التغلبي النصراني، قيل للفرزدق من أشعر الناس، قال: كفاك بي إذا افتخزت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح، وكان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل، ويفضله في الشعر على غيره وكان من أسن أهل طبقته.
سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٨٩/٤).
وطبقات فحول الشعراء للجمحي (٤٥٤/٢).

(٣) نص البيت: كذبتك عينك أم رأيت : وليس كما هو مثبت في الأصل.
ينظر: ديوان الأخطل (٢٠٠/١).
والكامل في اللغة والأدب لابن المبرد (١٨١/٢).

وقولـه عـز وجـل : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

معناه : قال الله تعالى لموسى عليه السلام وهارون عليه السلام: قد أجيبت دعوتكما، ذلك أن موسى عليه السلام كان [يدعو] [٢] بالدعاء الذي ذكر في الآية التي قبل هذه الآية، وكان هارون يُؤَمِّن على دعائه فسماهم الله تعالى داعيين[٣].

وقوله تعالى : ﴿ فاستقيما﴾ ⌈معناه⌉ [٤] : فاستقيما في دعاء الناس إلى الإيمان بالله عز وجل. وقوله تعالى : ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ نهي لهما عن إتباع سبيلهم؛ لأن سبيلهم كان الغي والضَلال[٥]. ومن قرأ :

---

(١) ذكر هذا المعنى :
الخازن في لباب التأويل (٢٠٥/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤١/١١).
وابن عادل الحنبلي في اللباب (٣٩٨/١٠).
والشوكاني في فتح القدير (٥٨١/٢).
والنسفي في مدارك التنزيل (٢٤٩/٢).
(٢) في : (ب) يدعونا ولعله خطأ من الناسخ والله أعلم.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٠/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).
والنعكت والعيون للماوردي (٤٤٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٥/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٣).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٤٠١/١٠).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٢).
(٤) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
(٥) ينظر : جامع البيان للطبري (٢٧٢/١٢-٢٧٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٢٩/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٥/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٥/٣).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٤٠٢/١٠).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٢).

و(لا تَدْبَعان) بجزم التاء ونصب الباء فهو من تِبعَ يَدْبعُ، والنون الشديدة إنما دخلت مُؤكِّدة للنهي[1]، وبالله التوفيق.

قوله عز وجل : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

معناه: وجعلنا لبني إسرائيل بحر القلزم وهو يقرب نيل مصر يبسا حتى جاوزه، فأتبعهم فرعون وجنوده.

ليبغوا عليهم ويظلموهم حتى إذا الجم فرعون الغرق آمن إيمان الإلجاء فلم ينفعُه ذلك الإيمان، فإن فرعون لما لجأ إلى البحر رأى الطريق يابساً وقد جاوزه بنوا إسرائيل، ولم يعلم أن الله تعالى إنما فعل ذلك لنجاة بني إسرائيل وإهلاكه مع جنوده فتقحم البحر فأدركه الغرق[2]، فقال :

﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

فقال له جبريل عليه السلام الآن تؤمن عند الغرق وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين بالكفر والمعاصي في وقت المهلة[3]، وروي عن عبد

---

(١) قرأ ابن ذكوان والداجوني عن أصحابه عن هشام بتخفيف النون فتكون "لا" نافية فيصير اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي، (ولا تتَّبعانِّ) وقرأ الباقون بالتشديد (ولا تتَّبِعانِّ).
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٦/٢).
والكشف لمكي بن أبي طالب (٩٨/٢).
والحجة لابن خالويه (ص: ١٨٣).
وإتحاف فضلاء البشر (٣٩/٢).

(٢) ذكر المصنف رحمه الله معنى الآية بتصرف منه ومعناها موجود في كثير من كتب المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٣/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣١/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨٠/٦-٨١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٠/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٦/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٦/٣).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٤٠٤/١٠).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٠٣/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٠/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٤٧/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٦/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٦٠/٤)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٤٠٦/١٠).
وفتح القدير للشوكاني (٥٨٣/٢).
حيث قال : وقد اختلف من القائل لفرعون هذه المقالة ؟

الله بن عباس رضي الله عنهما: أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ لو رأيتني وفرعون يدعو بكلمة الإخلاص ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وأنا أدسه في الماء والطين لشدة غضبي عليه مخافة أن يتوب فيتوب الله عليه[1]. فقال له رسول الله ﷺ : (وما شدة غضبك؟) فقال: يا محمد لقوله : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2]. وهي كلمته [الآخرة فإنما قالها حين انتهى إلى البحر، وكلته الأولى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِى﴾[3]. وكان بين الأولى والآخرة أربعون سنة[4]، وهذه الرواية صحيحة إلا قوله : (مخافة أن يتوب فيتوب الله عليه).

فقيل : هي من قول الله سبحانه، وقيل من قول جبريل، وقيل من قول ميكائيل، وقيل من قول فرعون قال ذلك في نفسه لنفسه.

(١) نص الرواية في كتب الحديث:
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: {لما أغرق الله فرعون قال: [آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل} [يونس: ٩٠]. قال جبريل : يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن يقول لا إله إلا الله.
أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس (٢٤٠/١).
يتعليق شعيب الأرنؤوط قال: صحيح موقوفاً على ابن عباس.
كما أخرج نحوه الترمذي في سننه عن ابن عباس (٢٨٧/٥).
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.
قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره.
وأخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٢٢٧/١٢) عن ابن عباس.
وينظر : جامع الأصول لابن الأثير (١٩٢/٢).
وجمع الجوامع للسيوطي (١٦٧٠٦/١).
وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزيلعي (١٣٨/٢).
وقد أورد هذه الرواية كثير من المفسرين: كالسمرقندي في بحر العلوم (١٣١/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١٠٦/٣) والزمخشري في الكشاف (٣٤٩/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (٦٠/٤).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٤٦/٢).

(٢) سورة النازعات : الآية (٢٤).

(٣) سورة القصص : الآية (٣٨).

(٤) هذه رواية أخرى واردة في تفسير الآية (٢٤) من سورة النازعات، وقد دمجها المصنف رحمه الله في رواية واحدة، ولم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من أوردها بهذا اللفظ الذي ذكره هنا، وإنما أخرجها الطبري في تفسيره (٢٠٣/٢٤) عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ قال: هو قوله : ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ وقوله : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ وكان بينهما أربعون سنة.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٤/١٢) عن السدي.
وذكره كثير من المفسرين أيضاً : كالسمرقندي في بحر العلوم (٥٢١/٣) والثعلبي في الكشف والبيان (١٢٧/١٠)، والبغوي في معالم التنزيل (١٠٥/٣)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٥٦٥/٤).

لأنه يخلو إما إن كان التكليف ثابتاً في ذلك الوقت أو غير ثابت فإن كان ثابتاً لم يجز على جبريل عليه السلام أن يمنعه من التوبة، ولو منعه عن التكلم باللسان لكانت ندامة فرعون بالقلب كافية في توبته لأن الأخرس إذا تاب بالندم بقلبه والعزم على ترك المعاودة إلى القبيح كانت توبته صحيحة.

وإن لم يمكن التكليف ثابتاً في ذلك الوقت لم يكن للمنع عن التوبة وجه من الوجوه، وإنما لا يقبل الإيمان في وقت إلا نجاء لأن الذي يؤمن في تلك الحالة يعلم أنه لو حاول خلاف ما يؤمر به حيل بينه وبينه، فلا يكون مثاباً على ذلك الإيمان إلا لمعرفته الحسن والقبيح من طريق الضرورة دون الاجتهاد[1].

قوله عز وجل : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

معناه : فاليوم نلقيك على نجوةٍ من الأرض – وهي المكان المرتفع[2]- (ببدنك)، أن بدرعك. قال ابن عباس رضي الله عنه : كان

والسيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن مردويه (٤١٥/٦).
قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٤٢١/٨) واختلف في (الآخرة والأولى) أهم الدنيا والآخرة، أم هم الكلمتان العظيمتان اللتان تكلم بهما فرعون في قوله ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ والثانية : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.
قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة.
وقد اختار ابن كثير الأول، واختار ابن جرير الثاني مع كثير من المفسرين.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣٤٩/٢).
مفاتيح الغيب للرازي (٢٩٧/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٦/٣-٢٠٧-٢٠٨).
وتفسير النسيابوري (٢٧٨/٤).
واللباب لابن عادل (٤٠٦/١٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٧٩/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٣٢/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣١/٢) والنكت والعيون للماوردي (٤٤٩/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٦/٣)
وزاد المسير لابن الجوزي (٦٠/٤).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٢).

فرعون قصير القامة طوله ستة أشبار، وكانت لحيته قريباً من قامته، وكان له درع سلاسلها من ذهب يعرفها جميع بني إسرائيل، فسألت موسى بنو إسرائيل، فدعا الله عز وجل فأخرجه تعالى ببدنه حتى رأوه وعرفوا الدرع فطابت أنفسهم بذلك[1]، ويقال: كان في بني إسرائيل من لا يصدق بهلاك فرعون و[لذلك] [2] سأل موسى عليه السلام أن يلقيه الله تعالى على نحوه من الأرض ببدنه أي وحده دون قومه[3].

وقيل معنى : ﴿ننجيك ببدنك﴾ ننجيك من الماء ببدنك دون روحك فأمَّا روحك فمعذب على كل حال[4].

وقوله تعالى : ﴿ لتكون لمن خلفك آية﴾ أي : لنكون لمن بعدك في الكفار آية في النكال لئلا يقول أحد بعدك مثل مقالتك، ويعرفوا أنك لو كنت إله ما غرقت[5].

---

(١) لم أجد بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر هذه الرواية بتمامها، وإنما ذكر بعضاً منها بنحوه غير منسوب:
ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٤٩/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٦/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٥٠/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (٦١/٤).
ومفاتيح الغيب للرازي (٢٩٧/٦) ونسبة لابن عباس.
ولباب التأويل للخازن (٢٠٩/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٥٤/٥).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٤٠٧/١٠).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (٢١٣/٣).

(٢) في : (ب) وكذلك، ولعله تصحيف لأنه لا يتناسب مع السياق والمعنى.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٩٣/٨).
وزاد المسير لابن الجوزي (٦١/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥١/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٩/٣).
والدر المصون للسمين الحلبي (٢٦٤/٦).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثيراً (٤٤٦/٢).

(٤) قال: ابن الجوزي رحمه الله: في قوله (ببدنك) : أربعة أقوال:
أحدها : بجسدك من غير روح قاله مجاهد وذكر البدن دليل على عدم الروح.
الثاني: بدرعك.
والثالث: نلقيك عريانا، قاله الزجاج. =

= والرابع: ننجيك وحدك، قاله ابن قتيبة.
ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨١/١٢).

وقوله تعالى : ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ معناه: وإن كثيراً منهم عن التفكر في دلائلنا وعن تدبرها لغافلون[1].

قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

معناه: ولقد أنزلنا بني إسرائيل في موضع خصب وآمن، وهي أرض مصر[2]، وما بين أردن وفلسطين.

ومعاني القرآن للزجاج (٣٢/٣).
وتفسير ابن أبي حاتم (٩٢/٨).
ومعاني القرآن للنحاس (٣١٥/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣١/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٤٩/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٨/٥).

(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٣١/٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨٢/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (٦١/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٩/٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٣/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨٢/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٠/١١).
وفتح القدير للشوكاني (٥٨٤/٢).

(٢) هذا القول منسوب إلى الضحاك، وقد ذكره في تفسيره (٤٣٨/١)، وذكره الطبري في جامع البيان (٢٨٤/١٢) منسوباً إلى الضحاك، وهو قول السمرقندي في بحر العلوم (١٣١/٢).
وأورده الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٨/٥) غير منسوب وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤٤٩/٢) منسوب إلى الضحاك. وكذلك البغوي في معالم التنزيل (١٠٧/٣).
وعزاه بن الجوزي في زاد المسير (٦٢/٤) وأبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٥) للضحاك.

ويقال: هي الأرض المقدسة التي ورثها من أبيهم [إبراهيم][(١)] عليه السلام[(٢)] وسماها منزل صدق؛ لأن فضلها على سائل المنازل كفضل الصدق على الكذب[(٣)].

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي من النعم، فما اختلفوا في محمد ﷺ والقرآن، لم يزلوا مؤمنين بذلك يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، حتى بعث الله محمد ﷺ فآمن به بعضهم وكفر به بعضهم[(٤)].

إن ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة بتمييز المحق من المبطل، ويجازي كلاً منهم بما يستحق[(٥)].

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) أسند الطبري (٢٨٤/١٢) وابن أبي حاتم (٩٤/٨). نحوه عن قتادة وابن زيد . وزيد بن أسلم.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٣١/٢)عن قتادة أيضاً .
وذكره أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٨/٥) غير منسوب.
والماوردي في النكت والعيون (٤٤٩/٢) عن قتادة.
والبغوي في معالم التنزيل (١٠٧/٣) غير منسوب.
وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير (٦٢/٤) لأبي صالح عن ابن عباس.
وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥١/١١) غير منسوب.
وأبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٥) ونسبه إلى ابن عباس.

(٣) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر هذا التعليل سوى المصنف رحمه الله والظاهر والله أعلم أنه من تعليقه.
وقد ذكر بعض العلماء تعليلاً آخر لنسبة الصدق إلى المكان فقالوا: لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، يقول: رجل صدق، وقدم صدق.
ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٩٨/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٠٩/٣) وروح المعاني للألوسي (٨٩/١١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٤/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨٣/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣١/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥١/١١.
ولباب التأويل للخازن (٢٠٩/٣).

(٥) ينظر : تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
ولباب التأويل (المرجع السابق).

[٣٠٣/ب] قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

روى عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنه– أنه قال : وذلك أن كفار قريش قالوا: إن هذا الوحي الذي يوحى إلى محمد مما يلقيه الشيطان إليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية(١).

وأراد بالذين يقرأون الكتاب من قبلك مؤمني أهل الكتاب عبد الله ابن سلام وأصحابه، فإنهم سيخبرونك أنه مكتوب عندهم في التوراة(٢)، فقال ﷺ : (لا أسأل أحداً ولا أشك فيه بل أشهد أنه الحق) (٣)قال: وكان النبي ﷺ أعلم بالله تعالى وأشد يقيناً به من أن يسألهم(٤).

---

(١) ذكر هذا القول الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٨٤/٦) غير منسوب.
كما ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٩/٥) منسوباً لمقاتل.

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٤٣٩/١).
وتفسير مقاتل بن سليمان (١٠٤/٢).
وجامع البيان للطبري (٢٨٦/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٢/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٧/٣) منسوباً إلى ابن عباس ومجاهد والضحاك.
وزاد المسير لابن الجوزي (٦٤/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢١٠/٣).

(٣) أخرج عبد الرزاق نحوه في مصنفه عن قتادة، كتاب: أهل الكتاب، باب: هل (يسأل أهل الكتاب عن شيء رقم : (١٠٢١١-١٢٥/٦).
كما أخرج نحوه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢٥/١٢) من طريق معمر، وأخرجه أيضاً من طريق يزيد عن سعيد، كلاهما عن قتادة قال: (بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : (لا أشك ولا أسأل).
وينظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١٤٠/٢) تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد- الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ-دار النشر: دار بن خزيمة – الرياض.
والفتح السماوي لعلوي السقاف (١٥/١) الطبعة: الثالثة .
(ب-ت-ط) و (ب-ح-ط).

(٤) ذكر نحو هذا القول: الطبري في جامع البيان (٢٨٧/١٢-٢٨٨) منسوباً إلى الحسن البصري وسعيد بن جبير.
كما ذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن (٣٢/٣).

والخطاب على هذا القول للنبي ﷺ والمراد به جميع من آمن به كما في قوله تعالى : ﴿ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ إلى أن قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾[1]، ولقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾[3]، وهذه العادة في المخاطبات أن يُنادَى الرئيس فيخاطب بما يراد أن يخاطب به القوم.

وقد يذكر هذا الخطاب ولا يراد به الشك، وهذا كما يقول الرجل لعبده : (إن كنت عبدي فأطعني) ويقول لأبيه : (إن كنت أبي فتعطف علي) وليس هو يشك في أنه أبوه، إنما يريد بهذا الكلام التقرير والتحقيق[4].

وذهب الحسن –رضي الله عنه– إلى أن معنى قوله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك﴾ ما كنت في شك، ويجوز أن تكون "إن" في موضع ما[5]، وقوله تعالى: (فاسأل الذين يقرأون الكتاب) أي لسنا نأمرك بالسؤال عنهم

منسوباً إلى الحسن البصري.
وكذلك النحاس في معاني القرآن (٣١٨/٣)بنحوه عن الحسن أيضاً .
وأيضاً الزمخشري في الكشاف (٣٥٢/٢) بنحوه عن ابن عباس.
وذكر نحوه أيضاً الخازن في لباب التأويل (٢١٠/٣) عن ابن عباس قال: ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري.

(١) سورة الأحزاب : آية (١).
(٢) سورة الطلاق آية : (١)
(٣) سورة الزخرف آية : (٤٥).
(٤) هذا قول الفراء في معانيه (١٥/٢).
كما أورده الطبري في جامع البيان (٢٨٨/١٢) وجوزه والزجاج في معانيه (٣٢/٣-٣٣) وقد رجح الزجاج هذا القول.
وكذلك النحاس في معانيه (٣١٦/٣).
كما أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١٦٠/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (١٠٧/٣).
والخازن في لباب التأويل (٢١٠/٣).
وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٠/٥).
(٥) لم أقف على قول الحسن فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

لأنك شاك، ولكن سلهم [لتزداد] [1] يقينا[2]، كما قال الله تعالى لإبراهيم السلام : ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾[3].

والقول الثالث : وهو الأقرب إلى ظاهر الآية: أن قوله : ﴿ فإن كنت في شك﴾ ليس بخطاب للنبي ﷺ وإنما تقديره فإن كنت أيها المخاطب وأيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبيك، فإن الأنبياء عليهم السلام إنما أنزل عليهم الوحي، وأنزل إلينا الخطاب على ألسنة الرسل عليهم السلام.

ومن عادة العرب وطريقتهم أنهم يخاطبون الرجل بشيء ولا يريدون به إلا غيره[4]. كما قال : (إياك أعني فاسمعي يا جارة) [5] ومما يؤيد هذا القول: أن الناس كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاث مراتب، مؤمن وكافر وشاك، فخاطب الله تعالى بهذه الآية الشاك وأمره بسؤال الذين يقرءون الكتاب من قبله عن الشيء المبشر به

---

(١) في (ب) لتزدادوا.

(٢) ذكر هذا المعنى الزجاج في معاني القرآن (٣٣/٣).
والنحاس في معاني القرآن (٣١٧/٣) والزمخشري في الكشاف (٣٥٢/٢) وعزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٦٠/٣) إلى الحسن.
كما أورده ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/٤) ونسبه لابن عباس وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٠/٥)ونسبه للحسن أيضاً .

(٣) سورة البقرة: آية : ٢٦٠.

(٤) وهذا هو ما رجحه الزجاج في معانيه (٣٢/٣).
والنحاس أيضاً في معانيه (٣١٦/٣).
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٣٢/٢) والماوردي في النكت والعيون (٤٥٠/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/٤) قال: وهذا قول الأكثر.
والخازن في لباب التأويل (٣٠٠/٣).
والشنقيطي في أضواء البيان (٣/٢) حيث قال: ومعلوم أنه ﷺ لا يفعل شيئاً من ذلك، ولكن الله يخاطبه ليوجه الخطاب إلى غيره في ضمن خطابه ﷺ.

(٥) هذا مثل مشهور عند التعريض بإظهارك شيئاً وأنت تريد شيئاً، وهو لنهشل بن مالك الغزاري في شعر له.
ينظر : مجمع الأمثال للميداني (٤٩/١).
وجمهرة الأنساب للعسكري (٢٩/١) تحقيق/ محمد أبو الفضل قطامش-الطباعة: الثانية، ١٩٨٨م- الناشر: دار الفكر (ب-ب-ط).

حتى إن وافقت صفة النبي ﷺ المبشر به في الكتب المنزلة قبل القرآن صفة محمد ﷺعلم الشاك أنه هو المبُشَّرُ به[1].

ويجوز أن يكون هذا أمر من أهل الكتاب بالسؤال عن أهل الكتاب على ما تقدم في قوله : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[2] وعن سائر أخبار الأمم الماضين التي أخبر النبي ﷺ بها المؤمنين ولم يكن في الكتاب، وإنما قلنا إن هذا القول أقرب إلى ظاهر الآية لأنه قال تعالى في آخرها (فلا تكونن من الممترين) [الشاكين][3] في الحق[4].

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٣٢/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٧/٣) ومفاتيح الغيب للرازي (٣٠١/٦).

(٢) سورة يونس آية (٩٣).

(٣) في (ب) الشاكرين وهو تحريف والصحيح ما أثبت كما في الأصل.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٣/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢١١/٣).

وقال عز من قائل ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

معناه : ولا تكونن من الذين كذبوا بدلائل الله تعالى وتوحيده فاعرضوا عن تدبرها والتفكر فيها فتكون من المغبونين بالوزر والعقوبة[١]، وإنما حملنا الآية على هذا القول الثالث؛ لأن غير النبي ﷺ إنما يعرف ما بين له تعالى على النبي ﷺ بالرجوع إليه فكيف يجوز أن يكون هو شاكاً فيه[٢]؟

قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

معناه : إن الذين أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الموجع فيصيرون ملجئين إلى الإيمان، فلا يقبل منهم الإيمان حينئذ[٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٨٩/١٢).
ولباب التأويل للخازن (٢١١/٣).

(٢) عاد المصنف رحمه الله وعلل سبب اختياره للقول بأن الخطاب ليس للنبي ﷺ وهذا التعليل لم أقف عليه من قول غيره.

(٣) ذكر نحو هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٢٩٠/١٢).
والنحاس في معانيه (٣١٨/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥٣/١١).
والخازن في لباب التأويل (٢١١/٣).

قوله عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه : هَلاَّ كانت قرية آمنت[1] أي لم تكن أهل قرية [٣٠٤/أ] آمنت عند نزول العذاب فنفعها إيمانها وقُبِلَ منها، إلا قوم يونس لما آمنوا وعرف الله تعالى منهم الصدق، صرف عنهم عذاب الهون في الحياة الدنيا ومتعهم إلى منتهى آجالهم المضروبة لهم.

وذلك أن يونس عليه السلام بعثه الله إلى قومه ودعاهم إلى عبادة الله وترك الكفر فأبوا، فدعا ربه فقال: يا رب قد دعوتهم فأبوا، وأوحى الله تعالى إليه أن ادعهم فإن أجابوك وإلا فاعلمهم أن العذاب يأتيهم إلى ثلاثة أيام، فدعاهم فلم يجيبوه، فأخبرهم بالعذاب وخرج من بينهم، فقالوا: ما جربنا عليه كذباً مُذكان معناه فاحتالوا لأنفسكم، فلما كان في اليوم الثالث رأوا حمرة وسواداً في السماء كهيئة النار والدخان، فجعلوا يطلبون يونس عليه السلام فلم يجدوه، فلما كان آخر النهار أيسوا من يونس عليه السلام وجعل يهبط السواد والحمرة.

فقال قائل منهم : إن لم تجدوا يونس عليه السلام فإنكم تجدون رب يونس عليه السلام فادعوه، فدعوه وتضرعوا إليه، فخرجوا عن القرية إلى

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٩٢/١٢).
عن عطاء عن ابن عباس..
وذكر هذا المعنى: الزجاج في معانيه (٣٣/٣) غير منسوب.
وكذلك السمرقندي في بحر العلوم (٣٥٣/٢).
والزمخشري في الكشاف (٣٥٣/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (٦٤/٤) ونسبه لابن عباس.
وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٢/٥) قال: لولا هنا هي التحضيضية التي صحبها التوبيخ، وكثيراً ما جاءت في القرآن للتحضيض، فهي بمعنى هلاّ، والتحضيض أن يريد الإنسان فعل الشيء الذي يحض عليه.

الصحراء، وأخرجوا النساء [والصبيان والبهائم] [1]، ثم فرقوا بين كل إنسان وولده، وبين كل بهيمة وولدها وعجوا[2] إلى الله تعالى مؤمنين به وارتفعت الأصوات.

وقرب منهم الحمرة والسواد والدخان حتى غشي السواد سطوحهم، وبلغهم حر النار، فلما علم الله تعالى منهم صدق التوبة رفع عنهم العذاب بعد ما كان غشيهم[3].

قال مقاتل -رحمه الله -لولا في القرآن على ثلاثة أوجه[4] :-

أحدها : بمعنى (لم) كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾ [5].

---

(١) في (ب) البهائم والصبيان.

(٢) (عَجَّ)يعجُّ عَجًّا وعجيجاً وضَجَّ يَضجُّ رفع صوته وصاح وقيده في التهذيب فقال بالدعاء والاستغاثة.
ينظر: العين للفراهيدي، باب: عج (٦٧/١).
ينظر: أساس البلاغة : باب: ع ج ج (٩٢/٢).
ولسان العرب لابن منظور، باب : عجج (٣١٨/٢).
وتاج العروس للزبيدي، باب: عجج (٨٩/٦).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩٦/١٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣١٩/٣)مختصراً .
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٣/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥١/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥١/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٦٥/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٥/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢١١/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٨/٢-٤٤٩).

(٤) هذا القول نقله المصنف رحمه الله عن السمرقندي في بحر العلوم (١٣٢/٢)، قال ابن هشام: وذكر الهروي أنها تكون نافية بمنزلة (لم) وجعل منه قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ... الآية ﴾. ثم قال: والظاهر أن المعنى على التوبيخ، أي فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها ذلك. وهذا هو تفسير الأخفش والكسائي والفراء وعلي بن عيسى والنحاس.
ثم قال الدسوقي في حاشيته على المغني : ولما كان قول الهروي من عنده ولم يوافقه أحد فيه كان ضعيفاً فلم يعده النحاة معناً للولا.
ينظر: حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (٢٨٠/١) ملتزم الطبع والنشر، عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.

(٥) سورة يونس : (الآية : ٩٨).

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[1].

والثاني : بمعنى : (هلاّ) كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾[2]

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[3].

والثالث: بمعنى : فلوما كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾[4]. وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾[5].

وقال مجاهد رحمه الله معنى الآية : فهلا أهل قرية سوى قوم يونس عليه السلام آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب كما أن قوم يونس لما أحسوا بنزول العذاب بهم نفعهم إيمانهم[6] وإلى هذا ذهب بعض المفسرين رحمه الله.

وقالوا : إن قوم يونس لم يقع بهم العذاب وإنما رأوا الآية التي تدل على العذاب، فلما آمنوا كُشِفَ عنهم[7]، ولولا إيمانهم لهلكوا بالعذاب كما هلك ثمود.

ومَثَلُ ما أصاب قوم يونس عليه السلام مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت فتوبته صحيحة، وأمَّا الذي يعاين

---

(١) سورة هود (الآية : ١١٦).
(٢) سورة الأنعام (الآية : ٤٣).
(٣) سورة الواقعة (الآية : ٨٦).
(٤) سورة النساء : الآية : ٨٣)
(٥) سورة الصافات (الآية : ١٤٣).
(٦) ينظر: تفسير مجاهد (٢٩٨/١) وجامع البيان للطبري (٢٩٣/١٢).
بحر العلوم للسمرقندي (١٣٣/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٨/٣) غير منسوب.
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٤/٣).
وينظر: معاني القرآن للنحاس (٣١٨/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥١/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٠٨/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٦/١١).

فلا توبة له[1] كما قال جل ذكره : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ .... إلى آخر الآية ﴾[2].

قالوا: استعمال إلا في موضع سِوَى كثير في اللغة[3]، وقال الحسن -رضي الله عنه- في معنى الآية: لم يكن فيما خلا أن يؤمن أهل قرية بأسرها حتى لا يبقى فيهم كافر، إلا قوم يونس عليه السلام فإنهم آمنوا أجمعون، فَهَلاَّ كانت القرى كذلك[4].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾.

معناه: لو شاء ربك يا محمد لَوَفَّق أهل الأرض كلهم للإيمان فآمنوا. ويقال معناه : ولو شاء ربك أن يجبر الناس على الإيمان لأمن من في الأرض [كلهم][5] جميعاً كما آمن قوم يونس[6] [عليه السلام][7].

وقوله تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ معناه: أفأنت تريد إكراه الناس على الإيمان إنْ لم يرد إكراههم عليه، وقيل في سبب نزول هذه الآية أن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٣٤).

(٢) سورة النساء الآية : ١٨ ونص الآية ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

(٣) هذا قول الكوفيين في الاستثناء المنقطع، وقال البصريون : إلاَّ " في تأويل "لكن".
ينظر: الأصول في النحو لابن السراج (١/٢٩٠) تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي – الطبعة: الثالثة ١٩٨٨م – الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت.
وحاشية الصبان (١/٢٠٨) الطبعة : الأولى – ١٤١٧هـ-١٩٩٧م-الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.
ومعاني القرآن للفراء (٢/١٨١)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣١٩).

(٤) لم أقف على قول الحسن فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٣٤).
وينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٥/١٣٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٥٦).

(٧) أضيفت من الهامش لأنه مشار لها في المتن . وهي بخط الأصل.

النبي ﷺ كان حريصاً على أن يسلم عمه أبو طالب وقومه، فأعلمه الله تعالى بهذه أن إسلامهم ليس بيده[(١)].

(١) ذكر هذا المعنى السمرقندي في بحر العلوم (١٣٤/٣) دون أن يذكر أنه سبب لنزول الآية. كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥٧/١١) ونسبه للسمرقندي وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٢/٥) غير منسوب، ولعله يقصد مناسبة الآية والله أعلم.

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

معناه : وما كانت نفس لتؤمن إلا بإذن الله، أي إلا بتوفيقه[١].

ويقال: إلا بأمره[٢]، وقد أمر الله تعالى الكل بالإيمان.

ويقال معناه :إلا بتمكين الله تعالى بما جعل في عقله من نَصْب الأدلة على أن الإيمان خير من الكفر[٣].

وقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي يجعل جزاء الكفر على الذين لا ينتفعون بعقولهم[٤]. قال الحسن رضي الله عنه: يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه[٥].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

معناه: قل لهم يا محمد تفكروا ما في السماوات والأرض من الآيات والنُّذر والدلالات نحو مسير الشمس والقمر والنجوم في مجاريها في أوقات معلومة على الدوام [ووقوف][٦] السماء والأرض بغير عمد ولا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٦/٣).
وينظر: وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٤/٢).
وذكر هذا المعنى أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان (١٥٣/٥) ونسبه للداني وابن الجوزي في زاد المسير (٦٧/٤) عن الزجاج وابن الأنباري.

(٢) ذكر هذا المعنى الثعلبي في الكشف والبيان (١٣٥/٥) عن ابن عباس.
والماوردي في النكت والعيون (٤٥٢/٢) ونسبه للحسن.
والبغوي في معالم التنزيل (١٠٩/٣) ونسبه لابن عباس.
وابن الجوزي في زاد المسير (٦٧/٤) ونسبه لابن عباس أيضاً .
والخازن في لباب التأويل (٢١٣/٣) ونسبه لابن عباس.

(٣) ذكر هذا المعنى بنحوه الزجاج في معاني القرآن (المرجع السابق).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٠/١٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٦/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٨٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٤/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٠/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٦٨/٤) ونسبه للزجاج.
ولباب التأويل للخازن (٢١٣/٣).

(٥) ذكر هذا المعنى السمرقندي في بحر العلوم (١٣٤/٢) غير منسوب.
وأبو حيان في البحر المحيط (١٩٣/٥) ونسبه للحسن.
وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٨٤/١١).
وابن عادل الحنبلي في اللباب (٤١٧/١٠).

(٦) في (ب) وفوق وهو تحريف لكلمة وقوف لأنها تناسب السياق والمعنى.

علاقة، وخروج النتاج من الأمهات[1]. ثم قال حين لم يتفكروا ولم يعتبروا، ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. معناه : وأي شيء تغني الآيات والنذر؟

ويقال معناه : ولا تغني الآيات والنذر[2].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٠٥/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٠٠/١٢-٣٠١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٣/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٠/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢١٤/٣).

(٢) يشير المصنف إلى ما قاله بعض العلماء في أن "ما" في قوله "وما تغني" يجوز أن تكون استفهامية، وهي واقعة موضع المصدر أي:أيَّ غناء تغني الآيات؟ ويجوز أن تكون نافيه.
وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٠٧/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٨/١١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١٢١٦/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٣/٥) والدر المصون للسمين الحلبي (٢٧١/٦)
ولباب في علوم الكتاب لابن عاد ل (٤١٨/١٠) وفتح القدير للشوكاني (٥٩٠/٢).

قولــه عــز وجــل : ﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

معناه : هل بقي من الآية إلا أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الخالية قبلهم من العذاب[1]، يقال: أيام فلان ويراد به أيام دولته، وأيام محنته[2]، وقوله تعالى : ﴿ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ أي انتظروا حلول العذاب الذي أوعدتكم به إني معكم من المنتظرين لذلك[3].

قولــه عــز وجــل : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

معناه:ثم نُنَجِّي رسلنا والمؤمنين من العذاب الذي يحل بالكفار[4].

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا ﴾ معناه : كما ننجي الرسل من العذاب كان علينا أن ننجي المؤمنين من العذاب الذي ينزل بالكفار[5].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٢/١٢) ومعاني القرآن للنحاس (٣٢١/٣). وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٠/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٤/٢). ولباب التأويل للخازن (٢١٤/٣).
(٢) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي (١٠٣/٥). ومعالم التنزيل للبغوي (١١٠/٣). وزاد المسير لابن الجوزي (٦٩/٤). والبحر المحيط لأبي حيان (١٩٤/٥).
(٣) ينظر: جامع البيان (٣٠٢/١٢). وأنوار التنزيل البيضاوي (٢١٧/٣).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٦/٣). وينظر : وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٠/٦).
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٣/١٢). وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٤/٢). والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٨/١١).

وقولــه عــز وجــل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

معناه : قل لهم يا أهل مكة إن كنتم في شك من الدين الذي أتيتكم به فأنا مستيقن في بطلان دينكم ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لشككم في دينـي، ﴿ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ أي يميـتكم ويعيـدكم، [و] [١] لا أعبـد الـذي لا يقـدر علـى الضـر والنفـع والإحيـاء والإماتـة[٢].﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقولـه تعـالى :﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ معنـاه: وأمـرت بـأن أخلـص دينـي وعملـي لله[٣]، يُقَـال إنـي آمـرك أن تفعـل كـذا وأن أفعـل كـذا كلاهمـا يستعملان في الكلام.

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٣٠٣-٣٠٤).
بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٣٥)
والوجيز للواحدي (١/٥١٠).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢١٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٥٩) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٥٠).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٥).
(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٣٥).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٥٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١١١).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٥٩).

والمراد بإقامة الوجه: الإقبال على ما أمر به من أمور الدين[١].

وقيل: أراد بذلك إقامة الوجه في الصلاة[٢]، والحنيف: هو المستقيم في الدين[٣]. وقيل: هو العادل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق[٤].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٥٤/٥).
والوجيز للواحدي (٥١٠/١) ومعالم التنزيل للبغوي (١١١/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٩/١١).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٢٢/١٠).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٥).

(٢) ذكر هذا المعنى الشوكاني في فتح القدير (٥٩١/٢).

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري (٣٠٤/١٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥٣/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٧٠/٤).
وفتح القدير للشوكاني (٥٩١/٢).

(٤) ذكر هذا المعنى النحاس في معاني القرآن (٣٢٢/٣).
والسمرقندي في بحر العلوم (٢٩٦/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٢/١) ونسبة لابن عباس.
وكذلك الواحدي في الوجيز (٣١٣/١).
والخازن في لباب التأويل (١١٥/١) ونسبة لابن عباس.

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

معناه: ولا تدع من دون الله تعالى كما لا يدعون الآلهة ما لا ينفعك كما ينفع الإله، ولا يضرك كما يضر الإله.

ويقال معناه : مالا يقدر لك على نفع ولا ضر وذلك على جهة التقبيح [لفعل] [1] المشركين، فإن عبادة ما لا ينفع أو يضر من دون الله وإن كان قبيحاً فبعباده مالا ينفع ولا يضر أقبح في العقل. وقوله تعالى : ﴿فإن فعلت﴾ معناه: فإن دعوت غير الله تعالى إله فإنك إذاً من الضارين لنفسك[2].

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٤/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٥/٢)والكشف والبيان للثعلبي (١٥٤/٥).
والجامع لأحكام القرآن للقطربي (٦٠/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢١٥/٣).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٢٣/١٠).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٥).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

معناه : إن يرد ضراً فلا يقدر أحد على دفع ذلك الضرر إلا هو وإن يردك بنعمة وأمر تسر به فلا مانع لعطيته يخص بالفضل من يشاء من عباده على ما توجبه الحكمة على ما يستحقون بأعمالهم وهو الغفور لذنوب العباد، الرحيم بمن مات على التوبة[1].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

معناه : قل يا محمد للناس كلهم الحق من ربكم أي الكتاب والرسول فمن اهتدى بالكتاب والرسول فإنما يهتدي لنفسه، أي يرجع نفع هدايته إليه، ومن ضل رجع ضر ضلالته إليه[2]، ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ أي لست عليكم بحفيظ أَرْفَعِ عنكم الضر وأَطْلُب لكم النفع شئتم أو أبيتم.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٥/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٤/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (٧٠/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢١٥/٣).
وتفسير السعدي (ص: ٣٧٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٥/١٢-٣٠٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٢٣/٣) والكشاف للزمخشري (٣٥٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٠/١١-٦١).
ولباب التأويل للخازن (٢١٥/٣).
ومدارك التنزيل للنسفي (٢٥٧/٢).

قولــــه عــــز وجــــل : ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾.

معناه : وأتبع يا محمد ما تؤمر به في القرآن وأصبر على أذاهم حتى يقضي الله تعالى بينك وبينهم وهو أعدل القاضين، لأن حكمه [٣٠٥/أ] لا يكون إلا بالصلاح والسداد [وكان] [١] حكمه أن أمر النبي ﷺ بقتالهم[٢].

وقد روى عن أبي بن كعب[٣] –رضي الله عنه-عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ سورة يونس عليه السلام أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس عليه السلام وكذب به، وبعدد من غرق مع فرعون[٤]، وبالله التوفيق.

---

(١) في (ب) فكان.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٣٠٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٦/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١١/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٧١/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢١٥/٣).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٨/٣).

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر وبن مالك الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر، سيد القراء، ويكني أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كبيراً ، قيل تسع عشرة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.
ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٦٥/١).
وتهذيب الكمال للمزي (٢٦٢/٢) وتقريب التهذيب لابن حجر (٩٦/١).

(٤) هذا الحديث له طرق متعددة عن أُبَيّ ذكرها بعض المفسرين والطريق الذي أورده منه المصنف هنا رحمه الله، كما ذكره في نهاية تفسيره بسند متصل إلى أبي بن كعب هو طريق (زر بن حبيش) وفي إسناده مخلد بن عبد الواحد، أبو الهذيل البصري قال عنه ابن حبان: منكر الحديث جداً، المجروحين (٤٢/٣-٤٣).
وذكره الذهبي في الميزان (٨٣/٤) بذاك الخبر الطويل الباطل في فضل السور فقال: ما أدري من وضعه؛ إن لم يكن مخلداً افتراه وسأذكر مجمل كلام العلماء عليه وعلى طرقه

سورة هود عليه السلام مكية كلها، إلا رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما-أن قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ... إلى آخر الآيتين﴾ نزلنا بالمدينة[1]، وأمَّا عدد أي هذه السورة فهو مائة وإحدى

هنا، حتى استغنى بذلك عن التكرار في السور الآتية. فقد ذكر العلماء رحمهم الله أن هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺمتنه مُطَوَّل معروف بالحديث الموضوع في فضائل القرآن سورة سورة الذي نبه جمع غفير منهم على وضعه وكذبه وشاع في كتب الحديث وعلومه (مصطلح الحديث) تمثيلهم به للموضوعات المشتهرة، وتحذيرهم من الاغترار به، ولومهم للمفسرين الذين خفي عليهم ما فيه فجعلوا يوردونه في تفاسيرهم، ويروونه فيها بأسانيدهم، دون تنبيههم على ما فيه، مع خطورة صنيعهم على من يقرأ تفاسيرهم فيغتر بما فيها، وخصوصاً وهي مقرونة بتفسير كلام الله تعالى.
قال ابن المبارك فيما نقله العقيلي في الضعفاء (١٥٦/١) (أظن الزنادقة وضعته) وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤١/١): وهذا حديث في فضائل السور – مصنوع بلا شك، وذم صنيع واضعه بقوله : (استقرأ السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله ﷺ.
ومن العلماء الذين نبهوا على وضعه :
١- شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٥٤/١٣) حيث نقل اتفاق العلماء على أنه موضوع، قال: (وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة من هذا الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي، والزمخشري في فضائل سور القرآن، سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم".
٢- وتلميذه العلامة محمد ابن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية-رحمهما الله تعالى – في كتابه المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ١١٣)، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة- الناشر:مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب- الطبعة: الثانية-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
فقال: ومنها – أي من الأحاديث التي لم تثبت –ذكر فضائل السور، ثواب من قرأ كذا فله أجر كذا، من أول القرآن إلى آخره، كما ذكر ذلك الثعلبي والواحدي في أول كل سورة، والزمخشري في آخرها.
=
= ٣- والعراقي في "التقييد والإيضاح" (ص: ١٣٤) تحقيق/ عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع – بيروت – لبنان-الطبعة : الأولى -١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
٤- والذهبي في "ميزان الاعتدال" (٨٢/٤) قال: باطل.
٥- والسيوطي في "تدريب الراوي" (٤٧٤/٢) تحقيق/ عبد الوهاب عبد اللطيف- الناشر: مكتبة الرياض الحديثة –الرياض-(ب-ت-ط) و (ب-ذ-ط).
حيث قال ما نصه : (وقد أخطأ من ذكره من المفسرين في تفسيره كالثعلبي والواحدي-والزمخشري والبيضاوي، قال العراقي: لكن من أبرز إسناده منهم كالأولين-يعني الثعلبي والواحدي-فهو أبسط لعذره، إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده، وإن كان لا يجوز له السكوت عليه، وأما من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أفحش).
٦- والعلامة الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص : ٢٩٦)، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة: الثالثة-١٤٠٧هـ.
قال : (ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث أبي بن كعب هذا موضوع، وقد أغتر به جماعة من المفسرين، فذكروه في تفاسيرهم: كالثعلبي والواحدي والزمخشري ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن....".

(١) ذكر ذلك الداني في البيان في عد أي القرآن (١٦٥٦/١) والسمرقندي في بحر العلوم (١٣٧/٢) وكذلك مكي في الكشف (١٠١/٢) والثعلبي في الكشف والبيان (١٥٦/٥) وأبو حيان في البحر المحيط (١٦٢/٥).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٤).

وعشرون آية عند المكيين والبصريين، واثنتان عند المدنيين والشاميين، وثلاث عند الكوفيين [1].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾.

وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة[2]، وقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ بدل من قوله [تعالى] [3] ﴿الٓر﴾ إنه خبره، كأنه قال بهذه الحروف كتاب، فإن الكتاب مؤلف من جنس الحروف المقطعة، ويجوز أن يكون قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ﴾خبرُ ابتداءٍ محذوف على معنى (هذا كتاب) [4].

وقوله تعالى : ﴿ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ قال الحسن رضي الله عنه : أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثواب والعقاب[5]. وقال قتادة رحمه الله: أحكمت عن الباطل بالحجج والدلائل ثم فصلت بـِ أَن أنزلت شيئاً فشيئاً [6].

كما ذكر ذلك : البغوي في معالم التنزيل (١١٢/٣)
والزمخشري في الكشاف (٣٥٨/٢).
والرازي في مفاتيح الغيب (٣١٢/٦).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٢/١١).
والخازن في لباب التأويل (٢١٦/٣)، وابن عادل في اللباب (٤٢٦/١٠).

(١) ذكر ذلك الداني في عد أي القرآن (١٦٥/١).
(٢) ذكر ذلك في تفسير أول سورة يونس، وقد أوردت أقوال العلماء في الحروف المقطعة بما يغني عن إعادتها هنا – يراجع (ص :١٣٠).
(٣) لم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع من قال : إن "كتاب" بدل من "الر".
(٤) ذكر ذلك : الفراء في معاني القرآن (١٥١/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٥٦/٥)
والبيضاوي في أنوار التنزيل (٢١٩/٣).
والسمين الحلبي في الدر المصون (٢٨٠/٦).
وعليه أكثر المفسرين.
(٥) ينظر : جامع البيان للطبري (٣٠٩/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٧/٢).
(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣١٠/١٢).
كما ذكر قول الحسن وقتادة :
الماوردي في النكت العيون (٤٥٥/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١١٢/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (٧٣/٤).

وقوله تعالى : ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي من عند حكيم في تدبيره عالم بخلقه[1]، ويجوز أن يكون معنى الحكيم: المحكم في أفعاله[2].

قوله عز وجل : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾.

معناه : أحكم الله تعالى القرآن بالحجج لئلا تطيعوا إلا الله[3]، ويقال معناه : أمركم أن لا تعبدوا غيره[4]؛ إنني لكم من الله تعالى مُعْلِمٌ بموضع المخافة لتحذروا، وبموضع الخير لتطلبوا.

وقوله تعالى : (نَذِيرٌ) بمعنى ينذر كما في قوله تعالى : ﴿أَلِيمٌ﴾ بمعنى مؤلم[5].

والخازن في لباب التأويل (٢١٦/٣).
وابن عادل في اللباب (٤٢٨/١٠).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٥/١١-٦٦).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١١/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٣٨/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٥/٦).

(٢) ينظر : إعراب القرآن للنحاس (ص: ٤٠٩)ومعاني القرآن له أيضاً . (٣٢٤/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥٦/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢١٦/٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥٦/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢١٦/٣).

(٤) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٦٦/١١).
والكشاف للزمخشري (٣٥٩/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المرجع السابق).

(٥) ذكره الطبري في جامع البيان (٣١٢/١٢).
والزجاج في معانيه (٣٨/٣).
والخازن في لباب التأويل (٢١٦/٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤ ﴾.

معناه : وآمركم أن أطلبوا المغفرة من ربكم، [واجعلوا] [1] غرضكم وتوصلوا إليها بالتوبة[2]، وهي الندم على القبيح والعزم على ترك المعاودة إليه[3].

ويقال معنى : ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ استغفروه بالتوبة عما سلف من ذنوبكم، ثم توبوا إليه عن ما يقع منكم من الذنوب في المستقبل[4]. وقوله تعالى : ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ جُزِمَ على جواب الأمر[5]، أي إن فعلتم ذلك أنعم الله تعالى عليكم نعماً سابغة حساناً تستيقونها إلى آجالكم التي قدرها الله تعالى لكم فلم يستأصلكم كما استأصل الأمم المكذبة قبلكم[6].

---

(١) هكذا في النسختين ولعل الصحيح والله أعلم (اجعلوها) ليتناسب مع المعنى والسياق.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٣١٢-٣١٣).
والنكت والعيون للماوردي (٢/٤٥٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٦٧)
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٣١٢-٣١٣).
والنكت والعيون للماوردي (٢/٤٥٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٦٧)
(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢/٤٥٦)..
والوجيز للواحدي (١/٥١٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١١٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٧٥).
واللباب لابن عادل (١٠/٤٣١).
(٥) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٤١٠).
والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٢٨٢).
وروح المعاني للألوسي (١/٢٠٧).
(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٣٨).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٦٧).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢١٧).

قال القتيبي[١] - رحمه الله -: أصل [الإمتاع] [٢] : الإطالة، يقال جبل ماتع، وقد متع النهار إذا طال[٣]، بمعنى يمتعكم يُعَمرِّكم.

وقوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ أي من كان ذا فضل في دينه فَضَّلَه الله تعالى في الآخرة بالثواب على عمله[٤]، فإن ما ينعم الله تعالى على الناس من النعم في الدنيا لا يكون ثواباً لأعمالهم، وما يكون منها ثواباً لأعمالهم لا تخلوا من الشوائب.

ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾المنزلة بالدين في الدنيا كما فضل الله تعالى أصحاب نبيه ﷺ ورضي (الله)[٥] عنهم[٦]. وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-أنه قال: (في هذه من عمل حسنة كتب له عشر حسنات ومن عمل سيئةً كتب له سيئة واحدة، ثم قال: هلك من غلب آحاده أعشاره) [٧].

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، صاحب التصانيف، صدوق ثقة قليل الرواية، روى عن إسحاق بن راهوية وجماعة، قال الخطيب:كان ثقة، ديِّنا فاضلاً، من أئمة الأدب ومن المصنفين المكثرين، من كتبه: تأويل مختلف الحديث، وأدب الكاتب، ومشكل القرآن، وإعراب القرآن. توفى ببغداد سنة سبع وستين ومائتين. الأعلام للزركلي (١٣٧/٤). وميزان الاعتدال للذهبي (٥٠٣/٢) والوافي بالوفيات للصفدي (٢/٦-٣).

(٢) في (ب) الإمتناع، وهو تصحيف. والصحيح كما في الأصل.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (٢٠١/١) تحقيق: أحمد صقر-الناشر: دار الكتب العلمية-١٤٩٨هـ-١٩٧٨م- (ب-ذ-ط).
كما ذكر هذا المعنى : النحاس في معاني القرآن (٣٢٨/٣).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٣٧/٢) ونسبة لابن قتيبة.
وابن الجوزي في زاد المسير (٧٥/٤) ونسبة لابن قتيبة.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٨/١١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٠٤/١٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٣٨/٣)، وبحر العلوم العلوم للسمرقندي (١٣٧/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٤٥٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٣/٣)، والكشاف للزمخشري (٣٥٩/٢) ولباب التأويل للخازن (٢١٧/٣).

(٥) أدرج لفظ الجلالة من الهامش وهو مثبت في (ب).

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨/٣).

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣١٥/١٢).
وذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم (١٣٨/٢).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٥٧/٥).
والخازن في لباب التأويل (٢١٧/٣).
والسيوطي في الدر المنثور (٣٩٩/٤) وعزاه لابن جرير.

وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوبة[1] ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ أي عظيم الشأن وهو يوم القيامة[2]، وإنما ذكر الخوف في هذا الموضع لأن الخطاب من الرسول ﷺ والخوف عليه جائز، وقيل أن الفائدة في ذكر الخوف: أنه ﷺ جوز فيهم أن يتوبوا في المستقبل فيتخلصوا من العذاب[3].

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ أي إليه مصيركم في الآخرة وهو على إعادتكم قدير[4].

قوله عز وجل : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ﴾.

قال عبد الله بن عباس –رضي الله عنه–: (نزلت هذه الآية في الأخنس[5] بن شريق الثقفي، كان يجالس النبي ﷺويظهر له أمراً حسناً

---

(١) جامع البيان للطبري (٣١٥/١٢).
(٢) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٨/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥٧/٢).
والوجيز للواحدي (٥١٢/١).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٩/١١).
واللباب لابن عادل (٤٣٤/١٠).
(٣) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر والمراجع.
(٤) ينظر: جامع البيان (٣١٥/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٨/٢) وفتح القدير للشوكاني (٥٩٧/٢).
وتفسير السعدي (٣٧٦/١).
(٥) الأخْنَس بن شريق بن وهب بن علاج واسمه عمر بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة غيرة حليف بني زهرة، من ثقيف، وهو الذي خنس ببني زهرة يوم بدر فسمى الأخنس.
ينظر: الإكمال لابن ماكولا، (٣٠١/٦).
الطبعة : الأولى-١٤١١هـ-الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.ومغاني الأخيار (٣٧٩/٥).

وكان حسن المنظر حسن الحديث، إلا أنه كان يضمر في قلبه خلاف ما يظهر فأنزل الله تعالى هذه الآية) [١].

ويقال: إن طائفة من المشركين بلغ بهم الجهل إلى أن قالوا: إذا غلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستفشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ فكيف يعلم بنا ؟ فأنبأ عز وجل نبيه ﷺ عن ما كتموه [٢].

ومعنى الآية : ألا إنهم يثنون صدورهم على الكفر وعداوة النبي ﷺ ليكتموا منه ما في صدورهم من عداوته بإظهار المحبة له، ويقال معنى يثنون: يعرضون بصدورهم عن النبي ﷺ [٣]، وأصل الثني: العطف ومنه الإثنان يعطف أحدهما على الآخر. ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح[٤].

---

(١) ذكر هذا السبب: السمرقندي في بحر العلوم (١٣٨/٢) ونسبه للكلبي. والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٩٧/٦) غير منسوب والثعلبي في الكشف والبيان (١٥٧/٥) ونسبه لابن عباس. والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢١٧) غير منسوب.
والبغوي في معالم التنزيل (١١٣/٣) ونسبه لابن عباس..
وابن الجوزي في زاد المسير (٧٦/٤) من رواية أبي صالح عن ابن عباس.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٩/١١) ونسبة لابن عباس.
والخازن في لباب التأويل (٢١٧/٣).ولم أقف على هذا السبب مسنداً .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٨/٣-٣٩).
وذكر نحو ذلك أيضاً :
الماوردي في النكت والعيون (٤٥٧/٢).
والواحدي في الوجيز (٥١٣/١).
والبغوي في معالم التنزيل (١١٣/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٧٦/٤) والرازي في مفاتيح الغيب (٣١٨/٦).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٩/١١).
والخازن في لباب التأويل (٢١٧/٣).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣١٩/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٦/٦-٩٧).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٧/٥)..
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٣/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٩/١١).

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور (باب: ثنى : ١١٥/١٤).
ومختار الصحاح للرازي (باب الثاء : ٩٠/١).
والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (فصل النون: ٢٢٤/١).

ويجوز أن يكون قوله تعالى : (مِنۡهُۚ)راجعاً إلى الله تعالى فإنهم كانوا إذا أدبروا عن النبي ﷺقربوا الرؤوس بعضها إلى بعض ظناً منهم أنهم يكتمون ذلك عن الله عز وجل[(١)].

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ معناه : ألا حين يتغطون بثيابهم، يعلم الله ما يسرون في قلوبهم وفي ما بينهم، وما يظهرون من محبة أو غيرها[(٢)]. ولفظ (حِينَ) ليست هنا لتوقيت العلم، فإن الوقت إنما يكون للحادث والله تعالى عالم لم يزل بجميع الأشياء، ولكن الغرض من الآية: بيان السر والعلانية عند الله تعالى سواء في العلم[(٣)].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي عالم بالقلوب التي في الصدور لأن الصدور مواضع القلوب[(٤)].

تحقيق: د/ محمود رضوان الداية، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ-الناشر: دار الفكر-بيروت.

(١) ينظر: تفسير مجاهد (٣٠٠/١).
وجامع البيان للطبري (٣١٨/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٩٧/٦).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٧/٥) ونسبة لمجاهد.
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٣/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣١٨/٦).
واللباب لابن عادل(٤٣٧/١٠).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/١٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٣/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٧٨/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢١٨/٣).

(٣) ينظر: زاد المسير (المرجع السابق).
واللباب لابن عادل (٤٣٧/١٠).
وأضواء البيان للشنقيطي (١٧٠/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٨/٢).

قولـــه عــز وجـــل : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾.

في الآية بيان أن الله تعالى عالم بالغيوب كلها. وذلك أنه إذا كان ضامناً لرزق كل دابة في الأرض فليس يرزقها إلا هو، يعلم صغيرها وكبيرها من الذرة فما فوقها وما دونها. فإذا علمها فقد علم مستقرها، والمستقر: موضع قرارها وهو المكان الذي تأوي إليه، والمستودع: هو الموضع الذي تودع فيه[١]. قيل إنه في الرحم[٢]، وقيل هو الموضع الذي تدفن فيه[٣].

وقوله تعالى : ﴿ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾أي رزق كل دابة وأجلها وأثرها مكتوب في اللوح المحفوظ[٤] لتعتبر بها الملائكة ليجدوا الحوادث مطابقة للمكتوب، فيكون ذلك زيادة يقين وبصيرة لهم، وقد يروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (إما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء ودفتاه من ياقوته حمراء، عرضه ما بين السماء والأرض، كتابه نور وقلمه نور، ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء)[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٢٤/١٢-٣٢٥) ومعاني القرآن للزجاج (٣٩/٣)، وبحر العلوم (المرجع السابق) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٢/٢).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٣٩/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٥/٨) قال: وهو أحد قولي عطاء بن أبي رباح، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٩٩/٦) غير منسوب أيضاً .

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن (١٥٢/٢).
وكذلك الماتريدي (المرجع السابق) والسمرقندي في بحر العلوم (١٣٨/٢).

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٣٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٨/٥).
والوجيز للواحدي (٥٣١/١) ومعالم التنزيل للبغوي (١١٤/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢١٨/٣).

(٥) أخرج نحوه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٤/٣)، وهو ضعيف؛ لأنه فيه ثابت الثمالي –ابو حمزة- ضعيف ذكره ابن عدي في الضعفاء (٩٣/٢)، كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٢٦/١٢)وفيه أبو حمزة أيضاً ،. وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥١٦/٢) وفيه أبو

قال أبو رق[1] ـرحمه الله-أعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك كريم يسمى ماطريون[2].

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام أول يوم منها الأحد وآخرها يوم الجمعة[3] وقد تقدم ذكر ذلك من قبل[1].

حمزة، قال الذهبي: اسم أبي حمزة ثابت وهو واه، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٦٩٩/٧) .

كلهم عند تفسير قوله تعالى : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ الرحمن: ٢٩.

وينظر : جمع الجوامع للسيوطي (٨٤٩٦/١).

(١) عطية بن الحارث أبو روق الهمداني روى عن الشعبي والضحاك روى عنه الثوري وشريك وعبد الواحد بن زياد، سئل يحيى بن معين عنه قال: صدوق، قال أحمد وغيره: ليس به بأس. ذكره ابن حبان في الثقات وذكره بن سعد في الطبقة الخامسة وقال: هو صاحب التفسير.

ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٨٢/٦) وتهذيب التهذيب – تابع حرف العين – (٢٢٤/٢٢) وتهذيب الكمال (١٤٣/٢) والتاريخ الكبير (١٣/٧).

(٢) ذكر هذا القول بعض المفسرين غير منسوب وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ذو العرش المجيد﴾ البروج (١٥).

كالثعلبي في الكشف و البيان (١٧٦/١٠).

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/١٩).

والنسفي في مدارك التنزيل (٥٠٧/٤).

قلت : وهذه من الأمور التي لم يرد فيها سند صحيح عن المصطفى ﷺ والتي ورد فيها كثير من الخرافات الإسرائيلية.

(٣) ذكر هذا القول:

الضحاك في تفسيره (٤٤٢/١) بنحوه.

وأخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٣٣٠/١٢).

عن أبي صالح عن كعب وعن الضحاك.

وذكره الواحدي في الوجيز (٣٩٧/١).

والزمخشري في الكشاف عن مجاهد (٢٩٤/٣).

وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٧٤/٢).

وكان الله سبحانه لو أراد خلقها في لحظة عين أو أقل لفعل، إلا أنه خلقها في هذه المدة لأن خلق كل شيء بعد شيء على الترتيب أدل على قادر عالم وأبع من وقوعها اتفاقاً [(٢)].

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ بيان أن السماوات والأرض ليست بأول خلق وأنه قد تقدمها خلق شيء آخر قبلها[(٣)]، وفيه بيان زيادة القدرة لأن العرش مع كونه أعظم من السماوات والأرض كان على الماء ولم يكن ذلك ا لماء على قرار، ولكن الله تعالى يمسك ذلك الماء بإحداث سكون فيه، ثم نقل الله تعالى العرش إلى فوق السموات.

وسئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقيل [له] [(٤)]

: على أي شيء كان الماء؟ [٣٠٦/أ] قال: كان على متن الريح[(٥)].

والسعدي في تفسيره (ص: ٢٩١).

(١) عند تفسير الآية : (٥٤) من سورة الأعراف.

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٣٠/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٣٨/٤).
والنكت والعيون للماوردي (٢٢٩/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٢٨٣/٢) عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف.
ولباب التأويل للخازن (٢٣٧/٢) من قول سعيد بن جبير.
واللباب لابن عادل (١٤١/٩).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٠/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٠/٣).
وتفسير ابن حاتم (١٢٧/٨) عن مجاهد.
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٨/٥).
والوجيز للواحدي (٥١٣/١).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (باب بنيان الكعبة) (٩٠/٥) عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير. كما أخرجه في تفسيره (١٦٤/٣).
وأخرجه الطبري في جامع البيان (٣٣٣/١٢) من طريقتين، الأولى: عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير. والثاني: عن الأعمش عن سعيد بن جبير بلا واسطة، والأعمش يروي عن سعيد بن جبير.
ورواه الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير: باب: تفسر سورة هود حديث رقم (٣٣٠٦) قال: هذا حديث صحيح على شرط شيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والكتاب تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى-١٤١١هـ-١٩٩٠م-الناشر: دار الكتب العلمية-

[وعن] [1] الربيع بن أنس [2] –رحمه الله-أنه قال: كان عرشه على الماء فلما خلق الله تعالى السموات والأرض، قسم ذلك الماء قسمين، فجعل نصفه تحت العرش وهو البحر المسحور، وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى وهو مكتوب في الكتاب الأول ويسمى اليم [3].

وذهب بعض المفسرين رحمهم الله في معنى : (وكان عرشه على الماء) أنه أراد بذلك كان بناؤه السماوات والأرض على الماء، وهو من قولهم: (عَرْشْتُ ، إذا بَنَيْتُ) وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [4] أي يبنون.

فذكر سبحانه أن بناء السماوات والأرض كان على الماء وذلك أعجب وأبدع، فإن البناء إذا لم يؤسس على أرض صلبة لم يثبت، وقد بنى الله تعالى البناء العظيم على رقة الماء [5].

والقول الأول أقرب إلى الظاهر، لأن إطلاق اسم العرش يتناول السرير العظيم الذي هو متعبد الملائكة [6].

بيروت-مع الكتاب تعليقات الذهبي في التلخيص. وقد ذكره أيضاً النحاس في معانيه (٣٣٢/٣) والسمرقندي في بحر العلوم (١٣٩/٢) والخازن في لباب التأويل (٢١٩/٣).

(١) ساقطة من (ب).

(٢) الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني، روى عن أنس بن مالك والحسين البصري، قال أبو حاتم: صدوق، توفى سنة ١٣٩هـ.
الثقات لابن حبان (٢٢٨/٤) وتهذيب التهذيب (١٥/١٢) والكاشف (٣٩١/١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/٨).
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٣٩/٢) وابن كثير في تفسيره (٤٥٣/٢)مختصراً .
وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤٠٤/٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

(٤) سورة النحل: آية ٦٨.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٩٨/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣١٩/٦-٣٢٠).
ولباب التأويل للخازن (٢١٩/٣).
واللباب لابن عادل (٤٤٠/١٠).

(٦) يشير إلى القول الذي يقول: إن العرش هو أول المخلوقات وأنه خلق قبل السماوات والأرض وهو الذي عليه قول أهل العلم.

فأما قوله تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فكم فَيَظْهَرُ أيكم أحسن عملاً[1]،
ويسمى التكليف ابتلاء على وجه التوسع لأن الله تعالى يعامل العبد معاملة المبتلى المختبر، يجازيه على ما يقع منه دون ما يعلم فيه فَيَخْتَبِرُ الخلق لأنفسهم ليعلموا أنهم قد فعلوا فيجزون على أفعالهم.

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ ﴾
معناه: ولئن قلت يا محمد للكفار إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ما هذا إلا تمويه ليس له حقيقة، وقد أقروا أن الله تعالى خلق السموات والأرض يمسكها بغير عمد، لا يعجزه شيء، فكيف تنكرون البعث بعد الموت[2]؟

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٢/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٦١/٢).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٥/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٤٠/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٩/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٦/١١).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٣/٢).
واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٤٤١/١٠).

قوله عز وجل : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

معناه: ولئن أخرنا عن الكفار العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبس هذا العذاب عنا إن كان ما يقوله محمد [حقاً][1] ؟ يقول الله تعالى :

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ معناه : ألا يوم يأتيهم العذاب لا يقدر أحد على صرفه عنهم (وحاق بهم) أي نزل بهم جزاء استهزائهم، [إنهم][2] إنما قالوا: ما يحبسه؟ على جهة الاستهزاء[3] وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[4].

وكما يقال : أحاط بفلان عمله، وأهلكه كسبه أي عاقبة فعله وجزاء فعله[5].

---

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٣٦/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠٢/٦). وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٠/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٥٩/٥). وزاد المسير لابن الجوزي (٨٠/٤) ولباب التأويل للخازن (٢٢٠/٣).
(٤) سورة فاطر: آية (٤٣)
(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤١/٣).

وذهب بعضهم أن [معنى][1] قوله تعالى : (إلى أمة معدودة) أي إلى أمم يتعاقبون ليصممون على الكفر، كما فعلنا بقوم نوح عليه السلام[2].
وقد تذكر الأمة بمعنى الوقت والمدة[3] كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾[4]

قوله عز وجل : ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ ﴾.

أراد بهذا الإنسان الكافر فإنه يُقَدّمُ ذكر الكفار فكأنه قال تعالى: إذا أنعمنا على الكافر نعمة ثم سلبناها منه إنه ليئوس لا يصبر على سلب تلك النعمة عنه ويصير أيأس شيء وأقنطه من رحمة الله تعالى[5].

وقوله : ﴿كَفُورٞ﴾ أي لا يشكر نعمة الله تعالى قبل أن تسلب عنه ولا يصبر بعد أن تسلب.

قوله عز وجل : ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ ﴾.

---

(١) مدرجة من الهامش لأنها بخط الأصل وهي مثبتة في (ب).
(٢) ينظر : النكت والعيون للماوردي (٤٦٠/٢) ونسبه لعلي بن عيسى.
وروح المعاني للألوسي (١٤/١٢)ونسبه لأبو علي الجُبَّاني وعلي بن عيسى.
(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٣٩/٢) وتفسير مقاتل بن سليمان (١١٠/٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٤٠/٣).
وأضواء البيان للشنقيطي (١٧٣/٢).
(٤) سورة يوسف : ٤٥.
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤١/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٤/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٨٠/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٨/١١).

معناه : ولئن أذقنا الكافر النعم الظاهرة بعد المضرة الظاهرة التي أصابته، ليقولن الكافر ذهب الشدائد والألم عني، ويفرح بذلك ويبطر ويفخر به على الناس من دون أن يشكر الله تعالى على كشف الشدائد عنه[1].

وفي الآية بيان أن الكافر لا يعرف عند الضر الذي يمسه أن ذلك من نعم الله تعالى، وأنها من الحسنات دون السيئات، لأن مصلحة الإنسان في الضر من جهة الدين تزيد على مصلحته في النعماء من جهة الدنيا ولذاتها، ومن لا يعرف ذلك فقد جهل ربه وجهل حكمته فيما يزيد عليه، ولذلك ذم الله تعالى الكافر في هذه الآية بما يكون من صفة البهائم، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٠/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠٣/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٠/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٥٩/٥).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٧/٥).

وإنما نصب اللام الثابتة من قوله تعالى : ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ في هذه الآية وهو ظاهر لأنه في موضع الوحدان، وقوله : ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ بضم اللام الثانية في موضع لفظ الجماعة، وأما قوله تعالى : ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ينصب اللام الثانية فإن الفعل فيه مقدم على الاسم فذكر بلفظ الوحدان[1].

---

(١) قال الشيخ عبد الله الفوزان في كتابه دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (٢٨٤/١)، دار المسلم للنشر والتوزيع.

واعلم أن الفعل (لَيقولَنَّ) ورد في القرآن في خمسة عشر موضعاً، وهو في بعضها مبني على الفتح، وفي بعضها معرب، والضابط لذلك أن اللام التي قبل النون إن فتحت فهو مبني؛ لأنه مسند للواحد، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فصلت: ٥٠]. أو مسند لجمع ظاهر كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[هود : ٧] وإن كانت مضمومة فالفعل معرب؛ لأنه مسند لواو الجماعة المحذوفة وضمة اللام دليل عليها، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[التوبة: ٦٥].

قولـه عـز وجـل : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾.

استثناء ليس من الأول لأن معناه لكن الذين صبروا على الشدائد [٣٠٦/ب] وعملوا الصالحات[1] فيما بينهم وبين ربهم، لا يفعلون كفعل الكفار. أولئك لهم مغفرة من ذنوبهم وثواب عظيم على طاعتهم وصبرهم.

وذهب بعضهم -رحمه الله- : إلى أن لفظ الإنسان فيما قبل هذه الآية في موضع الجنس، وأن الاستثناء على حقيقته[2] كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3].
وهذا التأويل يقتضي أنه لابد من حذف في الكلام في هذه الآيات، ويصير التقدير : إنه لفرح فخور لا أجر له ولا غفران إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤١/٣).
وهو رأي الأخفش أيضاً : ينظر معاني القرآن للأخفش (٣٩/٢).
والنحاس أيضاً في معانيه (٣٣٤/٣).
وذكر الواحدي في الوجيز (٥١٤/١).

(٢) هذا قول الفراء كما ذكره في معانيه (١٥٣/٢).
وجوزه النحاس في معانيه (٣٣٤/٣) ورجحه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٠/٣) وَ ضَعَّفَ القول بأنه منقطع.
ولقد أشار إلى هذه الأوجه: ابن الجوزي في زاد المسير (٨١/٤)نقلاً عن الفراء والزجاج. والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/١١) نقلاً عن الأخفش والفراء. وكذلك أبو حيان في البحر المحيط (٢٠٧/٥) والسمين الحلبي في الدر المصون (٢٩٣/٦) حيث قال: وقوله تعالى : ﴿ إلا الذين صبروا﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه منصوب على الاستثناء المتصل، إذ المراد به جنس الإنسان لا واحد بعينه. والثاني: أنه منقطع إذ المراد بالإنسان شخص معين، وهو على هذين الوجهين منصوب المحل. والثالث: أنه مبتدأ والخبر الجملة من قوله ﴿أولئك لهم مغفرة﴾وهو منقطع أيضاً .

(٣) سورة العصر.

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ لا يجوز أن تكون كلمة (لعل) في أول هذه الآية على جهة الشك، وإنما الغرض: تثبيت النبي ﷺ على ما أمره به، كي لا يلتفت على قول الكفار، وكي ييأسوا عن ترك أداء الرسالة، وهذا كما يقول الرجل لغيره.

وقد علم من حاله أن يطيعه ولا يعصيه، وأن غيره يدعوه إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما آمرك به لقول فلان، وإنما يقول ذلك ليُيْئِسَ فلاناً عن معصية المأمور به[1].

والسبب في نزول هذه الآية : ما روي أن المشركين كانوا يقولون للنبي ﷺ لو تركت عيبنا وسب آلهتنا لجالسناك، وكانوا يؤذونه بقولهم : لولا أنزل على محمد كنز من السماء يعيش به وينفعه، أو جاء معه ملك يشهد له ويعينه على أداء الرسالة[2].

---

(١) هذا من دقائق المصنف النفسية –رحمه الله-حيث رجعت لكتب المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين فلم أجد هذا التوجيه الدقيق وهذا البيان الرائع للآية :
وأكثر المفسرين قالوا في تفسير هذه الآية :
أن الله تعالى يخاطب نبيه محمد ﷺمُسلِّيا له عما كان يتعنت به المشركون ويطلبونه منه، فأمره سبحانه وأرشده إلى أن لا يضيق بذلك منهم صدره ولا يصدنه ذلك ولا يثنينه عن دعائهم إلى الله عز وجل.
ينظر : الكشاف للزمخشري (٣١٢/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠٧/٥).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٥/٢).
وتفسير السعدي (٣٧٨/١).

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (١١١/٢).
والزجاج في معاني القرآن (٤١/٣) بنحوه.
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٠/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (١١٥/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨١/١١).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٠٧/٥) ونسبه لابن عطية.
ولم أقف على هذا السبب مسنداً.

يقول الله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي عليك أن تنذرهم وتخوفهم وتأتيهم بما يوحى إليك من الآيات، وليسَ عليك أن تأتيهم بشهواتهم وما يقترحون من الآيات، والله على كل شيء من مقالتهم وغير ذلك حفيظ، ولست أنت بحفيظ[١]. وأمَّا الفرق بين ضائق وضَيِّق [والضائق] [٢] يكون بضيق عارض، والضَيِّق: قصور الشيء عن مقدار غيره أن يكون فيه[٣].

قوله عز وجل : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

معناه: بل يقول الكفار اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه، قل لهم يا محمد إن كان هذا مفترى من دون الله عز وجل فأتوا بعشر سور مثله مختلفات فإن القرآن نزل بلغتكم، ونشأتُ بين أظهركم فإن لم يمكنكم أن تأتوا بمثل هذا القرآن فاعلموا أنه من عند الله تعالى[٤]. وقوله تعالى :

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٢/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤١/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠٥/٦).
والوجيز للواحدي (٥١٤/١).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٧/٥).

(٢) في (ب) (والضيق) وهو تصحيف لكلمة الضائق كما في الأصل، وكما يناسب سياق الكلام.

(٣) ينظر: العين للفراهيدي (١٨٦/٥).
ولسان العرب لابن منظور، باب : ضيق، (٢٠٨/١٠).
وتاج العروس للزبيدي، باب: ضيق، (٤٥/٢٦).
كما ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٣٦٣/٢).
والنسفي في مدارك التنزيل (١٤٨/٢).
والسمين الحلبي في الدر المصون (٢٩٣/٦-٢٩٤).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١١/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٤٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤١/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٨٢/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٥/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٨٢/٤).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٠٨/٥).

﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ أي استعينوا بكل أحد يقدر على معونتكم على الإتيان بعشر سور مثله مفتريات إن كنتم صادقين في قولكم أن محمداً اختلقه(١).

وقد ذهب بعض المفسرين -رحمهم الله - إلى أن المراد بالسور العشر: سورة البقرة وإلى هذه السورة العاشرة.

والأولى أن يقال : إن المراد: فأتوا بعشر سور مثل سور القرآن أي سورة كانت؛ لأن سورة هود عليه السلام مكية وسورة البقرة وما بعدها مدنيات(٢).

قوله عز وجل : ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين معناه: إن لم يجيبكم هؤلاء الكفار إلى الإتيان بمثل القرآن، فاعلموا أن هذا القرآن أنزله جبريل عليه السلام بعلم الله تعالى وأمره(٣)، ويجوز أن يكون (بعلم الله تعالى) أي مما أثنى الله تعالى فيه من علم غيب(٤). ويجوز أن يكون معناه: فإن لم يستجيبوا لكم: أي فإن لم يجيبكم الذين دعوتموهم إلى المعاونة إلى الإتيان بمثل هذا القرآن فقد قامت الحجة عليكم، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله تعالى، واعلموا أنما أنزله إلا هو، ولا ينزل الوحي أحد غيره فهل أنتم مخلصون لله تعالى في التوحيد والعبادة(٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق).
معاني القرآن للزجاج (٤٢/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٢/٣).
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٤١/٢).
وينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٩/٥).
قلت : والمدنيات: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.
والمكيات: الأنعام والأعراف ويونس وهود.
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤٥/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤١/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٨٣/٤).
(٤) معاني القرآن للزجاج (٤٢/٣).
(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧/٦).
والوجيز للواحدي (٥١٥٨).

وقوله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

في الآية وجهان[(١)]: أحدهما: أن المراد بهذا الكافر إذا أتى بالأعمال التي حسنة في العقل، مثل: صلة الرحم، والتصدق، وإعانة المظلوم، فإن الله تعالى يجازيه على هذه الأعمال في هذه الدنيا بأن يمكنه مما حوله، ويعطيه ما يسعى لطلبه وافراً ويقر عينه بذلك.

والثاني: أن المراد بها المنافق إذا خرج إلى الغزو [مع المسلمين وهو يريد الغنيمة دون الثواب ونصرة الدين جازاه الله تعالى على خروجه إلى الغزو] [(٢)] فإن أمر بإعطائه سهمه من الغنيمة لا يبخس من شيء من سهمه.

وقد ذكر بعض المفسرين في بعض التفاسير: عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في أن هذه الآية نزلت في أهل القبلة إذا أراد أحد منهم يُعَلِّمُه الذي افترضه [٣٠٧/أ] الله تعالى عليه الحياة الدنيا وزينتها لا يثاب على ذلك العمل، ويعطيه الله تعالى ما يطلبه بذلك في الدنيا[(٣)]، إلا أن الله

والكشاف للزمخشري (٣٦٤/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٣/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٢/٣).

(١) ذكر هذه الأوجه:
السمرقندي في بحر العلوم (١٤١/٢)، والجصاص في أحكام القرآن (٢٣٩/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٢/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٨٤/٤).
والرازي في مفاتيح الغيب (٣٢٧/٦)، والخازن في لباب التأويل (٢٢٣/٣).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٠٩/٥-٢١٠).

(٢) ما بين المعكوفتين مدرج من الهامش لأنه بخط الأصل ومشار له في المتن.

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٣٤٨/١٢) عن مجاهد دون أن يذكر أنه سبب نزول، وكذلك الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٠٧/٦).
وذكر السمرقندي نحو عن ابن عباس (١٤١/٢).
وأشار القرطبي رحمه الله إلى أنه قيل ذلك في معنى الآية (٨٤/١١).

تعالى ذكر في الآية التي بعد هذه الآية ما يدل على أن المراد بها الكافر والمنافق[١].

قوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

معناه: إن الذين عملوا لغير الله تعالى من الكافرين والمنافقين ليس لهم في الآخرة إلا النار، وحبط ما صنعوا من الأعمال التي لولا الكفر لكانت طاعة، وإحباط الطاعة: إبطالها بالسَّيئة كما أن تكفير السيئات محوها بالحسنات. وقوله تعالى ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ معناه: أن طاعتهم باطلة إلا أنها بقيت فمنعوا ثوابها[٢].

---

(١) أشار إلى هذا الترجيح :
النحاس في معاني القرآن (٣/٣٣٥).
والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٦/١٠٨).
والثعلبي في الكشف والبيان (٥/١٦٠).
والرازي في مفاتيح الغيب (٦/٣٢٧).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٣٥٣).
وفتح القدير للشوكاني (٢/٦٠٤-٦٠٥).

قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

في الآية اختصار، المعنى: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كالذي يريد الحياة وزينتها[١]؟

وأراد بالبينة البرهان الذي هو من عند الله تعالى، كان النبي ﷺ على برهان، وحجة من ربه تعالى، وكان يقرأ عليه القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام[٢].

ومن قبل القرآن كان جبريل يقرأ على موسى عليه السلام التوراة إمَاماً يقتدى به ورحمة من الله لمن آمن به[٣].

---

(١) يشير المصنف رحمه الله هنا إلى أن جواب الاستفهام. محذوف تقديره: أفمن كان على بينة من ربه كالذي يريد الحياة الدنيا وزينتها.
ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٠/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٣٧/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٢/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٢٩/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٤/٣)ز
والدر المصون للسمين الحلبي (٢٢٩/٦).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل سليمان (١١٢/٢).
وتفسير الضحاك (٤٤٣/١)، وجامع البيان للطبري (٣٥٧/١٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٣/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٧/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٧/٤).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٣/٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٣/٢-١٤٤) ونسبه للكلبي ومقاتل.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٩/١١).

ويقال: أراد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ جميع المؤمنين، وأراد بالشاهد: النبي ﷺ [١].

وقيل: أراد بقوله تعالى : ﴿ ويتلوه، يتبعه، ﴿شاهد منه﴾ لسان المؤمن الذي يقرأ القرآن[٢].

وذهب بعضهم رحمهم الله تعالى إلى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ النبي ﷺ، والمراد بقوله تعالى : ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ من أهل نسبه علي –رضي الله عنه– [٣]. وقوله تعالى : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يجوز أن يكون المراد به مؤمني أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه يؤمنون بمحمد ﷺ والقرآن[٤]. ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ جميع المؤمنين، فإنهم كلهم على برهان من ربهم[٥].

---

(١) أكثر المفسرين على أن المقصود بقوله (على بينة من ربه) هو محمد ﷺ، وإنما الاختلاف في قوله : (ويتلوه شاهد منه) فمنهم من قال: إنه جبريل، ومنهم من قال: إنه النبي ﷺ ومنهم من قال: إنه الإنجيل. ومنهم من قال: هو القرآن ونظمه وإعجازه وأكثر أهل التفسير : إنه جبريل عليه السلام.
ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١١٧/٣).
وزاد المسيير لابن الجوزي (٨٥/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (المرجع السابق).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٤/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٣/٣).

(٣) أخرج هذا القول الطبري في جامع البيان بسنده عن علي بن أبي طالب (٣٦٥/١٢) وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف، ذكره العقيلي في الضعفاء (١٩٥/١) وكان رافضياً من أتباع عبد الله بن سبأ، وقد ضَعَّف هذا القول ابن كثير في التفسير (٤٥٦/٢) وقال: هو ضعيف =

= لا يثبت له قائل. كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٢/٨) من طريق آخر عن علي معلقاً، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤١٠/٤) إلى ابن مردويه، وقد ذكره بعض المفسرين كالماوردي في النكت والعيون (٤٦١/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦٢/٥)، والبغوي في معالم التنزيل (١١٧/٣)، والخازن في لباب التأويل (٢٢٤/٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦٥/١٢) وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٣/٢) والكشاف للزمخشري (٣٦٥/٢) ومدارك التنزيل للنسفي (٢٦٣/٢)،والبحر المحيط لأبي حيان (٢١١/٥)
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٦/٢).
واللباب لابن عاد ل(٤٥٦/١٠).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٠/٦).

(٥) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١١٧/٣).
واللباب في علوم الكتاب (٤٥٨/١٠).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ معناه: من يكفر بمحمد ﷺ . ﴿ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ ﴾ مصيره التي وعده الله تعالى في الآخرة[1]. وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾ أي لا تك في شك من القرآن، وظاهر هذا الخطاب للنبي ﷺ أن المراد به جميع الناس لأنه تقدمه قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ ﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[3] أراد به القرآن[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي لا يصدقون في أن القرآن من عند الله تعالى.

قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾.

معناه : ليس أحد أظلم لنفسه من الكاذب على ربه، فإن نفى عنه ما هو عنده أو أضاف إليه ما ليس عنده، أولئك لكاذبون يساقون يوم القيامة إلى ربهم ويوقفون في المقامات التي يطالبون فيها بأعمالهم ويُسألون ويحازون عليها، ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ هم شهداء الله تعالى على الناس من الملائكة والأنبياء صلوات الله عليهم والعلماء وعامة المؤمنين الله، يشيرون

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١١٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٣٩).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٦٣).
ومعالم التنزيل (٣/٢١٧).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٢٤).

(٢) سورة هود: الآية : ١٤.

(٣) سورة هود: الآية : ١٧

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١١١).
والنكت والعيون للماوردي (٢/٤٦٢).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٢٥).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٩٠).

إلى الكفار فيقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم فيفتضح الكفار على رؤوس الأشهاد(١).

وقوله تعالى : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون من قول الأشهاد، ويجوز أن يكون من قول الله – ومعنى اللعنة : الإبعاد عن الخير(٢).

والأشهاد: يجوز أن يكون جمع شاهد كصاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون جمع شهيد كشريف وأشراف(٣).

والعَرْض : إظهار الشيء للتوقيف على حاله، ومنه عرضت الكتاب على فلان وعرض الخيل على السلطان(٤). وجعل الله تعالى وقوفهم في مقامات السؤال عرضاً على الله تعالى كما جعل الله تعالى الذهاب إلى الموضع الذي أمر الله تعالى بالذهاب إليه ذهاباً إلى الله نحو ما أخبر عن إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٥).

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

نعت للظالمين، كأنه قال : ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم الذين يُنسَبُون للصد عن دين الله تعالى وطاعته ويطلبون لملة الإسلام غيراً

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦٦/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٤٤/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦٣/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٦٣/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩١/١١).
(٢) ينظر: مختار الصحاح للرازي (٦١٢/١).
والصحاح للجوهري (٤٦/٧).
وتاج العروس للزبيدي (٦١٢/١).
(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢).
وينظر: الكشاف للزمخشري (٣٦٦/٢) ومدارك التنزيل للنسفي (٢٦٤/٢)، والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٢/٦).
(٤) ينظر: المصباح المنير للفيومي (٤٠٢/٢) الناشر: المكتبة العلمية: بيروت. (ب-س-ط).
والمخصص لابن سيده (٣٣٨/٤) تحقيق: خليل إبراهيم جفال-دار النشر : دار إحياء التراث العربي-بيروت-١٤١٧هـ-١٩٩٦م-الطبعة : الأولى.
(٥) سورة الصافات : الآية (٩٩).

واعوجاجاً[1]، ويتأولون القرآن على خلاف تأويله[2]،﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾

أعاد كلمة (هم) تأكيداً لشأنهم في الكفر[3].

قوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ ﴾.

معناه: أولئك الذين ليسوا بغائبين عن الله عز وجل في الأرض ولا مهرب لهم عن عذابه حتى يجزيهم بأعمالهم الخبيثة.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم ﴾ أي ما لهم من دون الله من ناصر حتى يرفع عنهم عذاب الله تعالى. وقوله تعالى : ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ أي لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون على الكفر، وعلى الصد عن سبيل الله[4]، كما قال جل ذكره : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٦٩/١٢) ، وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢). ولباب التأويل للخازن (٢٢٥/٣). وتفسير السعدي (٣٧٩/١).

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٦٤/٢، والباب لابن عادل (٤٦٠/١٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٥/٣). وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٤/٦). وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٨/٣). والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٢/٦). والباب لابن عادل (٤٦٠/١٠).

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٨/٣). وزاد المسير لابن الجوزي (٩٠/٤)، ومدارك التنزيل للنسفي (٢٦٤/٢). ولباب التأويل للخازن (٢٢٦/٣)، وتفسير السعدي (٣٧٩/١).

زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾[1]. وكما قال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ... ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[2].

ويقال معناه : كل ما مضى من العذاب جاءهم ضعف من العذاب[3].

قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي كان يثقل عليهم سماع الحق من شدة عداوتهم للنبي ﷺ، وهو كما يقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع قولك، ولا أستطيع أن أنظر إلى فلان، أي يثقل علي ذلك[4]، وهذا لأن السماع لا يدخل تحت مقدور العباد، ولكنه يحصل للإنسان إن شاء أو أبى. ويقال: معنى الآية: ما كانوا ينتفعون بسمعهم وبصرهم، فكأنهم لم يبصروا ولم يسمعوا[5]، ثم بين سبحانه أن ضرر ذلك يرجع إليهم فقال ع ز من قائل : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾. أولئك الذين أهلكوا أنفسهم في الآخرة.

وذكر الهلاك بلفظ الخسران؛ لأن الخسران هو ذهاب رأس المال، ورأس مال الإنسان نفسه، وقوله تعالى: ﴿ وضل عنهم ﴾ أي ذهب عنهم الانتفاع بأعمالهم التي كانوا يكذبون بها على الله تعالى كما كانوا في

---

(١) سورة النحل: الآية : (٨٨).
(٢) سورة الفُرقان : الآية (٦٨-٦٩).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٠/١٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٨/٣).
واللباب لابن عادل (٤٦٠/١٠).
وتفسير السعدي (٣٧٩/١).
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤٥/٣)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٤/٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩١/٤) ونسبة للزجاج، وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢). والجامع لأحكام القرطبي (٩٣/١١) ونسبة للزجاج، وتفسير السعدي (٣٧٩/١).
(٥) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٠/٣).
وتأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
والجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق).
واللباب لابن عادل (٤٦٠/١٠).

الدنيا[١]، وقيل معناه : وذهبت عنهم الأصنام التي كانوا يعبدونها في الدنيا ويفترون بقولهم إنها آلهة[٢].

قوله عز وجل : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قيل معنى لا جرم: لابد، ويقال: لا محالة، ويقال:حقاً [٣]. قال سيبويه جرم بمعنى حق[٤]، ومعنى : لا بقي بما ظنوا به ينفعهم ذلك جرم حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

واستدل على هذا بقول الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةًجرمت فَزَارةُ بَعْدَهَا أَنْ تَغْضَبا[٥].

ويقال معنى الجرم: القطع كأنه قال : لا قطع لهم قاطع عن ذلك في أنهم في الآخرة في النار[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٣/١٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٣/١١).
(٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١١٩/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٦٦/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢٨/٣).
واللباب لابن عادل (٤٦١/١٠).
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧٥/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٧٣/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٤/٢-١٤٥) والكشف والبيان للثعلبي (١٦٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٩/٣) وإملاء ما من به الرحمن (٣٦/٢).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٣/٦).
(٤) كتاب سيبويه (١٣٨/٣) تحقيق/ عبد السلام محمد هارون.
دار النشر: دار الجيل – بيروت.
(٥) هذا البيت للشاعر:
أبو اسماء بن الضريبة ويقال هو لعطية بن عفيف يرثي كرْز بن عامر، والبيت في كتاب سيبويه، ولسان العرب (باب: جرم) (٩٠/١٢)ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٤٧/١).
وتاج العروس للزبيدي (٣٩٠/٣١) وينظر: معجم الشعراء (٥٨/١).
ونص البيت : ولقد طعنت أبا عيينة طعنة * جرمت فرازةُ بعدها أن يغضبوا.
وقد استشهد به كثير من المفسرين على معنى "جرم".
(٦) ينظر: لسان العرب (المرجع السابق) وتهذيب اللغة للأزهري (٤٥/١١).

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

معناه :إن الذين صدَّقوا بمحمد ﷺ والقرآن وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم وتواضعوا وخشعوا لربهم[١]، ويقال: عمدوا بإخباتهم إلى ربهم فرقاً منه، أولئك يكونون في الجنة بدل ما يكون الكفار في النار[٢].

قوله عز وجل ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

مثل الكفار مع المؤمنين، مثل الأعمى والأصم والبصير والسميع كما لا ينتفع الأعمى والأصم بالمبصرات والمسموعات، وكذلك الكفار لا ينتفعون بها لأنهم لا يبصرون ولا يسمعون للاعتبار والتفكر[٣]، وإنما أدخل الواو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡأَصَمِّ ﴾ ليبين أن حال الكفار كحال الأعمى على حدة، وحال الأصم على حدة، وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً[٤].

---

(١) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٣٧٥/١٢) عن قتادة والماتريدي في تأويلات أهل السنة (١١٦/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٤٥/٢) ونسبة لابن قتيبة.
والثعلبي في الكشف والبيان (١٦٥/٥).
والماوردي في النكت والعيون (٤٦٥/٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٩٣/٤).
والسيوطي في الدر المنثور (٤١٤/٤) وزاد نسبته لعبد الرزاق وأبو الشيخ عن قتادة.
(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٥٨/٢).
وتأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (المرجع السابق).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٦/١١).
(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٤/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٧٦/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٤٦/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٧/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٥/٢).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٨/٢).
(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٥٦/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٧٦/١٢).

وقولـه تعـالى : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ معنـاه : هـل يسـتوي الأعمـى والأصم والبصير والسميع عند عاقل، كما لا يستوي حال المؤمن والكافر في الدنيا عند أحد من العقلاء، فكذلك لا يستوي حال الكافر والمؤمن عند الله في الدنيا والآخرة.

وقولـه تعـالى : ﴿ أفـلا تـذكرون ﴾ معنـاه : أفـلا تتعظـون بأحكـام القرآن[1].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا [٣٠٨/أ] إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ابتدأ قصص الأنبياء صلوات الله عليهم وما لقوا من تكذيب قومهم، وما أنزل الله تعالى بقومهم من النكال، ذكر الله تعالى ذلك في هذا الموضع تخويفاً لكفار هذه الأمة فابتدأ بذكر أول رسول جاء بالشريعة بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام، أو من جاء بتحريم الأمهات والأخوات، لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى فلم يؤمن به إلا قليل.

ومعنى الآية: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ليقول إني نذير لكم من الله تعالى؛ أي مُعْلِمٌ بموضع المخافة لتحذروا، مُبَيِّنٌ مُفقَّه لكم بلغة تعرفونها[2].

والكشاف للزمخشري (٣٦٧/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٩/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٤/٥).
واللباب لابن عادل (٤٦٤/١٠).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٧/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٧/٦).
ومعالم التنزيل للبغوي (١١٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٩٣/٤).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٩/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٦/٢).
وتفسير السعدي (٣٨٠/١).

ويقال: أراد بقوله تعالى : ﴿مُّبِينٌ﴾ أي مُبين ما أظهر عليه من المعجزات[١].

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ قراءتان، من قرأ (إني) بالخفض فعلى معنى: يقول إني، ومن قرأ أ(نِّي) بالنصب، فالمعنى: أرسلناه بالإنذار، كأنه قال: أُرسِلْتُ بأني لكم نذير مبين[٢].

وقوله تعالى :﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ :وليقُول : أن لا تعبدوا إلا الله تعالى، فإنه لا إله إلا الله. وقوله تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بأني أعلم أن يكون عليكم، أي إن لم تؤمنوا عذاب يومٍ أليم.

لم يقل إني أخاف على جهة الشك في عذاب الكفار، ولكن ذكر بلفظ الخوف لأنه لم يدر إلى أي شيء يؤول حالهم من إيمان أو كفر، وهذه الوجه ألطف في الاستدعاء وأقرب إلى الإجابة في غالب أمر الناس[٣].

وإنما وصف اليوم بالألم؛ لأن أسباب الألم تقع فيه فينسب الألم إليه[٤]، ولو قرئ عذاب يوم أليماً لجاز لأن الأليم من صفة العذاب والله أعلم[٥].

---

(١) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بكسر الهمزة (إني) وقرأ الباقون وهم ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (أني لكم) بفتح الألف.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٣٢/١).
والنشر في القراءات العشر (٢٨٨/٢).
والكشف لمكي بن أبي طالب (١٠١/١).
والحجة لابن خالويه (١٨٦/١).
وإتحاف فضلاء البشر (٤٤/٢).

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٠/٦-١٢١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٣٨/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٧٩/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٤٦/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١١٩/٦) والكشاف للزمخشري (٣٦٧/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٧٨/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٥/٥).

(٥) لم أقف على هذا القول فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

وقوله عز وجل ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

معناه: فقال الرؤساء والأشراف الذين كفروا من قوم نوح عليه السلام ما نراك يا نوح إلا بشراً مثلنا في الصورة والخلقة، فلم صرت أولى أن تكون نبياً ورسولاً لله تعالى منا ؟ وما نراك آمن بك إلا الذين هم أسافلنا وأحَسدَّنَا، يجوز أن يكون إنما استزلوهم لفقرهم أو لصنعة حرفتهم أو لِضِعَةِ أنسابهم[1].

وقوله تعالى : ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ من قرأ (بادئ) بالهمزة فمعناه: أنهم أتبعوك بأول الرأي من دون تفكر ونظر، من قولك : بدأت الأمر أي ابتدأته، ويجوز أن يكون المعنى بادي الرؤية أي في أول ما تقع الرؤية عليهم نعلم أنهم أراد لنا وقد يكون الرأي أول معنى الرؤية كما قال تعالى : ﴿ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ ﴾[2]، أي رؤية العين. ومن قرأ (بادي) بغير الهمز، معناه: ظاهر الرأي من بدا الشيء إذا ظهر كأنه قال: اتبعوك في ظاهر الرأي وهم يعرفون الظاهر ولا تمييز لهم، ويجوز أن يكون معناه: أتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك[3].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ ﴾ أي ما نرى لك ولقومك علينا من فضل، فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال وشرف النسب والمنزلة في الدنيا[4]. وقوله تعالى : ﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ معناه :

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٤٦/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٩/١١-٩٩).

(٢) سورة آل عمران : الآية : ١٣.

(٣) اختلفوا في الهمز وتركه من قوله : (بادي الرأي) فقرأ أبو عمر وحده "بادئ" مهموزاً وقرأ الباقون "بادي" بغير همزة.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٣٢/١).
والنشر في القراءات العشر (٢٢٨/٢).
والكشف لمكي بن أبي طالب (١٠٢/٢).
والحجة لابن خالوية (١٨٦/١).
وإتحاف فضلاء البشر (٤٤/٢).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٦/٢).

بل نظنكم كاذبين فيما تقولونه على الله تعالى وفيما تدعونا إليه فكان هذا القول جهلاً منهم في إنكارهم لنبوة نوح عليه السلام لأنهم لو أنكروا نبوته عليه السلام لكونه في مثل صورتهم لكان إذا جاءهم من هو مباين لهم في الصورة مثل:الَملَك والجني والشيطان، كان لا تثبت نبوته إلا بظهور المعجزة، فحين ظهرت المعجزة على من هو في مثل صورتهم وجب الإقرار عليهم أكثر؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه إنما يقدر على إتيان المعجزة لأنه ليس من جنسهم،

وإن أنكروا نبوة نوح عليه السلام لأجل فقرة وفقر قومه كان جهلاً منهم أيضاً وذلك لأن الأنبياء عليهم [السلام] [1] إنما جاءوا بالتحذير عن الدنيا،وإن كان إنكارهم لنبوته عليه السلام لأجل ضِعَةِ حرف قومه أو نسبهم كان خطأ أبداً؛ لأنه كان مبعوثاً إلى أراذلهم وأشرافهم جميعاً، وكان على الكل أن يؤمنوا به، إلا أنه آمن به بعضهم ولم يؤمن به بعضهم، وكان على من لم يؤمن أن يؤمن.

والكشاف للزمخشري (٣٦٨/٢).

(١) أضيفت من الهامش لأنه مشار لها في المتن ويقتضيها المعنى.

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

معناه : قال لهم نوح عليه السلام: أخبروني إن كنت على برهان وحجة من ربي وآتاني نعمة من عنده – وهي النبوة – فخفيت عليكم هذه النعمة التي ظهرت لمن اتبعني فلم تبصروها [لشقاوتكم] (١) أيمكننا [أن نجعلكم] (٢) [٣٠٨/ب] قابلين لها وأنتم لها كارهون؟ هذا مالا يكون(٣).

وفي قوله تعالى :﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ بيان أنه إنما بان بينهم، لكونه على بينة وبصيرة من ربه وإن كان هو بشراً مثلهم، وإنَّ تعلقهم بالظن في موضع البرهان والجهل والخطأ(٤).

وفي قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً ﴾ بيان أن هذه الرحمة عظيمة، وأن أحوال الدنيا كلها حقيرة في جنب الإضافة إلى هذه الرحمة، فإن الأرذلين عند أهل الدين: هم الكفار والفساق لا كما قال القوم.

قال قتادة رحمه الله : أما والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك، ولو ملك إلزامهم مع الكراهة لم ينتفعوا بذلك(٥)، فإن

---

(١) أضيفت من الهامش لأنه مشار لها في المتن ويقتضيها المعنى.، وهي مثبتة في (ب).
(٢) أضيف من الهامش لأنه مشار لها في المتن ويقتضيها المعنى، وهي مثبتة في (ب).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨١/١٢-٣٨٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٦٥/٥).
والكشاف للزمخشري (٣٦٩/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٢/١١).
وتفسير السعدي (٣٨٠/١).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٢/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (٧٩/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٧/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٦/٥).
واللباب لابن عادل (٤٧٠/١٠).
(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٨٣/١٢) عن قتادة.

قيل: فهلا قيل فعميتم عنها، وهم الذين كانوا عموا؟ قيل : قد بينا أنه وضع ذلك فخفيت عليكم، ثم لا فرق بين اللفظين، كما لا فرق بين قولك: أدخلت الخاتم في الإصبع، وقولك : أدخلت الإصبع في الخاتم[1].

ومن قرأ ﴿فَعُمِّيَت﴾ بضم العين وتشديد الميم، فالمعنى: ألبست عليكم نعمتي[2].

قولـه عـز وجـل : ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ۝٢٩﴾.

معناه :ويا قوم لا أسألكم على دعائي لكم إلى الله مالاً فتخشون العدم في مالكم بإجابتي ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ ما ثوابي إلا على الله تعالى يعطيني في الآخرة، وما أنا بطارد الذين آمنوا بقولكم وازدرائكم لهم، كأنهم طلبوا منه أن يطردهم من عنده[3].

وابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٧/٨).
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٤٧/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١٢٠/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٩٧/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠٣/١١).

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء (١٦١/٢) وجامع البيان (المرجع السابق).
والكشف والبيان للثعلبي (١٦٥/٥) والدر المصون للسمين الحلبي (٣٠٦/٦).
واللباب لابن عادل (٤٧١/١٠).

(٢) واختلفوا في فتح العين وتخفيف الميم وضم العين وتشديد الميم من قوله: ﴿فَعُمِّيت﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم العين وتشديد الميم، وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٣٢/١) والنشر في القراءات العشر (٢٨٨/٢).
والكشف لمكي (١٠٢/٢) والحجة لابن خالويه (١٨٦/١).
وإتحاف فضلاء البشر (٤٤/٢-٤٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨٤/١٢-٣٨٥).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٢/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٤/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٠/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٣٩/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٨/٣).

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ أي ملاقوا ما وعدهم ربهم فيجزيهم بأعمالهم[1]. ويقال : فيخاصموني عنده إن طردتهم، ويقال: فينكشف أمرهم عند ربهم في الآخرة أنهم منافقون كما أنكم تزعمون أم مخلصون[2].

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ أي تجهلوا أمر الله تعالى، وما هو حظكم في صلاحكم من إتباع الرسول والعدول عن طريقة الكفر.

قوله عز وجل : ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾.

معناه : ويا قوم من يمنعني عند لقاء دار المحاسبة من العقاب النازل بي إن طردتُ من آمن بي وآويت من كفر، أفلا تتعظون[3] بما أقول لكم وتؤمنون [بنبوتي][4] .

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري (٣٨٥/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٣/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (٩٨/٤).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٧/٢) والنكت والعيون للماوردي (٤٦٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٠/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٣٩/٦).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٨/٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٦٢/٢).
تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٣/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (٤٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٠/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٩٨/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٣/١١).

(٤) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ويقتضيها المعنى، ومثبتة في (ب).

قوله عز وجل : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

معناه : ولا أرفع نفسي فوق منزلي وأدعي مقدورات الله تعالى فأخص بذلك من أشاء وأمنعه ممن أشاء، ويقال معناه:فكما لا أسألكم مالاً قبل ذلك، لا أدعي مالا أبذل على أتباعي فأزيل عن من اتبعني سمة الفقر، وليس لي غرض في المال دفعاً ولا أخذاً، وإنما الغرض الدعاء إلى طاعة الله تعالى، ولا تَدَخُّلَ للمال فيما بعثت فيه[١].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ معناه : ولا أدعي علم ما غاب عني فإني لا أعلم إلا ما علمني الله تعالى، وإنما يعلم الغيب من لا يحتاج إلى تعليم غيره إياه[٢]. وقوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ معناه : ولا أدعي لنفسي أني مَلَك نزلتُ إليكم من السماء، ولا أدعي منزلة الملك في قِدَمه في الطاعة[٣]،﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ أي ولا أقول للذين تحتقر وتستخسُ أعينكم لن يؤتيهم الله صلاحاً في الدنيا وفلاحاً في الآخرة، يقال.زريت على الرجل، إذا عبت عليه، وخَسَّأت فعله وأزدريت به إذا قصرت به، والأصل في تزدري (تزتري)إلا أن التاء الثانية أدبلت دالاً لأن التاء من حروف الهمس والدال من حروف الجهر فأبدل التاء دالاً لجهر الدال كي لا يخفى. [حروف الهمس عشرة الحاء والتاء والسين

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٧/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٤٠/٦).
وتفسير السعدي (٣٩١/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطري (٣٨٦/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٧/٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٤/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٨/٣) وتفسير السعدي (١٨١/١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٨/٣) وينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٤٤/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٤٦٨/٢) والجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق).

والخاء والصاد والفاء والسين والكاف والياء وما عدا هذا فهو المجهور] [١].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي بما في قلوبهم من التصديق وغيره. وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي من الضارين لنفسي إن طردتهم.

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾.

معناه: قالوا يا نوح قد خاصمتنا فيما دعوتنا إليه من دين غير آبائنا فأكثرت خصومتنا ودعاءنا، فلا نقبل منك[٢]، وذلك أن نوحاً عليه السلام جادلهم في كل شبهة تعرض لهم ليردهم عنها.

ويقرأ فأكثرت جَدَلَنا [٣]. والجدل والجدال: المبالغة في الخصومة والمناظرة لإقامة الحجة مأخوذ من الجدل وهو شدة القتل يقال للصقر الأجدل لأنه من أشد الطير[٤]. فكأن كل واحد من الخصمين يجتهد في قتل صاحبه عن قوله إلى قول نفسه.

---

(١) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن.
ينظر: غايةالمريد في علم التجويد لعطية قابل نصر (١٣٩/١) الطبعة: السابعة – ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م-القاهرة-مصر.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨٨/١٢).
والكشف والبيان للثعليب (١٦٦/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٠).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٥/١١).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣٣٢/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٣).

(٣) هذه قراءة شاذة لا يقرأ بها، ذكرها ابن جني في المحتسب (٣٢١/١) عن ابن عباس، وأيوب السختياني.
وذكرها النحاس في معاني القرآن وإعرابه (٣٤٥/٣).
والعكبري في إملاء ما من به الرحمن (٣٨/٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٩/٣).

وقوله تعالى : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ معناه: فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين أن الله تعالى يعذبنا على الكفر[١]، أرادوا بهذا القول أن يلبسوا على ضعفائهم بهذا القول أن [٣٠٩/أ] نوحاً عليه السلام عاجز عن إنزال العذاب بهم، وإنما قالوا هذا القول حين قامت حجة نوح عليه السلام فلم يقدروا أن يقابلوه إلا باستعجال العذاب[٢].

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ معناه: قال لهم نوح ليس العذاب بيدي ولكن الله تعالى هو يقدر عليه فينزل عليكم إن شاء وما أنتم بمعجزين الله تعالى من إنزال العذاب بكم[٣].

وعن أبي هرة رضي الله عنه أنه قال: (قال رسول الله ﷺ إن نوحاً عليه السلام كان إذا جادل قومه ضربوه، فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) [٤]. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقي النبي ﷺ من أهل مكة ما لقي نوح عليه السلام من قومه، كانوا إذا ضربوه قال: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون[٥].

وذكر ذلك أيضاً النحاس في معاني القرآن (٣٤٥/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (٩٩/٤)نقلاً عن الزجاج.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨٨/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٦/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٨/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٩/٢).
واللباب لابن عادل (٤٧٦/١٠).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٠/١١).
وتفسير السعدي (٣٨١/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨٩/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٨/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٤١/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٣).

(٤) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٣٩٦/١٢) من قول عبيد بن عمير وذكره البغوي في معالم التنزيل (١٢١/٣) عن الضحاك.
والخازن في لباب التأويل (٢٢٩/٣) من قول عبيد بن عمير.
ولم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من رفع هذا الأثر إلى النبي ﷺ.

(٥) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر هذا القول.

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

معنـاه: وقـال لهـم ولا يـنفعكم دعـائي وتحـذيري إيـاكم إن أردت أن أحذركم من عذاب الله تعالى إن كان الله يريد أن يضلكم عن الهدى مجازاة لعملكم فإن إرادة الله تعالى فوق إرادتي ويكون ما يريد لا ما أريد[1].

فإن قال قائل:كيف يجوز أن تكون إرادة إبليس موافِقَـةً لإرادة الله تعالى وإرادة نوح عليه السلام مخالفة لإرادة الله تعالى ؟ الجواب : إن الله شاء لأولئك القوم الكفر وشاء لنوح عليه السلام أن يسألهم الإيمـان، وشـاء لإبليس أن يسألهم الكفر والكل بمشيئة الله تعالى.

ويقال معنى قوله تعـالى : ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ أي إن كـان الله يريد أن يهلككم ويخيبكم من رحمته بكفركم، كمـا قـال تعـالى ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[2] أي هلاكـاً وعـذاباً[3]، والغـي يكـون بمعنـى الخيبـة، كمـا قـال الشاعر[1]:

عن عبد الله بن مسعود عند تفسير هذه الآية. وإنما الثابت أن هذا القول هو من قول الرسول ﷺ عندما دعا لقومه. كما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٤/٢ رقم ١٤٤٧) قال: وهذا مرسل..

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٦/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٨٩/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٨/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٠/٤).
ولباب التأويل للخازن)(٢٢٩/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٩/٢).
وتفسير السعدي (٣٨١/١).

(٢) سورة مريم : الآية : ٥٩.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٨٩/١٢) ، ومعاني القرآن للزجاج (٤٩/٣)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٦/٦) والنكت والعيون للماوردي (٢٠٦/٢).

فَمِنْ يَلْقَ خَيْراً يحمدِ الناسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لاَئماً [٢].

قال ابن الأعرابي[٣]:

يقال : غوى الرجل يغوي غيًّا إذا فسد عليه أمره، أو فسد هو في نفسه، قال : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[١] أي فسد عليه عيشه في الجنة وهذا أيضاً . يؤول إلى معنى الخيبة لأن فيها فساد العيش[٢].

عند تفسير الآية : ١٦ من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، والمحرر الوجيز لابن عطية (١٨١/٣)، ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٣).

(١) الشاعر: هو المرقش الأصغر : وهو ربيعة بن حرملة بن سفيان بن مالك – شاعر جاهلي من أهل نجد، من شعراء الطبقة الثانية، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، وهو عم طرفة بن ا لعبد. ينظر: معجم الشعراء للمرزباني حرف العين: باب: ذكر من اسمه عمرو (١/١)، تحقيق : إبراهيم السمرائي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع.
والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء للآمدي، باب: الميم في أوائل الأسماء (٢٤٢/١-٢٤٣) تصحيح وتعليق المستشرق، أ-د،ف- كرنكو، دار النشر: دار الجيل- بيروت-الطبعة الأولى-١٤١١هـ-١٩٩١م، وتراجم شعراء الموسوعة الشعرية (٨١٣/١) المكتبة الشاملة-الإصدار الثالث.

(٢) ينظر: الأغاني للأصفهاني (١٤٨/٦) تحقيق/ سمير جابر-الطبعة : الثانية ، (ب-س-ط) الناشر: دار الفكر – بيروت.
وجمهرة الأمثال للعسكري، باب: التفسير (١٧٧/١) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش-الطبعة: الثانية ١٩٨٨م الناشر: دار الفكر. ولسان العرب لابن منظور (باب غوى) (١٤٠/١٥).
ولسان العرب لابن منظور (باب غوى) وقد استشهد بهذا البيت كثير من المفسرين عند تفسيرهم لمعنى كلمة (غوى).

(٣) ابن الأعرابي الراوي النَّسَّابة، أحد أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها، قال ثعلب: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر مجالسه زهاء مئة إنسان، وما رأيت بيده كتاباً قط، انتهى إيه علم اللغة والحفظ، قال الأزهري : ابن الأعرابي صالح زاهد ورع صدوق، حفظ مالم يحفظ غيره. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٨٨/٧٨/١٠).
وفيات الأعيان (٣٠٧/٤).

وذكر الحسن -رضي الله عنه –في معنى الآية : (لا ينفعكم نصحي اليوم إن نَزل بكم العذاب، فاستدركوا أمركم قبل نزول العذاب لتنتفعوا بنصحي)[٣].

وقوله تعالى : ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ﴾ معناه : هو ما لككم يقدر إنزال العذاب بكم. وقوله : ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي إليه مصيركم بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم[٤].

وهذه الآية مما يحتج بها أن الشرط إذا اعترض على الشرط من غير أن يتخللها الجواب، كان الشرط الثاني مقدما على الأول في المعنى، حتى لو قال قائل: إن دخلت إن كلمت زيداً فعبدي حر، لا يحنث حتى يتكلم ثم يدخل فيكون تقدير الآية: ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت أن أنصح لكم[٥].

---

(١) سورة طه (الآية : ١٢١).
(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٠/٣) بتصرف يسير من المصنف رحمه الله.
ويُنظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٨٦/٨).
والصحاح للجوهري (٣٠٠/٤).
والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٧٤٧/٣).
ولسان العرب لابن منظور (١٤٠/١٥).
(٣) ذكر هذا المعنى الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٢٦/٦) دون نسبه، والزمخشري في الكشاف (٣٧١/٢)، وابن عادل في اللباب (٤٧٩/١٠) دون نسبة.
(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٤٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢١/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٣).
وتفسير السعدي (٣٨١/١).
(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٠/٣).
وينظر: مغني اللبيب لابن هشام (٨٠١/١).
تحقيق / د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.
الطبعة : السادسة-١٩٥٨م-الناشر: دار الفكر-بيروت.
والكشاف للزمخشري (٣٧١/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٤٢/٦).
وإملاء ما من به الرحمن (٣٨/٢).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣١٩/٦-٣٢٠).

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

معناه: أم يقولون إن نوحاً عليه السلام قد يقول على الله الكذب، فأمر نوح عليه السلام أن يجيبهم القول اللين عند المبالغة في إقامة الحجة عليهم، فيقول لهم : ﴿إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ أي إن أقول الكذب على الله تعالى عقوبة جرمي وأنا بريء من عقوبة جرمكم[1]. ويقال معنى الآية : أم يقول أهل مكة إن محمد ﷺ قد افترى قصة نوح عليه السلام[2]﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى ﴾ والإجرام مستعمل في كسب الإثم خاصة، وهو مصدر أجرمت ويقال جرم بمعنى أجرم ومنه جارم ومجرم[3].

---

(١) ذكر ذلك: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٢٧/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٤٨/٢) ونسبه للكلبي.
والبغوي في معالم التنزيل (١٢١/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠٦/١١) ونسبه لابن عباس. ورجحه وأبي حيان في البحر المحيط (٢٢٠/٥) ورجحهأيضاً .
(٢) ذكر هذا المعنى (مقاتل بن سليمان في تفسيره (١١٦/٢).
والطبري في جامع البيان (٣٨٩/١٢)..
وذكره السمرقندي (المرجع السابق) عن مقاتل.
وكذلك قال به الماوردي في النكت والعيون (٤٦٨/٢).
والقرطبي (المرجع السابق) عن مقاتل.
وأبي حيان في البحر المحيط (المرجع السابق) وضعف هذا القول.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٩/٣) وينظر: الكشاف للزمخشري (٣٧١/٢) والبحر المحيط (٢٢٠/٥).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

معناه : أوحـى اللهتعـالى إلـى نـوح عليـه السـلام أنـه لـن يُصـَدِّق مـن قومك سوى من صـَدَّقك فلا تغتم بالحزن عليهم.

والابتئاس : هو الغم على وجه الاستكانة للحزن على الشأن[1].

وقيل: إنما دعـا نـوح عليـه السـلام حين قـال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[2] . بعد هذا الوحي الذي أوحي إليه[3].

وقولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٦٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٤٧) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٢٩).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٧١).
ومفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٤٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٢).

(٢) سورة نوح : الآية : ٢٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٤٠٣) وتفسير الضحاك (١/٤٤٥).
وجامع البيان للطبري (١٢/٣٩٠-٣٩١) عن الضحاك.
ومعاني القرآن للزجاج (٣/٤٩-٥٠).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٤٨).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٦٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٠٨) عن الضحاك.

معناه : واصنع السفينة بحفظنا لك حفظ الراعي لغيره لدفع الضرر عنه[1]، وذِكْرُ الأعين لتأكيد الحفظ كأنها في الحفظ ترى بأعين على طريق المبالغة[2]. ويقال معناه : واصنع الفلك بأعين الملائكة الذين يُعَرِّفونك [٣٠٩/ب] كيف تصنع السفينة[3].

ولو كان الأمر كما يقول المشبهة من إثبات الجوارح لله تعالى لكانت لله تعالى أعين، وذلك ضد ما يقولونه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً [4].

وقوله تعالى : ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ معناه: وبأمرنا، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي لا تراجعني في الكلام في نجاة الذين ظلموا أنفسهم بالكفر إنهم مغرقون بالطوفان[5].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩٢/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٥٠/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٢٩/٦).
والوجيز للواحدي (٥٢٠/١).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق) وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٢/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٤٦٩/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٣/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢١/٥).
واللباب لابن عادل (٤٨٢/١٠).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٥/١١).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (المرجع السابق).
والنكت والعيون (المرجع السابق).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٤٨/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٤٤/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٩/١١).

(٤) وما ذكره المصنف رحمه الله في معنى هذه الآية هو تأويل لصفات الله على طريقة الأشاعرة والماتريديه، وهو تأويل باطل وتعطيل لصفات الله.كما سبق بيان ذلك تفصيلاً (ص: ١٣٥-١٣٦-١٨٤)، والمعنى الصحيح للآية : أي بمرأى منا وحفظ، واعتناء بأمرك.

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩٣/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٥٠/٣).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ ﴾.

معناه : أن نوحاً عليه السلام أخذ في علاج السفينة،يُروَى أنه استأجر أُجَراء ينحتون معه. ويقال أمره الله تعالى أن يغرس الأشجار فَغَرسها حتى أدركت ثم قطعها حتى يبست ثم أخذ منها السفينة[١].

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ ﴾ أي هزئوا به لمعالجته السفينة لأنهم كانوا يرونه يعمل السفينة في اليَبَسْ مع أنه لم يكن بقربه ماء وكان هذا أمراً خارجاً من العادة وكان من لدن آدم عليه السلام يسقون من ماء المطر بلا بحر ولا نهر جار لهم، فكان القوم يقولون: انظروا إلى هذا الشيخ الضَّال يصنع هذه السفينة يخوفنا بالغرق ويجعل للماء أكافا فأين الماء[٢]؟

وكانوا يقولون له في كلامهم: تَعِبْتَ من أمر النبوة، ورَجَعْتَ في أمر التجارة[٣] ! فقال لهم نوح عليه السلام : إن تسخروا منا فإن نسخر بكم

وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٦٦/٥).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٠/٣).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٩/٢).
الكشف والبيان للثعلبي (١٦٧/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧٠/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٢/٥).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٧/٢) وجامع البيان للطبري (٣٩٣/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٠/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٦٧/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧١/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٣/١١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٩٣/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٥٠/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٠/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٤٧/٣).

عند نزول العذاب كما تسخرون أنتم الساعة، أي نجازيكم على سخريتكم، ويقال : سنستجهلكم كما تستجهلوننا[1]، فسوف تعملون أننا أحق بالسخرية وتعملون من الذي يأتيه عذاب يهينه في الدنيا وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة.

قوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (وذلك أن الله تعالى أوحى إليه أن موعدك أن يَخْرجَ الماء من آخر مكان في دارك وهو تنور الخابزة، تنور آدم عليه السلام أبو البشر عليه السلام كان يوم حج نوح إلى البيت رأى تنور آدم عليه السلام فحمله عليه السلام وحمله معه ووهبه الله تعالى له، ثم قيل له: إذا رأيت الماء قد فار منه، فاحمل في السفينة ما أمرت به من كل أجناس الحيوان زوجين اثنين، واحمل أهلك إلا من سبق عليه القول بالعقاب وهي امرأته الكافرة وابنه كنعان واستثناهما الله تعالى من جملة أهله) [2].

وقوله تعالى : ﴿وَمَنۡ ءَامَنَ﴾ أي واحمل من آمن معك في السفينة، قال: فلما فار الماء من التنور أرسل الله تعالى السماء بمطر شديد وأقبلت الوحوش حين أصابها ماء السماء إلى نوح عليه السلام وسُخِّرت، فحمل في السفينة من كل طير زوجين ومن كل وحش زوجين ومن كل دابة

وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٣/٤).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥٠/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٩/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧١/٢).
وزاد المسير (المرجع السابق) ونسبه للزجاج.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٣/١١).

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٤٤٦/١).
وجامع البيان للطبري (٤٠٤/١٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٨٥/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٤/٤).

وبهيمة زوجين، ومن كل سَبْع زوجين، وحمل من البقر والغنم خمسة أزواج، لأنها كانت قرباتهم التي يتقربون بها، وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فقطع فقار العقرب وضرب فم الحية فحملهما في السفينة فكانت السماء تمطر وكان هو عند قومه يحذرهم حتى ابتلت أقدامهم الماء إلى الكعبين ثم حذرهم حتى صار الماء إلى نصف الساق ثم حذرهم حتى صار إلى الركب وإلى الحقوين، كل يحذرهم وينذرهم، وكان ينوح ويبكي عليهم، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (سمي نوحاً لأنه كان ينوح على الإسلام حيث لم يقربه قومه) (١).

قال: فلما بلغ الماء إلى الشدوة ناح وقال: أغرق قومي، وقال لابنه كنعان : ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ كثر الماء حتى صار فوق الجبال خمسة عشر ذراعاً، وفي النهر خمسة عشر ذراعاً بالذراع الأول، وقال: وكان للسفينة ثلاثة أبواب، بعضها أسفل من بعض، حمل في الباب الأسفل السباع والهوام، وحمل في الباب الأوسط الوحوش والبهائم، وحمل في الباب الأعلى بني آدم، وكانوا ثمانين إنساناً، أربعون رجلاً وأربعون امرأة(٢)، وكان بين الرجال والنساء حسد ابني آدم عليه السلام، وكان معه امرأة سوى التي غرقت وثلاثة بنين، سام وحام ويافث، ونساؤهم(٣) واثنان وسبعون إنساناً سواهم فيهم الخضر عليه السلام وهو ابن بنت نوح عليه السلام.

وعن قتادة -رضي الله عنه- أنه قال : (ذكر لنا ان التنور أرفع موضع من الأرض وأشرفها وكان المكان المرتفع شُبِّهُ لعلوه بالتنور، وكانت العلامة [٤١٠/أ] لنوح عليه السلام خروج الماء من أعلى الأرض(٤).

---

(١) لم أقف على هذا القول فيما بين يدي من المصادر والمراجع.
(٢) ذكر هذه المعاني مختصرة السمرقندي في بحر العلوم (١٥٠/٢-١٥١).
وأشار إليها الزمخشري في الكشاف (٣٧٣/٢).
والرازي في مفاتيح الغيب (٣٤٨/٦).
قلتا: وهذه من التفاصيل التي لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها ولم يتحدث عنها القرآن الكريم ولا وصلت إلينا بسند صحيح عن المعصوم ﷺ.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٦٣/٢).
والكشاف للزمخشري (٣٧٣/٢).
وينظر: الإسرائليات الموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة (٢١٦/١).
(٤) أخرج هذا القول عن قتادة: الطبري في جامع البيان (٤٠٤/١٢).
وذكره النحاس في معاني القرآن (٣٤٨/٣)عن قتادة أيضاً .

وفور التنور: ارتفاع ما فيه كما تفور القدر بالغليان[1].

وفي بعض الروايات :أن الماء فار أولاً من ناحية مسجد الكوفة[2].

وعن أمير المؤمنين -رضي الله عنه-أنه قال في معناه: حتى إذا جاء أمرنا بالعذاب وطلع الفجر، كأنه ذهب إلى أنه من تنوير الصبح[3].

ويقال معناه : فار التنور: اشتد غضب الله علهيم، كما يقال: حمي الوطيس) إذا اشتدت الحرب[4]. والأظهر أنه تنور الخابزة[5]. كما روينا عن ابن عباس –رضي الله عنهما–.

والماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٣١/٦).
والسمرقندي في بحر العلوم (٤٧٢/٢).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١٥/١١).

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٤/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٣١/٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٠٦/١٢) عن الشعبي.
وذكره النحاس في معاني القرآن (٣٤٨/٣)عند الشعبي أيضاً .
والسمرقندي في بحر العلوم (١٥٠/٢) عن علي بن أبي طالب.
والماوردي في النكت والعيون (٤٧٢/٢)عن علي أيضاً .
وابن الجوزي في زاد المسير (١٠٥/٤) عن الشعبي.
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٦١/٢) عن مجاهد والشعبي.

(٣) هو علي بن أبي طالب : وقد أخرج قوله ابن جرير في جامع البيان (٤٠٣/١٢).
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧/٨).
وذكره النحاس في معاني القرآن (٣٤٨/٣).
والماوردي في النكت والعيون (٤٧٢/٢).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/١١).
وذكر هذه الأقوال الواردة في معنى التنور (الزجاج في معاني القرآن (٥١/٣) دون أن يرجح بينها.

(٤) ينظر: المحور الوجيز لابن عطية (١٨٦/٣).
والكشاف للزمخشري (١٨٦/٣).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٤٧/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٦/١١).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٣/٥).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥٩/١١)نقلاً عن ابن عطية.
وقوله حمى الوطيس، أول من قال هذه الكلمة رسول الله ﷺ في غزوة حنين، قال: (هذا حين حمى الوطيس) أخرجه مطولاً أحمد (١٧٧٥) ومسلم (٤٧١٢)، قال أبو العباس في المفهم ٢٩٥/٥: وهذه الاستعارة عجيبة لا يُعرف من تكلم بها قبل النبي ﷺ من العرب، ومنه تُلُقِّيت فصُيرِّت مثلاً في الأمر إذا اشتد.
وينظر: النهاية في غريب الأثر (باب: الحاء مع الميم/ ١٠٥٥/١).

(٥) وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٠٧/١٢).
وذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٣١/٦).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٨٥/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١٤/١١).

وقد اختلفت الرواية في مقدار السفينة، قال الحسن –رضي الله عنه: (كان طولها ألفا وماءتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع) [(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان طولها ثلاث مائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وارتفاعها ثلاثون ذراعاً، وهو قول قتادة، قال: (وكان لها بابان عريضان) [(٢)].

وكان الأعمش[(٣)] –رحمه الله– يقول في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ إنه إنما آمن به ثلاثة بنين، وثلاث كَنَائنَ بنيه، [والكَنَّة بالفتح زوجة الابن، والجمع الكائن، وكأنه جمع كنينة] [(٤)] وكانوا كلهم سبعة أنفس، نوح عليه السلام وبنوه الثلاثة ونساؤهم[(٥)].

والخازن في لباب التأويل (٢٣١/٣) حيث قال: وهو قول أكثر ورواية عن ابن عباس أيضاً، وهذا القول أصح لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى، ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبر فيه فوجب حمل اللفظ عليه.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٩٥/١٢).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦١/٨).
وذكره الماتريدي ي تأويلات أهل السنة (١٣١/٦).
قال: وأما قول أهل التأويل: إن سفينة نوح كان طولها كذا، وعرضها كذا، فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك، فإن صح فهو ما قولوا. وقولهم كان لها ثلاثة أبواب وثلاثة أطباق فذلك أيضاً لا نعرفه، ولا قوة إلا بالله.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٤٩/٢).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٦١/٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٩٤/١٢) عن قتادة. وينظر: معالم التنزيل للبغوي (١٢٣/٣) عن ابن عباس. وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٣/٤) عن قتادة.
واللباب لابن عادل (٤٨٣/١٠) حيث قال: قال ابن الخطيب –رحمه الله-والذي نعلمه أن السفينة كانت سعتها بحيث تسع المؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه، ولحصول زوجين لكل حيوان لأن هذا القدر مذكور في القرآن، فأمَّا تعيين ذلك القدر فغير معلوم. قال الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ٢١٦) ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ابن جرير، والدر المنثور، وغيرهما: ما روي في سفينة نوح -عليه السلام – فقد أحاطوها بهالة من العجائب والغرائب، من أي خشب صنعت؟ وما طولها؟ وما عرضها؟ وما ارتفاعها؟ وكيف كانت طبقاتها، وذكروا خرافات في خلقة بعض الحيوانات.

(٣) سلميان بن مهران الحافظ أبو محمد الأعمش، أحد الأعلام المشهورين كان ثقة عالماً فاضلاً، لقي كبار التابعين رضي الله عنهم، ذكره ابن حبان في الثقات، قال: وكان مدلساً أخرجناه في هذه الطبقة لأن له لقاء وحفظاً وإن لم يصح له سماع المسند عن أنس، مات سنة ثمان وأربعين ومائة.
ينظر: الثقات لابن حبان (٣٠٢/٤) والكاشف (٤٦٤/١).
وفيات الأعيان (٤٠٠/٢).

(٤) ما بين المعكوفتين أضيف من الهامش لأنه بخط الأصل ومشار لها في المتن.
ولمعنى الكَنَّة: ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب: كنن (٣٦٠/١٣).
ومختار الصحاح للرازي، باب الكاف (٣٦٠/١٣).
والصحاح للجوهري (٣٩/٧).

(٥) أخرج قول الأعمش: الطبري في جامع البيان (٤١١/١٢).
وينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٥) والنكت والعيون للماوردي (٤٧٢/٢).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

معناه : وقال نوح لهم عليه السلام : اركبوا في السفينة، وقوله تعالى ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون قوله :بسم الله متصلاً بقوله ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ أي باسم الله تعالى إجراؤها وإرساؤها، قال الضحاك رحمه الله[1]: (كانوا إذا أردوا أن تجري السفينة قالوا: باسم الله فجرت، وإذا أرادوا أن يرسوها قالوا: بسم الله فرست) [2].

ويجوز أن يكون المراد بالمجرى : موضع جريها، كأنه قال: حيث تجري، ويجوز أن يكون معناه: وقت جريها[3].

ومن قرأ (مَجراها) بنصب الميم، فهو عبارة عن الموضع الذي تجري فيه، ولم يقرأ أحد (مُرساها) إلا بضم الميم. ومن قرأ (مُجْرِيها) و

ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٤/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٧/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٨/١١).

(١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي لقي جماعة من التابعين، ولم يشافهه أحد من الصحابة، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم، وهو ثقة مأمون، سئل عنه أبو زرعة فقال: ثقة ولم يسمع من ابن عباس، وقال ابن كثير: كان إماماً في التفسير.
ينظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٥٨/٤).
والثقات لابن حبان (٤٨٠/٦) وتهذيب التهذيب (١٤/١٧).

(٢) تفسير الضحاك (٤٤٦/١).
وينظر: جامع البيان للطبري (٤١٥/١٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧١/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧٣/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٤/٣) والكشاف للزمخشري (٣٧٤/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٩/٤).

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٣٢٥/٦) ومجراها ومرساها في موضع الظرف المكاني أو الزماني، والتقدير: اركبوا فيها مسمين موضع جريانها ورسوها، أو وقت جريانها ورسوها.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣٧٤/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٥/٥).
واللباب لابن عادل (٤٩٠/١٠).

(مُرْسِاها) بالكسر نعتاً لله تعالى، فالمعنى باسم الله المجرى لها حيث يشاء والمرسي لها حيث يشاء[1].

وقوله تعالى : ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه : متجاوز لذنوب عباده، رحيم.

فإن قيل إن اتصال "بهم" بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بقوله : ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ قيل اتصاله به أن نوحاً عليه السلام ومن آمن معه إنما نجوا من عذاب الله الدنيا من إيمانهم فاطلبوا النجاة عن عذاب الآخرة بالإيمان فإنه لا نجاة من عذاب الله تعالى إلا به[2].

---

(١) اختلفوا في (مجريها) فحفص وحمزة والكسائي، وخلف فتح الميم مع الإمالة من (جرى) الثلاثي، ولم يُمِلْ حفص في القرآن العزيز غيرها، ووافقهم الشنبودي، والباقون بالضم من أ(جْرَى) أصلها منهم: أبو عمرو، وابن ذكوان، من طريق الصوري، وقلله الأزرق وأمال مُرساها، حمزة، والكسائي، وخلف، وقللها الأزرق بخلفه، على قاعدته.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٨٨-٢٨٩).
والكشف لمكي (٢/١٠٣-١٠٤).
والحجة لابن خالويه (١/١٨٧).
وإتحاف فضلاء البشر (٢/٤٦).

(٢) ينظر: تفسر مقاتل بن سليمان (٢/١١٩).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٣٣).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٧٤).

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

معناه : إن السفينة تجري بأهلها في أمواج كالجبال العظيمة في الارتفاع[(١)]، والموج قطعة من الماء عالية على غيره، واحده موجه، وجمعه موج، وجمع الجمع أمواج[(٢)].

ولو كان المراد بالآية : الموجة الواحدة لما شبهها بالجبال.

وقيل في معنى تشبيهها بالجبال: أن الله تعالى فتح أبواب السماء فكان الماء ينزل سيلاً لا على الوجه الذي ينزل المطر، وفجر عيون الأرض كلها حتى انفتحت عيون السابعة والتقا الماءان، ماء السماء وماء الأرض[(٣)]، كما قال جل ذكره : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[(٤)].

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥١/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٧٤/٢).
وفتح القدير للشوكاني (٧٢١/٢).

(٢) ينظر: العين، للفراهيدي باب الجيم والميم (١٥٩/٦).
ولسان العرب، لابن منظور باب : فوج (٣٧٠/٢).
وتاج العروس للزبيدي : باب موج (٢٢٠/٦).

(٣) ذكر هذا المعنى: الطبري في جامع البيان (٥٧٨/٢٢).
والسمرقندي في بحر العلوم (٣٥١/٣).
والواحدي في الوجيز (١٠٤٦/١).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٦٤/٦).
والماوردي في النكت والعيون (٤١٢/٥).
والبغوي في معالم التنزيل (١٢٥/٣).
وقد أوردوه عند تفسر الآية : (١٢) من سورة القمر. وهي قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.

(٤) سورة القمر: الآية ١٢.

وعن هذا قال بعضهم -رحمهم الله-: إن السفينة كانت مطبقة وكان لا يدخلها الماء في حال رسوها ولا إذا طفت، حتى استدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿فِي مَوْجٍ﴾ أن الماء كان يتموج في داخله وكانت السفينة تجري في خلال الموج، إلا أن الأكثر عند أهل التفسير –رحمهم الله تعالى-: أنها كانت على وجه الماء على ما قد رويناه أن الماء علا على كل شيء مدار خمسة عشر ذراعاً [(١)].

وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ أي دعا نوح ابنه كنعان وكان في قطعة من الأرض غير القطعة التي كان فيها نوح عليه السلام[(٢)].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٣/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٧٥/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٩/٤).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٦/٥).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٢/٢).
واللباب لابن عاد ل (٤٩٢/١٠).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥١/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧١/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٧٥/٢).

ويقال : كان في معزل من دين أبيه[1].﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ أي في السفينة بشرط الإيمان، ولذلك قال : ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي على دينهم فتغرق معهم[2]، وقال الحسن -رضي الله عنه -: إنما دعاه إلى ركوب السفينة لأن ابنه كان يُظ ْهِ له الإيمان نفاقاً وكان يحسبه مؤمناً .

وقد اختلفت القراءة في قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ قرأ بعضهم بكسر الياء على الإضافة وهو الأجود لأن الأصل يا بني بثلاث ياءات، ياء التصغير، ولام الفعل، وياء الإضافة، فحذفت الإضافة وتركت الكسرة دليلاً على الإضافة، وأدغمت إحدى الياءين [٣١٠/ب] في الأخرى، وقرأ بعضهم (يابُني) على معنى أن أصله يا بنيا بالألف، كما يقول العرب: يا غلاما أقبل تريد يا غلامي أقبل، فتبدل الألف من ياء الإضافة على وجه الندبة والتفجع وكان الأصل :يا بنيا، حذفت الألف لسكونها وسكون الراء من قوله (ار ْكب) وأقر في الكتاب على حدة في اللفظ[3].

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

معناه : قال ابن نوح عليه السلام سآوي أي سأذهب وأرجع إلى مَأ ْوى من الجبل حريز يمنعني من آفات الماء، قال له نوح عليه السلام: لا

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥٤/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٥٢/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٠٩/٤-١١٠).
والجامع لأحكام القرآن (١١٦/١١)
وفتح القدير للشوكاني (٧١١/٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١١٩/٢).
وينظر المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٩/٣).
وتفسير الثعالبي (٢٠٦/٢).

(٣) اختلف في (يا بني) هنا ويوسف (الآية : ٥) وفي لقمان ثلاثة [الآيات ١٣، ١٦، ١٧] وفي الصافات [الآية : ١٠٢].
=

عاصماليوم من أمر الله أي من عذابه إلا من رَحِم بالنجاة[1]، وذكر هذا على جهة الاعتراف بنعمة الله تعالى عليه، وتقدير الكلام: لا عاصم اليوم من عذاب الله تعالى إلا الله تعالى.

وقال بعضهم: لا عاصم اليوم من عذاب الله تعالى إلا من رحم الله تعالى وهو نوح عليه السلام فإنه قد جعل إليه إركاب المؤمنين في السفينة[2]، ويقال معناه : لا معصوم اليوم إلا من رحم الله تعالى[3]، وهذا كما قال الحُطَيئَة[4] :

= فحفص بفتح الياء في الستة، ذلك لأن أصل (ابن) "بنو"صُغِّر على "بنيو" فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها، ثم لحقها ياء الإضافة فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقلبت ألفاً ثم حذفت الألف اجتزاء عنها بالفتحة، وقرأ "أبو بكر" هنا كذلك بالفتح.
وقرأ ابن كثير الأول من لقمان (يابُنيَّ لا تشرك بالله) لسكون الياء مخففة، واختلف عنه في الأخير منها (يا بني أقم الصلاة) فرواه عنه البزي كحفص ورواه عنه قنبل بالتخفيف، مع السكون كالأول، ووافقه ابن محيصن على التخفيف فيهما وعن المطوعي كذلك في هود.
ولا خلاف عن ابن كثير في كسر الياء ومشددة في الأوسط من لقمان (يا بني إنها) وبه قرأ الباقون.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٨٩/٢) والكشف لمكي (١٠٤/٢-١٠٥).
والحجة لابن خالويه (١٨٧/١) وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٣٠/٢-٣١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٧/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٢/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧١/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٣/٣).

(٢) يشير المصنف رحمه الله أن المقصود بالاستثناء في قوله (إلا من رحم) نوح عليه السلام، وهذا المعنى لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر والمراجع، والمعنى الصحيح للآية: لا مانع اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله فأنقذه من الغرق فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٨/١٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٥٣/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧١/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٤٧٣/٢)، والكشاف للزمخشري (٣٥٧/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (١١٠/٤).

(٤) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي أبو مليكه شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم ثم ارتد، وكان هجَّاءاً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه ونفسه، سمي بالخطيئة لقربه من الأرض فإنه كان قصيراً. ينظر: الأعلام للزركلي (١١٨/٢) والوافي بالوفيات للصفدي (٨/٤) وتراجم الموسوعة الشعرية (٦٣٢/١).

دعِ المكارِمَ لاَ ترْحَلْ لِبُغْيتِهَا

واقْعُدْ فَإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسي[١].

أراد بالطاعم المُطْعَمُ المكْسِي ويقال: بَدِرٌ كاتم أي مكتَوم.

وقوله تعالى : ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ ﴾ أي حال الموج بين كنعان ونوح -عليهما السلام[٢]-ويقال: بين كنعان والجبل فصار من المغرقين[٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾.

قال عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– : (وذلك أن السماء أمطرت أربعين يوماً الليل والنهار، وخرج ماء الأرض أربعين يوماً الليل والنهار، وسارت بهم السفينة فطافت بهم الأرض كلها في خمسة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله. ودارت بالحرم أسبوعاً، ورفع البيت الذي بناه آدم عليه السلام إلى السماء وهو البيت المعمور، وجعل الحجر الأسود على أبي قبيس، وأودع فيه، ثم ذهبت السفينة في الأرض حتى انتهت بهم إلى الجودي، وهو جبل بأرض الموصل، فاستقرت عليه بعد خمسة أشهر)[٤].

---

(١) والبيت مذكور في كتاب : (الأغاني للأصفهاني (١٧٧/٢) والكامل في اللغة والأدب (١٤٠/٢) وجمهرة الأمثال للعسكري (٥١٧/١)،ديوان الحُطَيئة (٢/١) ونهاية الأدب في فنون الأدب للنويري (٦٦/٣) تحقيق/ مفيد جميحة وجماعة الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

وغيرها كثير من كتب النحو واللغة والتفسير وعلوم القرآن. وذلك في خبره المشهور لما ذم الزبرقان.، وهو شاهد على صيغة "فاعل" التي تأتي بمعنى "مفعول".

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١١٩/٢) وينظر: جامع البيان للطبري (٤١٩/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٢/٢) وعزاه لمقاتل. وزاد المسير لابن الجوزي (١١١/٤) وعزاه لمقاتل والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٥/١١).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٥٢/٢) وعزاه للكلبي، وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١١/٤) وعزاه لابن عباس، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٦/٣).

(٤) أخرج ابن سعد في الطبقات (٤٠/١-٤١) نحو هذا القول مطولاً عن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس وطريق محمد بن السائب عن أبي صالح هي الطرق عن ابن عباس، ولهذا فهو ضعيف لضعف سنده.

ويقال: ركب نوح عليه السلام السفينة لعشر مضين من رجب وخرج منها يوم عاشوراء فذلك ستة أشهر، فلما استقرت السفينة كشف نوح عليه السلام الطبق الذي فيه الطير، فبعث الغراب ليأتيه بالخبر فأبصر جيفة فوقع عليها وأبطأ على نوح عليه السلام ولم يأته، فأرسل الحداة على غثره فأبطأت عليه فلم تأته، فدعى على الغراب أن يكون طويل العمر وأن يكون في مخافة وشقاء، ثم أرسل الحمامة بعد الحدأة بسبع فلم تجد موقعاً فرجعت فبسط نوح عليه السلام كفه فوقعت عليها ثم مكث نوح ما شاء الله ثم أرسلها مرة أخرى فجاءت بورق الزيتون، فعرف نوح عليه السلام أن الماء قد نقص وظهرت الأشجار، ثم أرسلها بعد ذلك فوقعت على الأرض وغابت رجلاها في الطين فعرف نوح عليه السلام أن الأرض قد ظهرت فدعا لها : كوني آنس طير وأنعمه وأكيسه[(١)]، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾.

قال الله تعالى للأرض : ابلعي أي: إنشفي الماء الذي خرج منك، والبلع والابتلاع : إدخال الشيء في الجوف، فشبه دخول الماء في الأرض بالابتلاع[(٢)]. وقوله :﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾: كفي عن الصب، يقال: أقلعت السماء إذا استمسك المطر حتى لم يبق له أثر، وأقلعت الحمى عن فلان إذا تركته[(٣)]. وقوله : ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ معناه : ونشفت الأرض ماءها، يقال:

وقد ذكر نحوه مختصراً السمرقندي في بحر العلوم (١٥٢/٢) عن ابن عباس، ولعله أيضاً من طريق الكلبي والله أعلم.
وكذلك الخازن في لباب التأويل (٢٣٤/٣) من غير نسبه.
وذكر نحوه مطولاً أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٤٣٤/٤-٤٣٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعزاه إلى ابن سعد وابن عساكر.

(١) ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم (١٥٢/٢) عن ابن عباس.
وابن كثير في تفسيره (٤٦٤/٢-٤٦٥).
وقال أبو حيان في البحر المحيط (٥٢٩/٥) وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر كمال الغرق الله أعلم بما كان من ذلك.
قلت: وهذه من الأمور التي لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها، ونقف عندها إذا لم تردنا بسند صحيح عن المعصوم ﷺ.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤١٩/١٢) والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٠/٣). والدرر المصون للسمين الحلبي (٣٣٣/٦).
ولمعرفة اشتقاق كلمة(بَلَعَ) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب:بلعَ (٢٠/٨).
وتاج العروس للزبيدي: باب : بلع (٣٥٦/٢٠).

(٣) ينظر: لسان العرب: لابن منظور باب بلع (٢٩٠/٨) والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري: باب القاف مع اللام (١٥٧/٤)، والصحاح للجوهري (٤١٥/٤).

غاض الماء يغيض إذا غار في الأرض، ويقال: غاضه الله تعالى في الأرض[1] ولهذا ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، لأن غاض لازم غير متعد، ويقال:فلان يغيضني غيضاً من فيض، أي قليلاً من كثير[2].

والغرض من الآية : أمر خدان الأرض بإعادة الماء. قيل إنما ذكر الله تعالى قوله تعالى : ﴿ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ بلفظ الأمر على معنى: أن الله تعالى حبس ماء السماء وبلعت الأرض ماءها إلا أن أفعال الله تعالى إنما تضاف إليه بلفظ الأمر لتكون أدل على الاقتدار وعلى شرعه الكون مع زوال التعب والنصب[3]، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[4].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-(فنشفت الأرض ماءها الذي خرج منها، وذهب ماء السماء إلى البحور[5]، لأن الله تعالى قال : ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ وقوله : ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ ينصرف إلى ذلك الماء، وقوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي وقع الهلاك بالكفار على التمام وهلك [٣١١/أ] من هلك ونجا من نجا[6]. وقوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ ﴾ أي استقرت السفينة

---

(١) ينظر: جامع مع البيان للطبري (٤١٩/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٥/٦). ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٣).
(٢) ينظر: العين للفراهيدي باب : عيض (٤٣٠/٤) وأساس البلاغة (١٧٢/٢)، والنهاية في غريب الأثر، باب: العين مع اللام (٧٥٥/٣)، وتاج العروس، باب: : غيض (٤٧٢/١٨).
(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٥/٦).
والكشاف للزمخشري (٣٧٦/٢)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٨٨/٥)، واللباب لابن عادل (١٨٨/١٠).
(٤) سورة البقرة الآية : ٦٥.
(٥) لم أقف على هذا المعنى من قول ابن عباس. فيما بين يدي من المصادر والمراجع.
(٦) بحر العلوم للسمرقندي (١٥٣/٢).

على الجودي شهراً، والجودي منسوب إلى الجود كالكوفي والبصري[1]، ويقال: هو جبل بناحية آمد[2].

وقوله تعالى : ﴿ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ يجوز أن يكون معناه : وقال الله تعالى :بعداً أي سحقاً من رحمة الله للقوم الكافرين. ويجوز أن يكون هذا هو قول أهل السفينة حين نجوا من الغرق وخرجوا من السفينة قالوا: بعداً للقوم الظالمين، أي أبعدهم الله تعالى من رحمته في الآخرة أيضاً [3]. وهذا كالرجل يُدفع إلى أمر عظيم لإهلاك غيره، فإذا هلك ذلك الرجل الذي يراد إهلاكه ونجا الرجل في الآخرة، قال: أبعده الله وأسحقه الله تعالى وهذا على الدعاء كما يقال سقياً لزيد ورُعياً لعمرو . أي سقاه الله ورعاه الله[4].

وهذه الآية مما لو قيس كلام العرب والعجم لم يوجد فيه مثلها في فخامة لفظها وحسن نظمها، وجودة معانيها، وذلك من أوضح دلالات الله على إعجاز القرآن، وأنه ليس من كلام البشر وبالله التوفيق.

قوله عز وجل: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

---

(١) بمعنى أنها ياء النسبة: ينظر: معاني القرآن للأخفش (٤٢/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١١٢/٤).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٩/٥) والدر المصون للسمين الحلبي (٣٣٤/٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٥/٣) ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٩١/٣) للزجاج وآمد مدينة من ديار بكر، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن منهم أبو بكر بن عثمان الآمدي وغيره، وهي اليوم من بلدان تركيا، يسميها الترك (مرة آمد) أي آمد السوداء لسواد حجارتها. ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجزري، باب الألفين وما يثلثهما (٢١/١) الناشر: دار صادر – بيروت– سنة النشر ١٤٠٠هـ–١٩٨م.
وتعريف الأماكن الواردة في لبداية، آمد (٦٤/١).
والموسوعة الحرة، مقال بعنوان :مدينة موغلة في القدم، نقلاً عن كتاب:برهان حَنا إيليا– آمد– مدينة الفخر.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٩١/٣) ومفاتيح الغيب للرازي (٣٥٤/٦) واللباب لابن عادل (٥٠٠/١٠)، وفتح القدير للشوكاني (٧٢٣/٢).

(٤) ينظر: ا لكشاف للزمخشري (٣٧٦/٢) وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٣٧/٣)، والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢٩/٥).

معناه: دعا نوح عليه السلام ربه عز وجل حين حال الموج بينه وبين ابنه كنعان، فقال: رب إن ابني من أهلي، أي من قومي وإن وعدك بنجاة قومي الصدق لاشك فيه، وأنت أحكم الحاكمين في قولك وفعلك[1]،

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٢٥/١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٦/٣). وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٣/٢).
والوجيز للواحدي (٥٢٢/٨) ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٣).

قولـه عـز وجـل : ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

معناه: قال الله تعالى : يا نوح إنـه لـيس من أهلـك الـذين وعـدتك أن أنجيهم، إنمـا أهلـك أهـل دينـك، فـإن ابنـك كـافر لـيس علـى دينـك فانقطعت العصمة بينك وبينه بكفره وإيمانك[١].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ أي يعمل عمل الكافرين ولم يعمل عمل المؤمنين، ومن قرأ : ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[٢] فمعناه : إنه ذو عمل غير صالح كما قال الشاعر[٣] يصف ناقته :

ذَرْعَى إِذَا غَفَلت حتى إذا اذَكَرَت

فإنما هي إقبال وإدبار[٤].

أي ذات إقبال وإدبار، ويقال معناه: إن نفس سؤالك إياي نجاة ولدك الذي ليس من أهل دينك سؤال غير مُرْضِي[٥].

(١) ينظر : تفسير الضحاك (٤٤٨/١-٤٤٩) وأخرجه الطبري في تفسيره بسندين عن الضحاك (٤٣٢/١٢) وهو الذي رجحه الطبري رحمه الله.

(٢) اختلفوا في (إنه عمل غير) فقرأ يعقوب والكسائي (عَمِلَ) بكسر الميم وفتح اللام (غيرَ) بنصب الراء، وقرأ الباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ورفع الراء. (عملٌ غيرُ).
ينظر: السبعة (٣٣٤/١) ، والنشر في القراءات العشر (٢٨٩/٢).
والكشف لمكي (١٠٥/٢-١٠٦) والحجة لابن خالوية (١٨٧/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٤٧/٢-٤٨).

(٣) هذه الأبيات للخنساء وهي تما ضُر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، ولقبها الخنساء، أدركت الإسلام فأسلمت وقدمت على رسول الله ﷺ وكان يستنشدها شعرها وتعجبه ويقول، هيه يا خناس، ويومئ بيده، وأجود رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكان قد قتلا في الجاهلية، لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. ينظر: الأعلام للزركلي (٨٦/٢) والوافي بالوفيات (٤٥٩/٣) وتراجم شعراء الموسوعة الشعرية، الخنساء (٦٥١/١).

(٤) البيت مذكور في كثير من دواوين الشعر والأدب، كالكامل في اللغة والأدب (من مراثي الخنساء، (٤٠/٤)، وديوان الخنساء (٣٥/١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٩٩/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣٤/١٢) عن مجاهد.
وأحكام القرآن للجصاص (٢٤١/٣-٢٤٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٧٢/٥)، والوجيز للواحدي (٥٢٢/١) والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٢/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٦/٣).

عن الحسن [ومجاهد][1] رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ معناه: إنه ولد لغير رشده فليس من أهلك[2]. إلا أن أكثر المفسرين رحمهم الله لا يرضون هذا التأويل لأن الله تعالى يعصم أنبياءه صلوات الله عليهم أن يقع من نسلهم مما يلحق بهم في الدنيا عيبا، وإن كان قد يقع منهم ما يكون في أمر الآخرة، وفي الحديث: (ما بغت امرأة نبي قط)[3].

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ أي لا تسألني ما ليس لك به علم أنه صواب وإنني أفعله إني أعظك أن تسألني سؤال الجاهل، ولكن سَلْنِي سؤال العالم بي. والوعظ في اللغة: هو الزجر عن القبيح[4]. فكان نداء نوح في قوله : ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ نداء تعظيم لله تعالى على ظن أن ابنه من أهل دينه. وقوله تعالى : ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ نداء تنبيه على أنه ليس من أهل دينه ولا من أهل أن يلطف به.

وفي قوله تعالى :﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ بيان أن نوحاً عليه السلام كان يمكنه أن يستدرك العلم بأن ولده هذا ليس من أهل دينه، إلا أنه

---

(١) أضيفت من الهامش، ومشار لها في المتن.
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٢٦/١٢-٤٢٧) عن مجاهد والحسن. وذكره النحاس في معاني القرآن (٣٥٥/٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (٣٥٥/٣).
والماوردي في النكت والعيون (٤٧٥/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١٩٢/٣).
والخازن في لباب التأويل (٢٣٥/٣) قال: وأكثر المفسرين: إنه ابن نوح من صلبه، وهذا القول هو الصحيح، والقولان الأولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس أنه قال: ما بغت امرأة نبي قط، ولأن الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله : (ونادى نوح ابنه) ونوح ﷺ أيضاً نص عليه بقوله : (يا بني اركب معنا) وهذا نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة لا يجوز.
(٣) هذا القول موقوف على ابن عباس وقد أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٣٠/١٢)، والنووي في كتابه : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١١٧/١٧)، الطبعة : الثالثة ١٣٩٢هـ-الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
والسيوطي في شرح سنن ابن ماجه (١٥٠/١) الناشر: قديمي كتب خانه – كراتشي.
والعراقي في طرح التثريب، فائدة براءة عائشة من الإفك (٦١/٨).
تحقيق/ عبد القادر محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية – ٢٠٠٠م-بيروت.
والمناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٥/٧) الطبعة: الأولى –الناشر: المكتبة التجارية الكبرى-مصر.
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب : وعظ (٤٦٦/٧).
والتعريفات للجرجاني، باب الواو (٣٢٧/١)، والصحاح للجوهري (٣١٧/٤).

ظن به الخير على ما جبل عليه الوالد من محبته لولده، فأخطأ في سؤال ربه خطأً صغيراً ولو لم يمكنه استدراك أنه ليس من أهله لم يعاتب على السؤال عن ذلك.

والأصل في (فَلَا تَسْـَٔلْنِ) إثبات الياء، إلا أن قراءة الأكثرين بحذف الياء لأن الكسرة تقوم مقام الياء وتدل عليها. ومن قرأ (فلا تَسْـأَلَنِّي) بالتشديد وبالياء أي بعين الياء فعلى معنى التأكيد في النهي[1].

قوله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

معناه: قال نوح عليه السلام إني أعوذ أي أمتنع بك أسألك ما ليس لي به علم أنه صواب وأنك تفعله، وإلا تغفر لي خطيئتي هذه –وهي السؤال– وترحمني أكن من الخاسرين بالوزر والعقوبة[2]، ومعنى العياذ بالله: الاعتصام به طلباً للنجاة[3].

قوله عز وجل: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

---

(١) اختلفوا في قوله: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فنافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، بفتح اللام، وتشديد النون، وفتحها منهم ابن كثير، والداجوني عن هشام، ووافقهما ابن محيصن فلا (تَسْـأَلَنَّ) والباقون بإسكان اللام، وتخفيف النون، وكلهم كسر النون، سوى ابن كثير والداجوني كما مر. ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾.
وأثبت الياء فيها وصلاً، أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش، وفي الحالين يعقوب، والوقف لحمزة بالنقل. ينظر: السبعة (٣٣٥/١) والنشر في القراءات العشر (٢٨٩/٢)، والكشف لمكي (١٠٧/٢)، والحجة لابن خالويه (١٨٧/١-١٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٤٨/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٣٧/١٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٤/٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٨/٦).

(٣) ينظر: العين للفراهيدي، باب: عوذ (٢٢٩/٢).
ولسان العرب لابن منظور، باب (عوذ) (٤٩٨/٣).
والنهاية في غريب الأثر لابن أثير، باب: العين مع الواو (٦٠٢/٣).

معناه: قال الله تعالى لنوح عليه السلام: اهبط بتحية منا من السفينة ويقال بسلامة من الآفات، وبركات: أي وخيرات نامية [٣١١/ب] ثابتة عليك وعلى الذين معك من المؤمنين[(١)]، وقوله تعالى : ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي : ستعم عليهم بعدك، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾ أي يصيبهم منا عذاب أليم بكفرهم، قال عبد الله بن عباس : (فهبط نوح عليه السلام ومن معه من الجودي إلى موضع وسموه سوق الثمانين، ولم يكن لأحد منهم نسل إلا نوح عليه السلام وأولاده[(٢)] كما قال الله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[(٣)].

وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: (دخل في السلام والبركة كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في الإمتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة)[(٤)] وفي الآية ما يدل على ما قاله رحمه الله، لأن لفظ الأمم

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٣٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٤٥/٢) والكشف للثعلبي (١٧٣/٥).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٤/٣).

(٢) هذا جزء من الأثر الطويل الذي أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٢/١) عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي عباس وهذا الطريق من أوهى الطرق عن ابن عباس ولهذا فهو ضعيف لضعفه سنده كما مر.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٥٤/٢) من غير نسبه.
وابن كثير في تفسيره (٤٦٣/٢) عن عكرمة عن ابن عباس ولم يعلق عليه الحافظ ابن كثير وكذلك السيوطي في الدر المنثور (٤٣٥/٦) في الأثر الطويل الذي أخرجه من طريق الكلبي عن أبي صالح وعزاه إلى ابن سعد وابن عساكر.
وقد ذكره بعض المفسرين كأبي حيان في البحر المحيط (١٨٤/٥).
وإن عادل في اللباب (٤٨٨/١٠) من غير نسبه.

(٣) سورة الصافات (الآية : ٧٧).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٣٨/١٢)عن محمد بن كعب أيضاً .
وينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٥٥/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٤/٢).
والكشف للزمخشري (٣٧٩/٢).
كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤٤١/٤) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

يدل على الجماعات الكثيرة، ولم يكن مع نوح عليه السلام في السفينة إلا قليل.

قولـه عـز وجـل : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

معناه : تلك القصة التي ذكرتها لك يا محمد من أخبار الأمور الغائبة عنك يُرْسل بها جبريل عليه السلام إليك، ما كنت تعلمها أنت يا محمد ولا قومك قريش من قبل هذا القرآن، وهذا منة من الله تعالى [على] [1] النبي ﷺ بما أنعم عليه به من العلم[2]. وقوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه: فاصبر على أذى الكفار كما صبر نوح عليه السلام على أذاهم، وإن العاقبة للمتقين كما كانت لنوح عليه السلام[3].

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

معناه: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هود في النسب[4]، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده دون الأصنام، فإنها ليست بآلهة، وما أنتم إلا كاذبون في قولكم آلهة[1].

---

(١) أضيفت من الهامش لأنه مشار لها في المتن وبحط الأصل.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٤١).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٤٠)
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٥٤-١٥٥).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٣٦).
(٣) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٧٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٢٧).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١١٧).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٤١).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٧٤).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٢٨) والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٩٤).

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾.

معنـاه :يـا قـوم لا أسـألكم علـى مـا أؤدي إلـيكم مـن الرسـالة مـالاً فتفهموني أني أبتغي بذلك اكتساب مال أو تخشون أني أسألكم غرماً في مـالكم[٢]. وقولــه تعــالى : ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾ أي مــا ثــوابي إلا علــى الــذي ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ إن الأمر على ما أقوله، وأصل الفطر: الشق، ويسمى الخلق الفَطْرَ لأنه يظهر به المخلوق كماي يظهر الشيء بالشق، يقال: فطر ناب البعيد إذا ظهر بالشق[٤].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ ﴾.

معناه : ويا قوم استغفروا ربكم من الكفر والذنوب ثم ارجعوا إليه بالعزم والندم على ترك العود في الذنوب يرسل السماء عليكم بالمطر داراً

ولباب التأويل للخازن (٢٣٧/٣).
وتفسير السعدي (٣٨٣/١).
(١) ينظر : جامع البيان للطبري (٤٤٣/١٢).
والكشف والبيان (المرجع السابق) والكشاف للزمخشري (٣٨٠/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١١٧/٤).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٤٣/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٥/٢).
وتفسير السعدي (٣٨٣/١).
(٣) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٥٦/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٨/٣).
(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب : فطر (٥٥/٥).
وتاج العروس للزبيدي، باب : فطر (٣٢٥/١٣).

متواتراً ويزدكم قوة في أبدانكم وأموالكم إلى قوتكم التي لكم ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه مذنبين[1]؛ روي أن القوم كان أصابهم جدب وحبُسَ عنهم المطر ثلاث سنين ولم تلد امرأة منهم في ثلاث سنين[2]. وعن مقاتل رحمه الله أنه قال : (كان انقطع عنهم السيل ثلاثمائة وخمسين سنة). وأمَّا المدرار فهو مفعال من الدُّرَرَ، والمفعال للمبالغة، وقد تذكر السماء بمعنى المطر كما يقال: أخذتنا السماء وأقلعت السماء[3].

قوله عز وجل : ﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

معناه : قالوا لهود عليه السلام ما جئتنا بحجة، وكان جاءهم بمعجزة إلا أنهم لم يعتقدوها حجة، وهذا كأحد الخصمين يقيم على صاحبه أعظم الحجة فيجحد خصمه أن يكون ذلك حجة عنده. وقوله تعالى : ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا﴾ أي بتاركي عبادة آلهتنا بقولك وما نحن لك بمصدقين فيما تقول[4]، وفي هذا بيان أن القوم كانوا معاندين لأن هود عليه السلام ما دعاهم إلى التوحيد بمجرد قوله لكن أقام عليهم دلالة التوحيد بما تقدم ذكره ثم إنهم سموا آلهة أصنامهم.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٤٣/١٢) وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٥/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٧/٣) وتفسير السعدي (٣٨٣/١).
(٢) ذكره مقاتل بن سليمان (١٢١/٢) والماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٤٣/٦).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٧٤/٥)، والواحدي في الوجيز (٥٢٣/١).
وابن عطية في المحرر الوجيز (١٧٤/٣).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٢/٤)، إلى ابن عساكر والضحاك.
(٣) ينظر: العين للفراهيدي، باب الدال والراء والميم (٣٩/٨).
ومعاني القرآن للزجاج (٥٧/٣).
والدر المصون (٣٤١/٦)، واللباب لابن عادل (٥٠٦/١٠).
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٤٦/١٢)
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٣/٦)
والكشف والبيان للثعلبي (١٧٤/٥).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٦/٣).

قولـه عـز وجـل : ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾.

معناه : قالوا: ما نقول فيك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بجنون فخبل عقلك بسبك إياها[1]، فكأن القوم يعلمون وكل عاقل يعلم أن الذي يعقل ويميز لو أراد أن يصيب غيره بجنون لم يقدر على ذلك فكيف تقدر الأصنام التي لا عقل لها ولا تمييز ؟! والإعتراء : [٣١٢/أ] افتعال من عراه يعوره إذا مسه وأصابه[2].

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ ﴾ تعالى على نفسي وأشهدوا أنتم أيضاً أني بريء مما تشركون مع الله تعالى في العبادة، ولم يكن إشهاده إياهم للاحتجاج بقولهم ولكن إنما كان للاحتجاج عليهم، وقوله تعالى : ﴿ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ﴾ معناه : إن قدرتم أنتم وآلهتكم على قتلي أو على إنزال السوء بي، فافعلوا ولا تهملوني للفرار طرفة عين، ولم يقل هذا على جهة الأمر لهم، وإنما قال لبيان عجزهم، وهذا أحد معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم أن يأتي نبي وحده وأمته كلهم متعاونون على قتله وإنزال المكروه به، فلا يستطيع أحد مهم ضُرَّه[3] وهو كما ذكرنا في قصة نوح عليه السلام : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٦/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٥٧/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٣/٦-١٤٤).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧٤/٥).
والوجيز للواحدي (٥٢٣/١).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٤/١٥).
وتهذيب اللغة للأزهري (٩٨/٣).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٤٣/٦).
واللباب لابن عادل (٥٠٧/١٠).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٥٨/٣) وينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥٦/٢).
والكشاف للزمخشري (٣٨٢/٢).

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٦٥-٤٦٦).

(١) سورة يونس، الآية : ٧١.

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾.

معناه: إني فوضت أمري إلى الله تعالى خالقي وخالقكم متمسكاً بطاعته وتاركاً لمعصيته[1] وهذا هو حقيقة التوكل على الله تعالى، وهو قوله تعالى : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾أي ما من أحد إلا وهو في قهر الله تعالى وتحت قدرته وإنما جعل الأخذ بالناصية كناية عن ذلك، لأنك إذا أخذت بناصية غيرك فقد قهرته وأذللته[2]، والناصية مقدم شعر الرأس[3].

وقول تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾أي إن ربي مع كونه قاهراً على صراط مستقيم، أي هو في تدبير عباده ولا يفعل إلا الحق فإنه عادل لا يجوز[4]، يقال معناه : إن طريق العباد إلى الله[1] تعالى كما قال جل ذكره: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٤٩).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٤٤).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٥٦).
(٢) ينظر: جامع البيان (المرجع السابق).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٧٤).
والوجيز للواحدي (١/٥٢٤).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٩٦).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٢٩).
والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٣٤٤).
(٣) ينظر: العين للفراهيدي (٧/١٥٩).
ولسان العرب (نصا) (١٥/٣٢٧).
وتاج العروس (نصو) (٤٠/٩٠).
(٤) ينظر: تفسير مقاتل (٢/١٢٢).
وجامع البيان للطبري (١٢/٤٥١).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٥٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٥٦).

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

معناه : فإن توليتم عن الإيمان فما توليكم لتقصير مني في إبلاع الرسالة ولكن لسوء اختياركم[٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أي يهلكم بعذاب الاستئصال، ويستخلف بعد هلاككم قوماً غيركم أطوع منكم. وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾أي لا تقدرون على أن تنقصوا شيئاً من ملكه وهو سبحانه لا يجوز عليه المضار[٤]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ أي شاهداً على أعمال العباد للمجازاة لا يخفى عليه شيء منها، ويقال: هو حافظ لكل أحد يحفظ من شاء متىشاء ويهلك من شاء متى شاء[٥].

والكشف والبيان للثعلبي (١٧٥/٥).

(١) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (٤٧٨/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧٨/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٦٥/٦).
وتفسير النيسابوري (٣٢/٤).

(٢) سورة الفجر، الآية : ١٤.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٧/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٨٣/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥١/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٣/٦-١٤٤).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٦/٦).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٧/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٨/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٥٩/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧٥/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٩/٣).
واللباب لابن عادل (٥١٠/١٠).

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

معناه : ولما جاء أمرنا بعقاب قوم هود عليه السلام بالريح العقيم نجينا هوداً عليه السلام والمؤمنين رحمهم الله من ذلك العقاب رحمة منا إن ذلك العذاب إنما لم يصب المؤمنين برحمة الله تعالى عليهم[١]، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يحتمل أن يكون المراد به أن نجاهم من الريح العقيم، إلا أن الله أعاد ذكر النجاة للتأكيد، وتفخيم الحال، ويحتمل أن يكون معناه:كما نَجَّا المؤمنين مما عذب به عاد في الدنيا فكذلك نجيناهم من عذاب الآخرة[٢]، وسماه غليظاً؛ لعظمه.

قوله عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾.

معناه : إن قوم هود عليه السلام كذبوا بدلائل الله تعالى الدالة على وحدانيته وصدق أنبيائه عليهم السلام، وعصوا هوداً عليه السلام ومن قبله ومن بعده عليهم السلام، لأنه عليه السلام أرسل بتصديق من قبله وبالبشارة لمن بعده، فلما كذبوه فقد كذبوا الرسل كلهم[٣]، ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ

والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٤/١١).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٨/٣-٥٩).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٦/٦).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٧/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٠/٤)ز
ولباب التأويل للخازن (٢٣٨/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٥٩/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٢٩/٣).

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٦/٦/١٤٧).
والمحرر الوجيز لابن عطية (١٩٧/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٨/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٦/٣).

جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾أي عاتٍ طاغٍ معرض عن الله تعالى، والجبار: الذي يجبر الناس على ما يريد حتى أنه يقتل على الغضب[١]، والعنيد: الذي لا يلتفت إلى الحجة[٢].

وقوله تعالى : ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ أي اتبعوا في هذه الدنيا بعد الإهلاك الإبعاد عن الرحمة، فإن الله تعالى أبعدهم من رحمته وتعبَّد المؤمنين بالدعاء عليهم، فلعنهم الناس والملائكة ما دامت الدنيا[٣]. وقوله تعالى : ﴿ويوم القيامة﴾ معناه : ويوم القيامة يبعدون من رحمة الله تعالى كما أبعدوا في الدنيا، وقوله تعالى : ﴿ألا إن عاداً﴾ ابتداء كلام في معنى التنبيه [٤]، أي إنهم جحدوا بربهم فأبعدهم الله تعالى من رحمته إبعاداً، وذِكْرُ لفظ البعد كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [٥] . وفي هذا تهديد الكفار كأنه [٣١٢/ب] قال عز من قائل : انظروا يا أهل مكة كيف فعلت عاد، وكيف فعل بهم، واحذروا أن يصيبكم ما أصابهم[٦].

ويجوز أن يكون قوله تعالى : ﴿ويوم القيامة﴾ ابتداء وخبره (ألا إن عاداً ﴾ معناه: ينادي منادٍ يوم القيامة لإظهار حالهم[٧] فيقول : (ألا إن عاداً

---

(١) ينظر: العين للفراهيدي (١١٧/٦).
والنهاية في غريب الحديث والأثر، باب الجيم مع الباء (٦٧١/١).
وتاج العروس للزبيدي، جبر (٣٥٦/١٠).
(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦٠/٣).
ولسان العرب لابن منظور، باب: عند (٣٠٧/٣).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٢/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٧/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦٦/٢).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٦/١١).
(٥) سورة نوح، الآية : ١٧.
(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٧/٢) والكشاف للزمخشري (٣٨٣/٢).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٦/١١).
(٧) بحر العلوم للسمرقندي (١٥٧/٢)، وهذا معنى بعيد لأن يوم ظرف زمان معطوف على محل هذه ومحلها النصب ينظر: المجني من مشكل إعراب القرآن للخراط (٤٧٢/٢)، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف المدينة المنورة.

كفروا ربهم) كما ورد في الحديث : (يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان) [١] قال الضحاك رحمه الله: (يرفع لعادٍ راية الغدر، فينادى منادٍ: هذه غدرة قوم عاد فتلعنهم الملائكة وجميع الخلق) [٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

معناه :وأرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحاً [٣]. وقوله تعالى : : ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ قد سبق تفسيره(وإنما ابتدأت الرسل عليهم السلام بالدعاء إلى توحيد الله تعالى؛ لأن العلم بالنبوة والشريعة لا يصح إلا بعد العلم بالله تعالى[٤].

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي أنشأناكم من الأرض وهم كانوا لأبيهم كما قال عز وجل في آية أخرى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر واللفظ لمسلم مختصراً. ينظر: البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر الفاجر حديث رقم (٣٠١٦) (١١٦٤/٣) بلفظ : (لكل غادر لواء ينصب بغدرته).
ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب : تحريم الغدر ، حديث رقم (٤٦٢٧) بلفظ : (إذا اجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان).
وتحفة الأشراف بمعرفة ا لأطراف للمزي (٦/٨) تحقيق/ عبد الصمد شرف الدين، طبعة : المكتب الإسلامي، والدار القيمة، الطبعة: الثانية – ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٥٧/٢).
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣٨٩/1).
وينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٨/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٨/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٣٩/٣).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٨/٦).

تُرَابٍ ﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ أي أراد أن تكونوا عمَّار الأرض وسكانها فمكنكم من عمارتها وأحوجكم إلى السكنى فيها[2]، وقال مجاهد رحمه الله: معناه: اعمرها لكم: أي (جعلها لكم مدة أعماركم)[3] من العُمْري، وهي الهبة التي يهبها الرجل لغيره على أن تكون للموهوب له مدة حياته ثم ترجع إلى الواهب[4].

وقوله تعالى : ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ أي استغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة، إنه قريب ممن تقرب إليه، مجيب لمن دعاه وأطاعه[5]، وأراد بالقرب: الإسراع في الرحمة والإجابة لاقرب المسافة.

قوله عز وجل : ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾.

معناه : قد كنا يا صالح نرجوا فيك الخير قبل هذا اليوم لما كان فيك من الأخلاق الحسنة والشمائل المرضية، والآن إن دعوتنا إلى غير دين آبائنا نسينا منك[6].﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ الألف: ألف الاستفهام

---

(١) سورة غافر، الآية : ٦٧.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٣/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٤٩/٦). والكشف والبيان للثعلبي (١٧٦/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٤٧٨/٢).
(٣) ينظر: تفسير مجاهد (٣٠٦/١) وجامع البيان للطبري (٤٥٣/١٢). وتفسير ابن أبي حاتم (٢٠٢/٨) والكشف والبيان للثعلبي (١٧٦/٥).
(٤) ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الجزري، باب العين مع الميم (٥٦٧/٣). والتعريفات للجرجاني، باب: العين (٢٠٣/١). والقاموس الفقهي، باب العين (٢٦٢/١). وأنيس الفقهاء للقونوي، كتاب الهبة (٢٥٦/١) تحقيق/ أحمد عبد الرزاق الكبيسي، الطبعة : الأولى ١٤٠٦هـ-الناشر: دار الوفاء – جدة.
(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٣/١٢). وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٨/٢). وتفسير السعدي (٣٨٤/١).
(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٤/١٢).

بمعنى الإنكار[1]؛ كأنهم أنكروا أن يُنْهَى الإنسان عن عبادة ما عبد أبوه.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ ﴾ أي لو جئناك إلى ما تدعونا إليه لجئناك على شك ظاهر فإنا لا نعلم صدقك فيما تقول.

قولـه عـز وجـل : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾.

معناه: قال يا قوم أخبروني إن كنت على برهان وحجة من ربي، وآتاني منه نعمة وهي النبوة، فمن يمنع عذاب الله عني إن عصيته مع نعمته علي، فما تزيدونني إن عصيت الله في إتباع دين آبائكم إلا خسران الدنيا والآخرة.

ويقول: تزيدونني إلا تخسيراً بقولكم، من قولهم كَفَّرتُ وفَسَّقْتُهُ وظلمته إذا وصفته بذلك ونسبته إليه.

ويقول: ما تزيدونني فيما تعتذروا من إتباعكم دين آبائكم إلا تخسيراً فيكم، أي:ما تزدادون إلا خساراً، فأزداد حينئذٍ بصيرة في خسارتكم[2].

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾.

والكشاف للزمخشري (٣٨٥/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٦٨/٦).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٣٩/٥).
وتفسير السعدي (٣٨٤/١).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٣/١١).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨٩/١١).
وفتح القدير للشوكاني (٧٣٣/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٥/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٧٦/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧٩/٢-٤٨٠).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٣/١١).

معناه: أن صالحاً عليه السلام قال لهم: يا قوم هذه ناقة الله لكم دلالة ومعجزة على صدق قولي حيث أخرجها لكم [بإذن الله تعالى][1] ناقة من صخرة ملساء كما سألتم، وذلك أنهم سألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة أشاروا إليها، فأمره الله تعالى حتى جمعهم إلى تلك الصخرة ثم دعا الله تعالى، فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الناقة ثم خرجت منها ناقة على الصفة التي أرادوا[2].

وقوله تعالى : ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ معناه: فاتركوها ترتع في أرض الحجر من نبات الأرض، ليس عليكم من مئونتها شيء، ولا تمسوها بضرر يؤدي إلى إهلاكها، فإنكم إن عقرتموها أصابكم عذاب عاجل لا مدة له إلا ثلاثة أيام[3].

قوله عز وجل : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾.

معناه: فقتلوها، والعَقْر : قطع عضو له [ما يبراقه][4] في النفس، وإنما قتلوها لأن صالحاً عليه السلام، كان قد قسم الماء والمرعى بينها وبينهم، فجعل ذلك كله يوماً لها ويوماً لهم ولدوابهم وأغنامهم فكانت في اليوم الذي كان نوبتها إذا رعت نفرت دوابهم عنها لعظمها فضاقت عليهم

---

(١) أضيف من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن.
(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣٤٩/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٩/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣١/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٤/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٤٠/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٧/٢).
(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٥٩/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٧٧/٥).
(٤) هكذا في النسختين ولم أقف على معناها. ولمعنى:العَقْر، ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب: عقر (٥٩١/٤) والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري، باب العين مع القاف (٥٩/٣)، وتاج العروس للزبيدي، باب: ع-ق-ر (١٠٢/١٣).

المراعي والمياه فقتلوها وقسموا لحمها على ألف وخمسة [٣١٣/ب] دار[١].

وقوله تعالى: ﴿تمتعوا﴾ معناه: قال لهم صالح عليه السلام بعد قتلها: امكثوا في بلادكم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع، قالوا: ما علامة العذاب ؟ قال: أنتصبحوا في اليوم الأول ووجوهكم مُصفَرَّة، وتصبحوا في اليوم الثاني ووجوهكم مُحمَرَّة، وتصبحوا في اليوم الثالث ووجوهكم مُسْوَدَّة ثم يأتيكم العذاب بعد ذلك، فرأوا هذه العلامات في الأيام الثلاثة ثم أتاهم العذاب من بعد[٢].

قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾.

معناه: فلما أمرنا [بالعذاب][٣] نجينا صالحاً من ذلك العذاب ونجينا الذين آمنوا برحمة منا. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ﴾ والخزي هو الذل الذي استحيا منه[٤]، وهو ما نزل بهم في كل يوم علامة الأشقياء كما روي (أنهم لما أصبحوا في اليوم كان إذا رأى أحدهم صاحبه قال له قد اصفر وجهك، فلما أصبحوا في اليوم الثاني قال بعضهم لبعض مالك قد أحمر وجهك وكذلك في اليوم الثالث[٥].

---

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥٩/٢).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٥٦/١٢) عن قتادة.
ومعاني القرآن للزجاج (٣١٥/٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٦/٨) عن قتادة وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥١/٦).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٤٢٢/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٥/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٥/١١).
ولباب التأويل للخازن (٥٤٠/٣).
(٣) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن وهي مثبتة في (ب).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٢/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٤٠/٣).
وتفسير السعدي (٣٨٥/١).
(٥) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٤٤/١).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي هو القادر على أخذ أعدائه، العزيز المنتقم ممن عصاه[1].

قولــــه عـــز وجـــل : ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

معناه: وأخذ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وقيل الناقة[2]، الصيحة. وروي أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة هائلة عند صباح اليوم الرابع لم تحتملها قلوبهم فهلكوا منها[3].

وقال خلق الله صيحة في خلق بعض الحيوانات[4]، والصيحة هي الصراخ يكون في خلق الحيوان[5]، وإنما ذكر في هذه الآية : ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ ، وقال في آية أخرى : ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾[6]. لأن الصيحة والصياح واحد فرد الكناية مرة إلى الصياح ومرة إلى الصيحة[7]. وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ ﴾ أي في منازلهم ميتين قد همدوا رماداً جثوماً على الركب. ويقال: أصبحوا في بلادهم واقفين على

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١٦٠/٢).
(٢) يشير إلى معنى: ظلموا، وهي إما أن تكون ظلموا أنفسهم أو ظلموا الناقة. ولم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع من ذكر ذلك.
(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٠/٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٧/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦١/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٠/٢).
والوجيز للواحدي (٥٣٢/١).
(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٨٠/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣).
(٥)ينظر: لسان العرب لابن منظور ، باب : صيح (٥٢١/٢).
وتهذيب اللغة للأزهري (١٠٩/٥).
ومختار الصحاح للجوهري، باب الصاد (٢٧٥/١).
(٦) سورة هود، الآية : ٩٤.
(٧) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣).
وإملاء ما من به الرحمن للعكبري (٤١/٢).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٥٠/٦).
واللباب لابن عادل (٥١٧/١٠).

وجوههم في الطرق[1] وَ سمّى بلادهم دياراً لأنها كانت تجمعهم كما تجمع الدار أهلها.

وقوله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ ﴾ أي كأن لم يكونوا في الأرض قط[2]. وقوله تعالى :﴿ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡ ﴾. وقوله تعالى : ﴿ أَلَا بُعۡدًا لِّثَمُودَ ﴾ معناه:ألا أبعدهم الله من رحمته إبعاداً [3]، وقد قُرئ (لثمودَ)وقد قُرئ (لثمودٍ) بالكسر والتنوين لقربها من قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡ ﴾ وهو مكتوب بالألف في مصحف الإمام عثمان بن -عفان رضي الله عنه- ومن صرف ثموداً جعله اسماً للحي ومن لم يصرفه جعله اسماً للقبيلة[4].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ۝٦٩ ﴾.

قال بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن جبريل عليه السلام ومعه اثنا عشر ملكاً عليهم السلام جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام ليبشروه

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٢/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨١/٢-٤٨٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٧/١١).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦٥/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٣/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٩/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨١/٢).
(٣) تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (المرجع السابق).
(٤) اختلفوا في "ألا إن ثمودا" في هود والفرقان والعنكبوت وفي النجم. فحفص وحمزة وكذا وكذا يعقوب بغير تنوين في الأربعة للعلمية والتأنيث على إرادة القبيلة ويقفون بلا ألف كما جاء نصًّا عنهم، وإن كانت مرسومة، وافقهم الحسن، وقرأ أبو بكر كذلك في النجم فقط، والباقون بالتنوين مصروفاً على إرادة الحي. واختلف في (ألا بعداً لثمود) فالكسائي، بكسر الدال مع التنوين وافقه الأعمش. والباقون بغير تنوين مع فتحها.
ينظر: السبعة (٣٣٧/١) والنشر في القراءات العشر (٢٨٩/٢-٢٩٠).
والكشف لمكي (١٠٨/٢) والحجة لابن خالويه (١٨٨/١).
وإتحاف فضلاء البشر (٥٠/٢).

بإسحاق من زوجته سارة، فلما دخلوا عليه قالوا سلاماً أي سلموا عليه سلاماً [1]. ويقال قالوا نسلم سلاماً وهذا نُصِبَ على المصدر[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي أجابهم إبراهيم بأن عليكم السلام[3]، وإنما لم يقل عليكم سلاماً بالنصب؛ لأنه لو قال ذلك لكان يتوهم أن إبراهيم عليه السلام حكى قول الملائكة أنكم سلمتم سلاماً فخالف بينهما ليكون قوله جواباً لهم[4]. ومن قرأ (سِلْم) بكسر السين والسِّلْم والسَّلْم بمعنى واحد كَجِلّ وجَلال، وحَرُم وحرام ويجوز أن يكون السلام من المسالمة[5].

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ معناه: فما مكث إبراهيم عليه السلام أن جاء بعجل حينئذ أي محنوذ مشوي، فالحنذ أن يخد له في الأرض خَدٌّ فيشوى فيه حتى يقطر عرقاً. يقال: حنذت الفرس، إذا ألقيت الجُلَّ وتركته ليعرق[6].

---

(١) قول ابن عباس ذكره كثير من المفسرين غير مسند.
وينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٠/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٢/٢) عن أبي صالح عن ابن عباس.
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣) عن مقاتل.
وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٧/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٤١/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٦٠/٣) وإعراب القرآن للنحاس (٤٢٣/١).
والكشاف للزمخشري (٣٨٦/٢).
وإملاء ما من به الرحمن للعكبري (٤٢/٢).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩٤/١١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦٦/٤١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (٤٨٢/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٢/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٤٢/٣).

(٥) واختُلِفَ في (قال سلامٌ) هنا وفي الذرايات [الآية: ٢٥].
فحمزة، والكسائي، بكسر السين وسكون بلا ألف فيهما (سِلْم) وقرأ الباقون وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف، بفتح السين واللام، وبألف بعدها فيهما، وهما لغتان (حِلّ وحلَال، وحَرِم وحرَام) وخرج بقيد (قال) (قالوا سلاماً) اتفق عليه.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٩٠/٢).
والكشف لمكي (١٠٨/٢-١٠٩) والحجة لابن خالويه (١٨٩/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥١/٢).

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٦٧/٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٦١/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦١/٢).

[الجُلّ بالضم واحد جلا الرواب والجمع أجل](1) وقال مقاتل رحمه الله: (إنما جاءهم بالعجل لأنه كان أكثر ماله البقر ولم يجد في تلك الساعة إلا العجل)(2).

قال الحسن –رضي الله عنه– :إنما جاءهم أوهَمّ عليه السلام بالطعام لأنهم جاؤه على صورة الآدميين على هيئة الأضياف فإنه لم يكن شيء أحب إليه من الضيفان، فجاؤه على أحب الوجوه إليه، وإلا فلو جاءوه على صورة الملائكة ما كان يقدم إليهم ذلك لعلمه باستغناء الملائكة عن الطعام(3)، وفي الآية بيان أن السلام تحية أهل الإسلام وأن الملائكة تحيي بالسلام(4).

[٣١٣/ب] قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٢/٣).

(1) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن ومثبتة في (ب).
والجُلّ: تُلْبَسُهُ الدابة لتصان به، وجمع الجلال أجلة.
ينظر : لسان العرب لابن منظور، جلل (١١٦/١١).
وتاج العروس للزبيدي، ج-ل-ل (٢١٩/٢٨)

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٥/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦١/٢).
والكشاف للزمخشري (٣٨٧/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٩/١١).

(3) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من نسب هذا القول للحسن -رضي الله عنه- وإنما أشار إليه كثير من المفسرين من غيره نسبه.
ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٤/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٢٨/٤).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٧٣/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٤١/٣).
وأضواء البيان للشنقيطي (١٨٦/٢).

(4) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٢/٣).

معناه : أن إبراهيم عليه السلام لما وضع الطعام بين أيديهم فرآهم لا يمدون إليه أيديهم أنكرهم أضمر في نفسه خوفاً منهم. وإن إبراهيم -عليه السلام -كان ينزل على طرق من الناس، وكان أهل ذلك الزمان إذا لم يأكل بعضهم طعام بعض [خافوا] [١] من غائلته، فلما علمت الملائكة خوفه منهم، قالوا لا تخف منا يا إبراهيم فإن الله تعالى أرسلنا إلى قوم لوط عليه السلام ليهلكهم[٢].

وقوله تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ ﴾ معناه: وامرأته سارة كانت قائمة على رؤوسهم بالخدمة، ويقال: كانت قائمة من وراء الستر في حال محاورة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة[٣].

---

(١) أضيف من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن ومثبتة في (ب)
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٧١-٤٧٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٥٥).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٦٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٦١).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٨٧).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٩).
(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٣٧٢-٣٧٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٥٥-١٥٦).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٣٣).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٨٨).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٢٩).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٦٤).

وقوله : (فضحكت) معناه : قيل : ضحكت من سرورها بالسلام فزادها بشارة بإسحاق عليه السلام[١]. وقال السدي -رحمه الله-[٢]: وذلك أن إبراهيم عليه السلام قال لهم: ألا تأكلون ؟ قالوا: إنا قوم لا نأكل إلا بثمن. قال: كلوا وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: أن تذكروا اسم الله تعالى في أوله وتحمدوه في آخره.

فنظر جبريل عليه السلام إلى من معه من الملائكة عليهم السلام فقال: حق لهذا أن اتخذه الله خليلاً ! فضحكت امرأته وقالت: عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا) [٣].

ومعنى قول الملاكة: لا نأكل إلا بثمن، لو كنا ممن نأكل فإنا لم نأكل إلا بثمن إلا على هذا الحد، ويقال: إنما ضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط عليه السلام وقد جاءتهم الملائكة بالعذاب[٤].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧١/٢).
وجامع البيان للطبري (٤٧٢/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٦/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٥/٢).

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، كان يقعد في سدة الجامع فسمي السدي، وإذا أطلق في كتب التفسير فهو السدي الكبير وهو ثقة ومقبول عند العلماء. وهو صاحب التفسير.
أما السدي الصغير فهو محمد بن مروان صاحب الكلبي، كذبه أصحاب الحديث وتركوه- روى عن السدي الكبير أسباط بن نصر الهمداني، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما في تفاسيرهم تفسير السدي مفرقاً في السور من طريق أسباط بن نصر، قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: ا لسدي ثقة، وقال البخاري: قال لنا مسد (حدثنا يحيى قال: سمعت ابن أبي خالد يعني إسماعيل يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، توفي بالمغرب سنة إحدى وثمانين ومائتين.
ينظر: تهذيب الكمال للمزي، باب : من اسمه إسماعيل (١٣٤/٣-١٣٥).
وتهذيب التهذيب لابن حجر، باب الألف (٣٠٨/٣) وإكمال الكمال (٥٦٩/٤).

(٣) أخرجه نحوه ابن جرير الطبري بسنده عن أسباط بن نصر عن السدي (٤٧٣/١٢) وفيه أسباط بن نصر لم يتفقوا عليه فمن العلماء من ضعفه ومنه من وثقه، إلا أن من العلماء من يرى أن تفسير السدي الكبير من أمثل التفاسير. =

= ينظر: تهذيب الكمال (٣٥٧/٢) والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد أبو شهبه (١٥٠/١).
كما أورد نحوه الثعلبي في الكشف والبيان (١٧٨/٥)عن السدي أيضاً .
والبغوي في معالم التنزيل (١٣٣/٣) عن السدي.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/١١) وعزاه للطبري.
والخازن في لباب التأويل (٢٤١/٣)عن السدي أيضاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٠/٤) إلى ابن المنذر.

وفي بعض الروايات : (أنها كانت قالت لإبراهيم عليه السلام:أضْمم لوطا عليه السلام ابن أخيك إليك فإن القوم سينزل بهم العذاب، فلما أن جاء الأمر على ما توهمت ضحكت[1].

وقيل : "فضحكت" يعني حاضت، يقال: ضحكت الأرنب: إذا حاضت، وضحك البلح إذا سَال ماؤه[2].

وقيل في الآية تقديم، معناه:فبشرناها بإسحاق نبياً ونبوة يعقوب بعده من ذريته، وفي ذلك بشارة لها أنها تلد إسحاق، وتعيش إلى أن ترى ولد ولدها فضحكت لذلك[3].

---

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٧٨/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦١/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٥/٢) وعزاه لقتادة.

(١) معاني القرآن للزجاج (٦١/٣-٦٢).
وينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦٤/٣).
والكشاف للزمخشري (٣٨٨/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٣١/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٤/١١).

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن (١٧١/٢) قال: وأما قوله : (فضحكت) : حاضت فلم نسمعه من ثقة، كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٧٦/١٢).
=

= عن مجاهد. وفي سنده علي بن هارون مجهول، وبقية بن الوليد يروى عن المجهولين. قال عنه الإمام أحمد: إذا حدث عن قوم ليسوا بمعروفين فلا تقبلوا منه) ولذلك فهو ضعيف لضعف إسناده بنظر: رجال الطبري (٧٢/١)، وذكره الزجاج في معاني القرآن (٦٢/٣) قال: فأما من قال : ضحكت: حاضت فليس بشيء، والماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٥٦/٦) ونسبه لابن عباس وعكرمة.
والسمرقندي في بحر العلوم (١٦١/٢) عن عكرمة.
والماوردي في النكت والعيون (٤٨٤/٢) عن مجاهد.
والخازن في لباب التأويل (٢٤٢/٣) عن عكرمة ومجاهد.

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن (١٧١/٢) ولم يجزم به.
والنحاس في معاني القرآن نقلاً عن الفراء (٣٦٤/٣) وقد أنكره وقال: ولا يصح لأن التقديم والتأخير لا يكون في الفاء.
والماتريدي (المرجع السابق).
والسمرقندي (المرجع السابق).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦٤/١١).

والأظهر في نظم الآية أنها إنما ضحكت لأمر كان قبل أن بشرت بالولد[١]، وفي قوله تعالى : ﴿يَعۡقُوبَ﴾ قراءتان[٢] من قرأ بالنصب فعلى معنى: وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، وقال الزجاج: لا يجوز أن يكون ذلك في موضع خفض على معنى فبشرناها بإسحاق ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب. وقال الزجاج: لا يجوز أن يكون ذلك في واو العطف إلا بإعادة حرف الجر، لأنه لا يجوز أن يقول: مررت بزيد في الدار أو البيت وعمرو حتى يقول وبعمروٍ بحرف واو العطف[٣]. ومن قرأ بالعطف بالرفع فعلى معنى ويحدث لها من وراء إسحاق يعقوب.

وقوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ ﴾ [لا يجوز أن][٤] يكون على جهة الإنكار فإن (يا ويلتا) كلمة تستعملها النساء عند وقوع أمر فظيع، فاستعملتها في هذا الموضع على جهة التعجب[٥]. ولهذا قالت ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ إنما تعجبت من الطبع البشرية قبل التفكر والرؤية،

---

(١) وهو ما رجحه كثير من العلماء.

(٢) اختلفوا في فتح الباء وضمها من قوله : (من وراء إسحق يعقوبَ) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بالرفع ومن وراء إسحق يعقوبُ) وقرأ ابن عامر وحمزة بالنصب يعقوبَ) واخْتُلِفَ عن عاصم فروى عنه أبو بكر بالرفع وروى عنه حفص بالنصب.
ينظر: السبعة (٣٣٣٨/١)، والنشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢).
والكشف لمكي (١٠٩/٢) والحجة لابن خالوية (١٨٩/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٢/٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٦٢/٣) بتصرف من المصنف رحمه الله.

(٤) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن.

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٤٨٤/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٧/٦) ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٣/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦٤/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٤٢/٣).

كما ولى موسى عليه السلام مدبراً حين صارت عصاه حية حتى قيل له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾[(١)].

قال ابن عباس –رضي الله عنه- : (كانت سارة بنت ثمانٍ وتسعين سنة، وكان زوجها عليه السلام ابن تسع وتسعين سنة فلما بُشِّرت بالولد وكان ذلك خارجاً من العادة تعجبت أن يكون بين شيخين كبيرين ولداً)[(٢)].

وأما قوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ فمعناه : هذا الذي تعرفونه بعلي، ثم قالت: شيخاً أو انتبهوا له في حال شيخوخته، وعن هذا قيل: إن قوله تعالى (شيخاً) ضرِبَ على الحال، وقال الزجاج: لا يجوز أن يقول لمن لا يعرف زيداً : هذا زيد قائماً، أي إئته في حال قيامه، أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه لأن هذا إشارة إلى ما حضر وفيه إضمار الفعل[(٣)].

وذهب الكوفيين إلى أن قوله تعالى : ﴿شَيْخًا﴾ نصب على القطع عن المعرفة إلى النكرة كما يقال:خرج زيد راكباً[(٤)].

---

(١) سورة القصص، الآية : ٣١.
وينظر لهذا المعنى: أحكام القرآن للجصاص (٢٤٢/٣).

(٢) ذكر هذا المعنى: الفراء في معاني القرآن (١٧٢/٢) غير منسوب، والنحاس في معاني القرآن (٣٦٥/٣) ونسبه للفراء-والسمرقندي في بحر العلوم (١٦٢/٢) عن الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٢/٤) عن أبي صالح عن ابن عباس.
والفيروز آبادي في تنوير المقباس (٢٣٩/١).
قلت: والأقوال في ذلك متفاوتة كما ذكرها ابن الجوزي في (المرجع السابق) ولم يحدده القرآن لنا، والمهم منه أنها كانت في سن خارج عن العادة التي يحمل فيها النساء.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٦٤/٣).
وينظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٣٥٧/٦) قال: والمشهور فيه أنه حال، والعامل فيه إما التنبيه وإمَّا الإشارة (انتهى كلامه).
وإملاء ما من به الرحمن للعكبري (٤٢/٢).

(٤) ينظر:الجُمَّل في النحو للفراهيدي، مسألة: والنصب من القطع (٦٧/١).
تحقيق/ د/ فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥م (ب-ذ-م-ط) والأصول في النحو لابن السراج-مسائل في المعرفة والنكرة- (١٥٠/١).

قوله عز وجل : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾.

معناه: قالت لها الملائكة: أتعجبن من قدرة الله تعالى وأنت عارفة بأن الله تعالى قادر على كل شيء، قال السدي رحمه الله: أخذ جبريل عليه السلام عوداً يابساً فدلكه بين أصبعيه فإذا هو أخضر يهتز [٣١٤/أ] فعرفت أنه من الله تعالى[١].

وقوله تعالى : ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ معناه: نعمة الله عليكم في الدين والدنيا وخيراته التامَّة عليكم يا أهل البيت بيت إبراهيم عليه السلام[٢]، ويجوز أنهم قالوا ذلك على جهة التحية[٣]، ويجوز أن يكون ذلك خبراً عن الله تعالى عليهم[٤].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ أي حامد لأعمالكم. وقوله تعالى : ﴿مَّجِيدٞ﴾ أي كريم يكرمكم بالنعم[٥]، والكريم الذي يبتدئ بالنعم قبل الاستحقاق وبالله التوفيق.

---

(١) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان بسنده عن أسباط عن السدي (٤٨٠/١٢).
كما ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٦٢/٢) عند السدي.
والثعلبي في الكشف والبيان (١٧٩/٥)عن السدي أيضاً .
وابن الجوزي في زاد المسير (١٣٣/٤).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٢/٢)، والوجيز للواحدي (٥٢٧/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٣/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٠/١١).

(٣) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٧/٦).
وأضواء البيان للشنقيطي (٤٣٤/٣).

(٤) هذا ما رجحه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٠٦/٣).
وكذلك ذكره ابن الجوزي (المرجع السابق).
ورجحه القرطبي أيضاً (المرجع السابق).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٠١/٥).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٦/٢).

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾.

معناه: فلما ذهب عن إبراهيم الخوف والفزع وجاءته البشرى بإسحاق عليه السلام جعل يجادل رسلنا في قوم لوط عليه السلام. واختلفوا في هذه المجادلة، فقال بعضهم: سألهم عن تعذيب الله تعالى لهم سؤال مستقص حتى قال لهم: إن الله تعالى أمر باستئصالهم أو بتخويفهم بالعذاب. وقال لهم: إن فيها لوطاً كما ذكر الله تعالى في آية أخرى(١).

وقال بعضهم: أراد بالمجادلة: الدعاء والتضرع وشدة الحرص على نجاة القوم ورجاءً لإيمانهم(٢).

كما رُوي أنه عليه السلام قام من الليل يصلي ويقول : يارب أتهلك قوم لوط؟ قيل: يا إبراهيم ليس فيهم مؤمنون، قال: يا رب فإن كان فيهم خمسون من أهل بيت مؤمنون أتهلكهم؟ قال: لا، قال: فأربعون؟ قال: لا، قيل: فلم يزل يرد حتى قيل: إن كان فيهم خمسة أبيات مؤمنون دفعنا البلاء عنهم(٣). فيقول الله تعالى : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(١) . وفي الخبر أنهم أربعة آلاف رجل(٢).

وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٨/٦) وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٣/٤).

(١) هي قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ....الآية ﴾ [العنكبوت : ٣٢]

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٥٨/٦).
وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٧٩/٤).
والنكت والعيون للماوردي (٤٨٧/٢).

(٣) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه، ما ذكر في لوط عليه السلام (٤٥٠/٧).
والطبري في جامع البيان (٤٩٠/١٢) عن قتادة.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٨/٨).
والثعلبي في الكشف والبيان (١٨٠/٥).
كما ذكر هذا المعنى كثير من المفسرين :
كمقاتل بن سليمان في تفسيره (١٢٦/٢) والزجاج في معاني القرآن (٦٥/٣).
والنحاس في معاني القرآن (٣٦٦/٣) ، والسمرقندي في بحر العلوم (١٦٢/٢).
والبغوي في معالم التنزيل (١٤٣/٣) ، قال: وهو قول عامة أهل التفسير.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/١١).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٦٨/٢-٤٦٩).

وقولــه تعــالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ أي : وقــور بطــيء الغضــب، والحليم: المحتمل للأذى مع قدرته على العقوبة والمكافأة، والأواه :الدَّعَّاء، ويقال:هو الرحيم ويقال هو المتأوه خوفاً وإشفاقاً على الذنوب، والمنيب: هو الراجع إلى الله تعالى[٣].

قولــه عــز وجــل: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

معناه : أنه قيل لهيا إبراهيم أعرض عن جِدَلك إنه قد جاء أمر ربك بهلاك قوم لوط عليه السلام وأنهم يأتيهم عذاب غير منصرم عنهم[٤].

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

معناه: ولما جاء جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة عليهم السلام إلى لوط عليه السلام ساءه مجيئُهم وضاق بمجيئهم قلبه، فإنهم جاءوه في صورة الغلمان المردان الحسان الوجوه، وكان قد علم عادة قومه فخاف عليهم من صنيع قومه وقال في نفسه : (هذا يوم عصيب) شديد لازم شره كالمعصوب بالعصابة، كأنه قال: هذا يوم التف الشر فيه بالشر، ويقال: هذا يوم عصيب، أي تعصب الناس فيه بالشر. يوم مطير ويوم خطيب أي شديد الخطب، وأمَّا ضيق الذرع: ضِعَ موضع ضيق

---

(١) سورة الذاريات، الآية : ٣٦.
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/١٩٠-١٩١) عن ابن جريج.
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٨٠)عن ابن جريج أيضاً .
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٣٤)عن ابن جريج أيضاً .
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٤٣).
(٣) لهذه المعاني: ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٩٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٥٨-١٥٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٦٢).
والكشاف للزمخشري (٢/٣٨٩).
وقد ذكر المفسرين هذه المعاني والأقوال الواردة فيها عند تفسيرهم للآية (١١٤) من سورة التوبة. وهي قوله تعالى : ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ .
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٩٤).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٦٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٣٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٧٣).

الصدر. يقال:ضاق زيداً يأمره ذرعاً، إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً [1].

قال صاحب العبر الخليل بن أحمد -رحمه الله[2]-: ذرعه قدره الذي يبلغ إليه ويقدر عليه،معناه: ويقال: ضاق بهم وسعاً، لأن الذرع والذراع يعبر بهما عن الوسع، كما يعبر باليد عنه، تقول العرب: ليس هذا في يدي، أي: في وسعي[3]. وكان لوطاً عليه السلام ضاق وسعه بهم أن يحفظهم.

وفي الخبر: أنه جعلهم فيما بين مواشيه فلما كان وقت غفلة الناس حملهم إلى داره، فذهبت امرأته الخبيثة وأخبرت بهم، وقالت لهم: إنه قد نزل عند لوط عليه السلام أضياف لم أرقط أحسن وجوهاً منهم، ولا أطيب ريحاً ولاأنظف ثياباً [4].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٩٤-٤٩٥) ومعاني القرآن للزجاج (٣/٦٦-٦٧).
والنكت والعيون للماوردي (٢/٤٨٧-٤٨٨).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٣٥).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٤٧).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٤٤).
والدر المصون للسمين الحلبي (٦/٣٦٠-٣٦١).

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، له كتاب العين، ومعاني الحروف، وكتاب العروس، والنقط والشكل، وجملة آلات العبر.
ينظر: الأعلام للزركلي (٢/٣١٤).
والأنساب للسمعاني (٤/٣٥٧).
وسير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩).
والوافي بالوفيات (٤/٣٨٢).

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، ذرع (٨/٩٣).
ومختصار الصحاح للجوهري، باب الذال (١/٢٢٦).

(٤) أخرج نحوه الصنعاني في تفسيره (٢/٣٠٧) عن حذيفة بن اليمان عن قتادة.
والطبري في جامع البيان (١٢/٤٩٥).
عن حذيفة عن قتادة. وذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن (٣/٦٧).
والرازي في مفاتيح الغيب (٦/٣٧٨).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/٤٧٠)، عن حذيفة بن اليمان عن قتادة.

قوله عز وجل : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ ﴾.

وذلك أن امرأة لوط لما أخبرتهم بأضيافه جاءوا إلى داره يسرعون إليه ويهرولون هرولة[1]، والإهراع: مشي بين مشيتين[2]. وقوله تعالى : ﴿ وَمِن قَبۡلُ ﴾ أي ومن قبل ذلك يعملون المعاصي، وهي ما كانوا يعملون من الفاحشة مع الذكور، وأنهم كانوا يعملون ذلك من غير أن يُخفي بعض عن بعض، قال لهم لوط عليه السلام: يا قوم هؤلاء بناتي، عرض عليهم نكاح بناته وأظهر من نفسه [٣١٤/ب]في صونهم ما لا شيء أبلع منه إظهاراً لكرمه في باب الأضياف، فذكر بناته ليدل على التشدد في دفعهم عما أرادوا، وكان يجوز في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر، كما كان يجوز ذلك في شريعتنا في ابتداء الإسلام[3]، فإن النبي ﷺ زوج ابنته من أبي العصا بن الربيع[4]. ويقال: إنما عرض عليهم نكاح بناته بشرط أن يؤمنوا[5]، ويقال: أراد بقوله: هؤلاء بناتي: بنات قومه، لأن النبي ﷺ يكون للقوم بمنزلة الوالد، ولا يجوز أن يذكر بنات نفسه إلا ويريد سائر النساء أيضاً [6].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٨٤/٤) وجامع البيان للطبري (٥٠٠/١٢-٥٠١). ومعاني القرآن للنحاس (٣٦٧/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٤٨٨/٢).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٣/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٥/٣) عن الحسن. ولباب التأويل للخازن (٢٤٤/٣)عن الحسن أيضاً .

(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٣/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٨١/٥). والنكت والعيون للماوردي (٤٨٨/٢) عن الحسن. وأضواء البيان للشنقيطي (١٨٩/٢-١٩٠).

(٤) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن مناف بن قصي، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وأسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً، وقد ولدت له زينب بنت رسول الله ﷺ أمامه وهي التي كان رسول الله ﷺ يصلي وهو رافعها على عاتقه، مات في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٧-٦-٧) الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٦٧/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٦٨/٣). والنكت والعيون (٤٨٨/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٥/٣) عن الحسين بن الفضيل والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٧/١١).

(٦) جامع البيان للطبري (٥٠٤/١٢) عن سعيد بن جبير-ومعاني القرآن للزجاج (٦٧/٢). وابن أبي حاتم (٢٢٧/٨) عن مجاهد. وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦١/٦). وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٢/٢) عن الضحاك وقتادة. وأضواء البيان للشنقيطي (١٩١/٢) عن ابن عباس قال: وبهذا القول قال كثير من العلماء. وقد فصل رحمه الله في القولين.

وقولـه تعـالى : ﴿ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ أي أحـل لكـم مـن الفاحشـة مـع الذكور، وقوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اتقوا عقاب الله تعالى ولا تلزموني عيباً في ضيفي، ﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾في قومه فينزجر عن هذا الأمر ويزجر الآخرين عنه[1].وإنما ذُكر قوله (يُهرَعون) على لفظ المفعول بهم وإن كانوا هم الفاعلين، كما يقال: أُولِع فلان بكذا وزُهي زيد بكذا وأُرْعد عمرو. لأن المعنى في ذلك كله: أنه أولعه طبعه وزها باله أو جهله، وأرعده غضبه أو وجعه فأهرعه طبعه وجبلته، فجْعِلُوا مفعولين وهم فاعلون[2].

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٥٠٥-٥٠٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٦٤) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٦٢)
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٧٨).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/١٧٥-١٧٦).
وينظر: مختار الصحاح للجوهري (٤/٤٤١).
وتاج العروس للزبيدي (٢٢/٣٩١).
وهذا الفعل يلزم البناء للمفعول ولا يبنى للفاعل.

قوله عز وجل : ﴿ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) ﴾.

معناه: قال له قومه: لقد علمت يا لوط مالنا في بناتك من حق: أي من حاجة[١]، وإنما قالوا من حق؛ لأن ما لا يكون للإنسان فيه حاجة يرغب عنه كما لا يرغب عما لاحق له فيه[٢]. وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي تعلم أن ميلنا إلى الغلمان دون النساء، ويقال في قوله : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ بيان أن لوطا عليه السلام إنما عرض عليهم تزويج البنات لأن الحق لا يثبت إلا بالتزويج[٣].

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) ﴾.

معناه: قال لهم لوط عليه السلام: لو أن لي بكم قوة أرفعكم بها عن أضيافي أو يمكنني أن آوي إلى قبيلة أستعين بهم على رفعكم لمنعتكم أشد المنع عما تتناولون. أو يقول: لاستعنت بذلك عن خطابكم الذي لا ينجع ولا ينفع ولا يصاف منكم قبولاً[٤]. وقد تقدم أن حذف الجواب في مثل هذا الموضع أبلغ من الإثبات[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٧/٢)، وينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٤/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٩/٤) عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) لم أقف على هذا التعليل فيما بين يدي من المصادر والمراجع ولعله من تعليق المصنف رحمه الله.

(٣) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٢/٦).
ولنكت والعيون للماوردي (٤٨٩/٢).
والكشاف للزمخشري (٣٩١/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٥٤/٣).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٠٨/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٢/٦).
والوجيز للواحدي (٥٢٩/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٣٩/٤).

(٥) يشير رحمه الله إلى أن جواب "لو" محذوف وتقديره: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد لمنعتكم. ومثل هذا واقع في القرآن الكريم، وفي كلام العرب، فمنه في القرآن، قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي "لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾. سورة التكاثر، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ الرعد:٣١.
أي : لكان هذا القرآن أو لكفرتم بالرحمن.

وعن رسول الله ﷺ عن ربه قال : (رحم الله أخي لوطاً لقد آوى إلى ركن شديد) [١] أي التجأ إلى الله تعالى وملائكته.

وقال ابن -عباس رضي الله عنهما-(فلما علم جبريل عليه السلام والملائكة عليهم السلام خوف لوط عليه السلام من تهديد قومه، قالوا له: ما قال الله تعالى[٢]:﴿ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾.

معناه: أن الملائكة عليهم السلام قالت للوط عليه السلام: لسنا من بني آدم ولكنا رسل ربك جئنا لإهلاك قومك فدعهم يدخلون فإنهم لا يصلون إليك بمكروه، فتركهم لوط عليه السلام حتى دخلوا الدار فطمس جبريل عليه السلام على وجوههم فعموا كلهم وضرب على أيديهم فيبست أيهديهم كما قال الله تعالى : ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[٣] . فانصرفوا يلتمسون باب الدار[٤].

ينظر: معاني القرآن للأخفش (٤٥/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٩٥/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٢/٥) وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٤٨/٣).
وإملاء ما من به الرحمن (٦٤/٢) والدر المصون للسمين الحلبي (٣٦٣/٦).

(١) أخرج نحوه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ينظر: البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قوله الله عز وجل: (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) حديث رقم (٣١٩٢).
ومسلم كتاب الإيمان، باب زياد طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث رقم (٢٣٨).
وينظر: جامع الأصول (٥٤/٢).

(٢) ذكر نحو معنى قول ابن عباس: البغوي في معالم التنزيل (١٣٦/٣) ونسبه له.
والرازي في مفاتيح الغيب (٣٨١/٦) غير منسوب.
والفيروز آبادي في تنوير المقباس (٢٤٠/١)بنحوه أيضاً .

(٣) سورة القمر، الآية: ٣٧.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥١٧/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٣٨/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٠/٢)، والكشاف للزمخشري (٣٩٢/٢).

وقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: بهمزة الألف والثاني بتسكين الألف يقال: سرى وأسرى بمعنى واحد[1].

والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٠/٣).

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي، باب: سرى (٢٦١/٣٨) والقاموس الفقهي (١٧١/١).
وفي قوله تعالى : "فأسر" قراءتان فقد اختلفوا في همز الألف وإسقاطها في الوصل فقرأ ابن كثير ونافع "فاسْر بأهلك" من سريت بغير همز، وقرأ أبو عمر وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي "فأسر بأهلك" من أسريت.
ينظر: السبعة (٣٣٨/١) والنشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢).
والكشف لمكي (١١٠/٢).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٣/٢).

وقوله تعالى : ﴿بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي أسر بهم في آخر الليل عند السحر[1]. وقوله تعالى : ﴿ يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ ﴾ معناه: لا يتخلف منكم أحد فيبقى في العذاب[2]. وقوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ من قرأ بنصب التاء فعلى معنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك واعَلة[3] المنافقة، ومن قرأ بالرفع معنى: ولا يلتفت منكم أحدا لا امرأتك[4].

وعن مجاهد[5] –رحمه الله- أنه قال: (هم تُعُبِّدُوا بأن لا يلتفت منهم أحد خِلقة) [6]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡ ﴾ ظاهر المراد.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ ﴾ أي قالت له الملائكة: إن وقت إهلاكهم الصبح. فقال له لوط عليه السلام: الآن يا جبريل ؟ وإنما قال ذلك لضيق صدره منهم وشدة غضبه عليهم[7]. فقال جبريل عليه السلام : (أليس الصبح بقريب) في هذا دليل أن الله تعالى لا يُهلك أحداً قبل انقضاء مدته وإن ضاقت صدور أوليائه عنه.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٤/١٢) والنكت والعيون للماوردي (٤٩١/٢).
(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٣/٣) وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٤/٢).
(٣) هو اسم امرأة لوط عليه السلام كما ذكر بعض المفسرين رحمهم الله، ومنهم من قال: وأهلة والله أعلم ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٤٥/١)، وتنوير المقباس (٢٤٠/١).
(٤) اختلفوا في نصب التاء ورفعها من قوله : (إلا امرأتك) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو "إلا امرأتُك" برفع التاء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (إلا امرأتَك) نصبا. ينظر: السبعة (٣٣٨/١)، والنشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢)، والكشف لمكي (١١٠/٢)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٣/٢).
(٥) مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب، وروى عن علي وسعد ابن أبي وقاص والعبادلة الأربعة، وقال أبو نعيم عن شبل عن بن أبي نجيح عن مجاهد قال : قرأت القرآن على ابن عباس مرات، قال يحيى القطان: مرسلات مجاهد أحب إلي من مرسلات عطاء بكثير، كان فقيهاً عابداً وربما مات بمكة وهو ساجد سنة ثنتين أو ثلاث ومائة. ينظر: الثقات لابن حبان، باب الميم (٤١٩/٥).. والتاريخ الكبير للبخاري، باب مجاهد (٤١١/٧)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٤٢/٤٢).
(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٤/١٢)، والنكت والعيون للماوردي (٤٩١/٢). وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٣/٤).
(٧) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٢٧/٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي(١٦٣/٦). والكشف والبيان للثعلبي (١٨٣/٥) ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٧/٣). والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٥/١١) وتنوير المقباس (٢٤٠/١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن جبريل عليه السلام لما قال للوط عليه السلام: فأسر بأهلك بقطع من الليل، قال له لوط: يا جبريل [٣١٥/أ] كيف أصنع بأبواب المدينة، وقد أُغْلِقَت؟ فجمع له جبريل أهله وبَقَرَه وغَنَمه وماله واحتملهم على جناحه حتى أخرجهم من المدينة[١] فانطلق هو متوجهاً إلى صُغرْ وهي على أربع فراسخ من مدائن قوم لوط عليه السلام، وهي إحدى القرى الخمس: سدوم، ودادوما، وصَدَبْوا، وقم، ولم يكن أهل صُغَر يعملون عملهم[٢]، وكان في كل مدينة ألف مقاتل وسار لوط عليه السلام فرسخين إذ سمع الصيحة.

قوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

معناه: فلما جاء أمرنا بالعذاب قلبنا تلك المدائن كما روى أن جبريل عليه السلام: جعل جناحه في أسفلها فرفعها من الأرض السابعة إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الدجاج [والديك] [٣] ثم قلبها جعل أسفلها عاليها وأعلاها أسفلها فأقبلت تهوي من السماء إلى الأرض [٤].

---

(١) ذكر نحو هذا القول السمرقندي في بحر العلوم (١٦٤/٢). غير منسوب.
ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لابن عباس (١٤٣/٤). ولم أقف عليه مسنداً عند غيره.

(٢) اختلفت المصادر في أسماء هذه القرى اختلافاً كبيراً ما عدا سدوم.
ينظر: المحبر للغدادي (٤٦٧/١) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (٤١٨/٢ و ٤١١/٣و ٧١/٤).
وينظر: جامع البيان للطبري (٥٣٧/١٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٢٣٥/٨).
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٣/٥).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٥/١١).

(٣) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن وهو مثبت في (ب).

(٤) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٥٣٣/١٢-٥٣٤) عن مجاهد.
وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٠/٣) وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٥/٢) غير منسوب. والكشف والبيان للثعلبي (١٨٣/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٢/٢) عن محمد بن كعب القرطبي.

وقوله تعالى : ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ روى وهب بن مُنبه -رحمه الله- أنه قال:لما رُفعت إلى السماء أمطر الله عليهم حجارة الكبريت بالنار ثم قُلبت عليهم)[١].

وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: (أمطر الله الحجارة على شُذَّاذِهِم ومسافريهم)[٢]. ولا تنافي بين القولين لجواز أن الله تعالى أمطرلحجارة على مدائنهم وعلى شُذَّاذِهم.

وقد اختلفوا في السجيل: قال بعضهم: هو فارسية معربة، معناه: سَنْك و كَلَ][٣] وفيه بيان أن تلك الحجارة كانت شديدة صلبة نحو ما يطبخ من الطين فيصير كالآجُرِّ[٤] واصلب منه. ومما يؤيد هذا القول قوله تعالى : ﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴾[٥] .فكأن الله تعالى بَيَّن أن الذي أرسل عليهم كالثلج والبرد. وقال بعضهم : هو السجيل الذي هو الدلو، فيكون معناه : حجارة كأنها تصب من الدلو[٦]. ويقال السجيل: سماء الدنيا[١]، ويقال معناه: مما كتب الله عز وجل أن يعذبهم بها[٢].

ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٧/٣).

(١) ذكر قول وهب: السمرقندي في بحر العلوم (١٦٥/٢).
وأشار إليه الواحدي في الوجيز (٥٢٩/١).

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٧/٣).
وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٤٠/١).
ولم أجد قول ابن عباس عند غيرهم مسنداً .

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٢٥-٥٢٦) عن سعيد بن جبير، وابن عباس وذكره الزجاج في معاني القرآن (٧٠/٣).
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٦/٨) عن ابن عباس.
والثعلبي في الكشف والبيان (١٨٤/٥) عن ابن عباس ووهب وسعيد بن جبير.
والسيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٤) عن مجاهد.
وينظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب (٥٨/١) تحقيق/ سمير حسن حلبي، الطبعة الأولى -١٤٠٨هـ-دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

(٤) هو اللِّبْن المحرَّق المعد للبناء ينظر: المصباح المنير للرفاعي (٦/١) والمخصص لابن سيدة (٥٠٦/١).

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٣٣.

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٢٨/١٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٧١/٣).

وقوله تعالى : ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي بعضها فوق بعض[3]. وقوله تعالى: ﴿مسومة﴾ أي معلمة بعلامة المعاقبين[4]. قيل كانت مخططة بالسواد والحمرة والبياض[5]، وقيل: كان مكتوباً على كل حجر اسم من هلك[6].

وقوله تعالى : ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي أعلمتها الملائكة في السماء بأمر الله تعالى وقيل: كانت من الخزائن التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل[7].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ معناه: وما تلك الحجارة من ظالمي أمتك ببعيد[8]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (لا والله لا تذهب الأيام والليالي حتى تستحل هذه الأمة أدبار الرجال

---

(١) قاله ابن زيد وقد أخرجه الطبري في تفسيره (٥٢٧/١٢)،
وذكره البغوي في معالم التنزيل (١٣٧/٣).
وأبو حيان في البحر المحيط (٢٤٩/٥) عن ابن زيد وقال: وهذا ضعيف لوصفه بمنضود.

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن (٧١/٣) ورجحه، والسمرقندي في بحر العلوم (١٦٥/٢). نقلاً عن الزجاج.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٤/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٧١/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٤/٥) عن قتادة.

(٤) ينظر: تفسير مجاهد (٦١٩/٢).
وجامع البيان للطبري (٥٣٠/١٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٣/٢).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن (١٧٤/٢) ولم يرتضيه.
والزجاج في معاني القرآن (٧٢/٣) عن الحسن، والماوردي في النكت والعيون (المرجع السابق) من قول ابن عباس وقتادة –والزمخشري في الكشاف (٣٩٣/٢) عن الحسن وابن الجوزي في زاد المسير (١٤٥/٤) قال: رواه أبو صالح عن ابن عباس والفيروز آبادي في تنوير المقباس (٢٤٠/١).

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٧/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٦/٤) عن الربيع.

(٧) ينظر: الوجيز للواحدي (٥٢٩/١).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٤/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٤٦/٤).

(٨) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٣١/١٢) ومعاني القرآن للزجاج (٧٢/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٥/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٥/٢).
وأضواء البيان للشنقيطي (١٩٣/٢).

كما استحلوا النساء، ولا تذهب الأيام والليالي حتى تصيب طوائف من هذه الأمة حجارة من عند ربك)[1].

وفي الحديث : (ما من ظالم إلا ويخبأ له حجر في الهوى ينتظر متى يُؤمر بسقوطه عليه)[2]. ويقال: هذا تهديد للظالمين أن تصيبهم هذه الحجارة في الآخرة. فإن الله تعالى رفع عن هذه الأمة الخسف والمسخ، وأن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم.

قوله عز وجل ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾.

معناه: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً في النسب قال: يا قوم اعبدوا الله وقد سبق تفسيره[3]. وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾

معناه: ولا تنقصوا حقوق الناس –عند الكيل والوزن-عليهم بالتطفيف[4].

---

(١) لم أقف على هذا القول فيما بين يدي من المصادر والمراجع إلا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٩/١١) غير منسوب.

(٢) لم أقف على هذا الأثر مسنداً .
وقد ذكر نحوه : الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٤/٥) عن أنس.
والبغوي في معالم التنزيل (١٣٧/٣) والزمخشري في الكشاف (٣١٣/٢).
والرازي في مفاتيح الغيب (٣٨٤/٦)، والخازن في لباب التأويل (٢٤٧/٣).
قال الزيعلي في تخريج الأثار الواقعة في الكشاف (١٤٨/٢).
هذا حديث غريب ذكره الثعلبي عن أنس غير مسند.

(٣) وذلك عند تفسير الآية (٥٠) من سورة هود، ينظر : (ص: ٣٦٩).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٣٨/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٦/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٥/٢).

وقوله تعالى : ﴿إني أراكم بخير﴾ إني أراكم في الخصب والرخص ما أوفيتم للناس حقوقهم، ويقال معناه: أراكم في كثرة الأموال وأنتم مستغنون عن نقصان الكيل والوزن وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط أي عذاباً يحيط بكم فلا يفلت منكم أحد إن عصيتم الله تعالى[1].

قوله عز وجل : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

معناه: أتموا الكيل والوزن بالعدل ولا تنقصوا حقوق الناس ولا تضطربوا في الأرض بالقبيح مفسدين بالمعاصي.

قوله عز وجل : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

معناه: ما أبقى الله من الحلال خير لكم مما حرم عليكم من التطفيف إن كنتم مصدقين بما أقوله لكم، ويقال: أراد بالبقية: طاعة الله تعالى فإنما هي التي يبقى ثوابها[2]. وقوله تعالى : ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ ما أُوَكَّل بحفظكم فأقاتلكم وأمنعكم، ويقال : [٣١٥/ب] لست بحفيظ لأموالكم، ولكن الله تعالى هو الذي يحفظها عليكم ويحفظ العمل الصالح[3].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٣٩/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٧/٦).
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٦/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٥/٢).
والوجيز للواحدي (٥٣٠/١).

(٢) قاله مجاهد، أخرجه بن جرير في جامع البيان (٥٤١/١٢-٥٤٢).
وينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٢/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٦/٢) عن مجاهد.
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٦/٥)عن مجاهد أيضاً .
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٥/٢)عن مجاهد أيضاً .

(٣) تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٦٢/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٨/٣).
وتفسير السعدي (٣٨٧/١).

وقوله عز وجل : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ ﴾.

معناه: قالوا له يا شعيب أكثرة صلواتك[1] التي تفعلها تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا. وقوله تعالى : ﴿ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾ معناه: وتأمرك أن تأمرنا أن نفعل في أموالنا ما نشاء من البخس والتطفيف. ويقال إن معنى: أو أن نفعل) تأمرك أن لا نفعل[2].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ أراد بذلك: إنك السفية الضال، فذكروا الحليم الرشيد على جهة الاستهزاء، هكذا رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما[3]. ويقال: إنهم قالوا ذلك على جهة التحقيق لأنك أنت الحليم الرشيد في قومك فكيف تنهاك عن عبادة ما عبده آباؤنا، وعن أن نفعل في أموالنا ما نشاء، كأنهم استبعدوا أن يكونوا آباؤهم قد أخطؤوا في دينهم ورأيهم[4]،ويقال: إنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الأحمق، إلا أن

---

(١) أثبت المصنف هنا كلمة (صلواتك) بالجمع على قراءة ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، وأما قراءة التوحيد (أصلاتك)، فهي قراءة حفص وحمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣١٧/١).
والنشر (٢٩٠/٢) وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٤/٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس للعكبري (٢٩٨/٢).
وإملاء ما من به الرحمن (٤٤/٢).
ومعنى اللبيب عن كتب الأعاريب (٦٨٦/١).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٥٤٨/١٢)، عن ابن جريج وابن زيد ورجحه.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٥/٨) عن قتادة، والسيوطي في الدر المنثور (٤٦٧/٤) عن قتادة. وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٦٦/٢) غير منسوب. والواحدي في الوجيز (٣٥٠/١).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٠/٤) قال: رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة والفراء وابن كثير في تفسيره (٤٧٢/٢) ونسبه لابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج.

(٤) ذكر ذلك: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٧١/٦) والنحاس في إعراب القرآن (٢٩٩/٢) والثعلبي في الكشف والبيان (١٨٦/٥) ونسبه لابن كيسان.
والماوردي في النكت والعيون (٤٩٦/٢) والبغوي في معالم التنزيل (١٣٨/٣) ورجحه: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١١).

الله تعالى صان نبيه ﷺ عن إضافة مثل هذا اللفظ إليه[1]، غير أن هذا لا يصح؛ لأنه لا يجوز أن يحكي الله تعالى عنهم خلاف ما قالوه.

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾.

معناه: قال لهم شعيب: أخبروني إن كنت على دلالة واضحة من ربي ورزقني منه منفعة حسنة، قيل: أراد بذلك النبوة. فإنها من أعظم نعم الله تعالى[2]: وقيل: المراد به المال الحلال[3]، قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: كان شعيب عليه السلام كثير المال كثير الصلاة[4].

وأمَّا جواب قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ محذوف من الآية لأن في الكلام دليلاً عليه، والمعنى إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً أتبع الضلال، واشوب بالحرام الحلال كما تفعلونه[5]. وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ أي ما أريد أن تتركوا ما نهيتكم عنه لأعمل أنا به فأنتفع، بل أريد الإصلاح للكل في أمر الدين

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٣/٣) والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٥/٣).
أورداها من غير نسبه.

(٢) ذكر ذلك: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٧١/٦).
والماوردي في النكت والعيون (٤٩٧/٢) ونسبه لابن عيسى.
وابن الجوزي في زاد المسير (١٥١/٤).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٧٣/٢).

(٣) هذا قول الضحاك، ينظر تفسير الضحاك (٤٥٢/١) وجامع البيان للطبري (٥٤١/١٢).
ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٣/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧١/٦).
وتفسير ابن أبي حاتم (٢٤٥/٨) وابن الجوزي في زاد المسير (١٥١/٤) عن ابن عباس.
وذكر القولان ابن كثير في تفسيره (٤٧٣/٢) قال: ويحتمل الأمرين.

(٤) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٩٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٩/٣) وزاد المسير لابن الجوزي (١٥١/٤).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٣/٣) والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٦/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٠/٥) والدر المصون للسمين الحلبي (٣٧٤/٦).

والمعاش بقدر استطاعتي[1]. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ أي ما توفيقي للإصلاح إلا من الله. والتوفيق من الله تعالى : هو كل فعل يتفق من العبد عنده اختيار الطاعة والصلاح، فلولاه لكان بمختار خلاف ذلك، وهو مأخوذ من الوفق والموافقة وذلك يستعمل في باب الخير خاصة[2].

وقوله تعالى : ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي فوضت أمري إلى الله، وإليه أرجع[3]. قد تقدم أن معنى التوكل على الله: تفويض الأمر مع التمسك بطاعته.

قوله عز وجل : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ ﴾.

معناه: يا قوم لا يكسبنكم عداوتي أن لا تؤمنوا فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من الريح العقيم، أو قوم صالح من الصيحة، وما قوم لوط منكم ببعيد، أي قد بلغكم ما أصابهم وهو أقرب إليكم ممن تقدمهم، يجوز أن يكون المراد بذلك قرب زمانهم منهم[4]، ويجوز أن يكون المراد قُرب ديارهم منهم وكل ذلك أقرب للاعتبار[5].

قوله عز وجل : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٤٩/١٢)عن قتادة.
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧١/٦) وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٩/٣) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٨/١١).

(٢) ينظر: ا لتعريفات للجرجاني (٩٧/١) ولسان العرب، وفق (٣٨٢/١١).
والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢١٥/١).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٤٩/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٧/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٩/٣).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٥١/١٢) عن قتادة.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٨/٨) عن قتادة، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٦٧/٢).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧٥/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٨٧/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩٨/٢) ومعالم التنزيل للبغوي (١٣٩/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩٩/١١).

معناه: واستغفروا ربكم من الشرك والذنوب ثم أقبلوا إليه بالتوبة والإخلاص، إن ربي رحيم بعباده متودد إليهم بالنعم وقبول التوبة.

قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾.

معناه: قالوا يا شعيب ما نستدرك كثيراً مما تقول، والفقه في اللغة: هو استدراك معنى الكلام[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– : (أن أرادوا بالضعيف ضرير البصر)[2].

---

(١) لم أقف فيما ين يدي من المصادر والمراجع من عرف الفقه بالاستدراك، وإنما علماء اللغة يعرفون الفقه لغة، الفهم والفطنة، ينظر: لسان العرب لابن منظور، فقه : (٥٢٢/٣)، والقاموس الفقهي (٢٨٩/١).

(٢) أخرج نحوه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كتاب التاريخ: باب ذكر شعيب النبي ﷺ (٦٢٠/٢) قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.
وأخرج نحوه ابن جرير في تفسيره عن سعيد بن جبير (٥٥٣/١٢).
وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) لابن أبي حاتم والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس. قال الإمام ابن حجر رحمه الله في التلخيص الحبير: وذكر الروياني في كتاب الشهادات من البحر أنه لم يكن أعمى وإنما طرأ عليه ذلك بعد النبوة وأداء الرسالة وفراغها ومال إلى هذا شيخ شيوخنا تقي الدين السبكي ونصره ورد ما يخالفه.
ينظر: التلخيص (٣٥٢/٣) الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.
الناشر: دار الكتب العلمية. وقد ذكر هذا القول كثير من المفسرين.

وقال سعيد بن جبير(١): إنا لنراك أعمى(٢)، وقد روى أنه كان قد ذهب بصره من كثرة بكائه من خشية الله.
وفي بعض الروايات : أنه عمي ثلاث مرات وكان الله يرد إليه بصره، حتى أوحى إليه يا شعيب ما هذا البكاء؟ قال:شوقاً إليك يا رب(٣).

وسئل النبي ﷺ عن شعيب فقال: ذاك خطيب الأنبياء [٣١٦/أ] صلوات الله عليهم أجمعين(٤).

وكان الحسن رضي الله عنه يقول في معنى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي مهيناً ضعيف البدن(٥). وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أنه: هل يجوز بعث نبي ضرير أم لا ؟ قال بعضهم يجوز؛ لأن العمى ليس شيء ينفر الناس أو يمنع من أداء الرسالة. وقال بعضهم:

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام يروي عن بن عُمَر ابن عباس وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺكان فقيهاً عابداً ورعاً فاضلاً، قال عمرو بن ميمون عن أبيه لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ، وهو ابن ٤٩سنة. ينظر: الثقات لابن حبان (٢٧٥/٤).
وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧١/١٤).
(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٥٣/١٢).
وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤٩٩/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٥٢/٤).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/١١).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٧٤/٢) عن سعيد والثوري.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤)، إلى أبو الشيخ وابن عساكر.
(٣) هذا جزء من رواية رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/٩) عن شداد بن أوس، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣١٥/٦). عن شداد أيضاً . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) إلى أبو الشيخ وابن عساكر.
قال الذهبي في الميزان (٢٣٩/١) هذا حديث باطل لا أصل له.
وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٦٠/١).
وينظر: جامع الأحاديث (١٩٧/٣٥).
(٤) ألم أقف عليه مسنداً من قول الرسول ﷺ وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٠/٤) وعزاه إلى أبو الشيخ عن سفيان.
وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٠/١٠) قال: كان النبي ﷺإذا ذكر شعيباً قال: ذاك خطيب الأنبياء. وذكره الشوكاني في فتح القدير (٧٥٣/٢).
(٥) ذكر هذا القول: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (١٧٥/٦) غير منسوب.
والماوردي في النكت والعيون (٢٩٩/٢) ونسبه للحسن.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/١١) عن علبي بن عيسى، قال: وقال الحسن مهين.
وأبو حيان في البحر المحيط (٢١٢/٥) عن الحسن.

لا يجوز ذلك كما لا يجوز أن يكون الأعمى شاهداً أو حاكماً . وليس في لفظ الآية ما يقتضي أن شعيباً عليه السلام كان أعمى والله أعلم[1].

وقوله تعالى : ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ معناه: لولا عشيرتك لقتلناك بالحجارة، ولا ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لأجل قومك[2].

---

(١) قال ابن عطية رحمه الله: وهذا ضعيف لا تقوم عليه حجة، بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم "ضعيفاً" أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه، وقال أبو روق : إن الله لم يبعث نبياً أعمى. ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٦/٣).
والبحر المحيط (٢١٢/٥).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٥٤/١٢) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧٥/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٦/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٧/٥).

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾.

معناه: قال لهم يا قوم أتتركون أذاي لأجل عشيرتي ولا تتركوه لأجل الله، أرهطي أعز عليكم من الله تعالى ونبذتم أمر الله تعالى وراء ظهوركم. ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ معناه: عالم لا يعزب عنه علم شيء، والظِّهْرِيُّ : ما ينبذه الإنسان وراء ظهره[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾.

معناه: ويا قوم اعملوا على دينكم إني عامل على ديني وهذا على سبيل التهديد والوعيد[٢]. والمكانة والمكان بمعنى واحد[٣]. وقوله تعالى : ﴿ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ ﴾ أي يذله ويهينه. وتعلمون من هو كاذب على الله، وانتظروا إني منتظر معكم[٤].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٧٥/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٧/٣).
ولسان العرب لابن منظور، (٥٢٠/٤) ومختار الصحاح للجوهري، باب الظاء (٤٠٧/١).
والقاموس الفقهي (٢٣٩/١).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٦٧/٦).
وفتح القدير للشوكاني (٧٥٢/٢).

(٣) ينظر: لسان العرب،باب: مكن (٤١٢/١٣).
والتوقيف على مهمات التعاريف، فصل الكاف (٦٢٧/١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٠/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٨/٢).

قوله عز وجل : ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

معناه: ولما أمرنا بالعذاب نجينا شعيباً من ذلك العذاب ونجينا الذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين كفروا من قوم شعيب صيحة العذاب فأصبحوا في منازلهم واقعين على ركبهم ميتين كأن لم يكونوا في الأرض قط[1]. وقوله تعالى : ﴿فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ معناه:ألا سحقاً وهلاكاً لقوم شُعيب كما هلكت ثمود وإنما شبههم بثمود لأن الصيحة كانت سبباً لهلاك الفريقين جميعاً.

قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- :(وذلك أن مدين أصابهم حر شديد ولم تتحرك الريح ليلاً ولا نهاراً، وكان يحرقهم بالليل حر القمر وبالنهار حر الشمس، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظُّلَّة فيها عذابهم فأتوها يستظلون تحتها يطلبون الرَّوح، فسال عليهم العذاب من فوقهم ورجفت الأرض من العذاب وأحرقتهم السحابة[2]، قال:ولم تُعذَّب أمتان بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح وأمَّا قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم[3].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٥٥٩-٥٦٠).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/١٨٧).

(٢) أخرج نحوه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب: ذكر شعيب النبي ﷺ حديث رقم (٤٠٧٤) (٢/٦٢٠) وسكت عنه الذهبي في التلخيص.
والطبري في جامع البيان (١٩/١٩٣) عن زيد بن معاوية.
كما ذكر نحوه كثير من المفسرين: ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٧٧).
ومعاني القرآن للنحاس (٣/١٠٣) والوجيز للواحدي (١/٧٩٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/١٣٧).

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٧٧).
وبحر العلو للسمرقندي (٢/١٦٩).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٠٣).

قولـــه عـــز وجـــل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾.

معناه: ولقد أرسلنا موسى عليه السلام بدلائلنا. والآية: العلامة التي فيها العبر. وقوله تعالى: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: وحجة مسلطة على إبطال الفساد، ومن هذا سمي السلطان سلطاناً؛ لأنه تسلط بالقهر والغلبة، وسلطان الحجة أنفذ من سلطان المملكة، ويقال: إن السلطان مأخوذ من السليط، وهو الزيت، سمي بذلك؛ لأنه يضيء كما يضيء الزيت[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ ﴾ معناه: إلى فرعون وأشراف قومه الذين مِلاَءٌ بالرأي والمقدرة، والذين يُملُّون الصُّدور هيبة[2]. وقوله تعالى: ﴿واتبعوا أمر فرعون﴾ أي اتبعوا أقواله وتركوا أمر الله تعالى، وما أمر فرعون بصواب[3]، والرشيد: القائد الخيِّر الهادي إلى النفع.

قوله عز وجل: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾.

معناه يمشي أمام قومه يوم القيامة حتى يهجم بهم [على][4] النار[5].

وتفسير السعدي (٣٨٩/١).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٦/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٨/٣). واللباب لابن عادل (٥٥٧/١٠)، وينظر: لسان العرب لابن منظور، سلط (٣٢٠/٤). وتاج العروس للزبيدي، س ل ط (٣٧٤/١٩).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣١/١) ومعاني القرآن للزجاج (٧٦/٣). وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٧٨/٦).

(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٦٩/٢) والمحرر الوجيز لابن عطية (٢١٨/٣).

(٤) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٦٢/١٢) عن قتادة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٥٦/٨).

ويقال: قدمت القوم أقدمهم قدْماً وقُدُما إذا تقدمتهم فاتبعوك، وقَدِمَ فلان يَقْدِم قدوماً إذا ورد[1]. فإنما يمشي فرعون أمام قومه يوم القيامة لأنهم اتبعوه في الدنيا حتى هداهم إلى عذاب النار، وكذلك يمشي من بين أيديهم في الآخرة، حتى يدخل بهم النار[2].

وأما عطف الماضي هو قوله تعالى ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾ على لفظ الاستقبال فهو على معنى: فهو إذا قدمَهم أوردهم[3]، وإنما قال: (يقدم قومه) ولم يقل يسبق؛ لأن قوله يسبق قومه لا يدل على أنه [٣١٦/ب] يمشي بين أيديهم. وقوله تعالى: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ فالورد: جمع ومصدر ووقت نحو: ويرد الشارب. والمورود: مفعول من المكان ومن ورد به فهو الورد جمعاً فمعناه: فبئس القوم المورود بهم إلى النار، ومن جعله وقتاً فمعناه: بئس الوقت المورود بهم فيه إلى النار ومن جعله مصدراً فمعناه: فبئس الورد الذي ورد بهم إلى النار[4].

الورد في الحقيقة إنما يستعمل في الماء[5]

عن قتادة، والصنعاني في تفسيره (٣١٢/٢)عن قتادة أيضاً.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٦٩/٢) عن قتادة.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٧٦/٣)،والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٤/١١)..
(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨٧/٦).
(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٩/٣).
والكشاف للزمخشري (٤٠٢/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٩٤/٦).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٥٩/٣).
(٤) لم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع على من قال إن الورد "جمع ووقت" غير المصنف رحمه الله وغالب العلماء أنه مصدر.
ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٥٥/٤).
ومفاتيح الغيب للرازي (٣٩٤/٦).
واللباب لابن عادل (٥٥٨/١٠).
والدرر المصون للسمين الحلبي (٣٨٢/٦).
(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (باب : ورد) (٤٥٦/٣).

كما قال عز من قائل : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ ﴾[1]. ولكن لما كان فرعون وقومه في الآخرة يكونون عطاشاً وتردون على ما يرد بهم العطش استعمل فيهم هذه اللفظة[2].

قولـه عـز وجـل :﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

معناه: وأتبعهم الله تعالى في هذه الدنيا لعنة بإبعادهم عن الرحمة بالغرق، ويوم القيامة لهم لعنة أخرى وهي النار بئست اللعنة على إثر اللعنة ترادفت عليهم اللعنتان، الغرق في الدنيا والنار في الآخرة[3]، والرفد في اللغة: هو العون على الأمر، إلا أن العطية تسمى رفداً لما فيها من العون، كأنه قال: بئس العطا ما أعطوا[4].

وقال بعضهم: هذا من المقلوب، كأنه قال: بئس الردف المردوف والردف: لعنة الله تعالى إياهم، والمردوف: لعن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين [5].

قولـه عـز وجـل : ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

وتاج العرسو للزبيدي، (باب : ورد) (٢٨٩/٩).

(١) سورة القصص، (الآية : ٢٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٩٤/٦).

(٣) ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٣/١)، وجامع البيان للطبري (٥٦٦/١٢).
وتفسير ابن أبي حاتم (٢٥٨/٨) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٩/٢).

(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (٢٠٩/١).
والعين للفراهيدي (٢٤/٨) ولسان العرب لابن منظور، رفد (١٨١/٣).
وتاج العروس للزبيدي ، رفد (١٠٨/٨).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣١/٢).
وتأويلات أهل السنة (١٨٠/٦).
ولباب التأويل للخازن (٢٥١/٣).

معناه: ذلك الذي ذكرت لك يا محمد من أخبار الأمم الماضية بنزول عليك جبريل عليه السلام بقصصهم مرة بعد مرة، والقصص مأخوذ من أتباع الشيء للشيء[1]، وقوله عز وجل : ﴿ منها قائم وحصيد﴾ فالقائم هو : قائم الأبنية وقد باد أهله كما قال تعالى : ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴾[2] والحصيد: ما هلك بأهله فلا يبقى مكان ولا أثر نحو مدائن قوم لوط عليه السلام حصدت من الأرض السفلى[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ ﴾.

معناه : وما ظلمناهم بإهلاكهم ولكن ظلموا أنفسهم بسوء اختيارهم فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله تعالى لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تخسير[4]. ومنه : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾[5] أي خسرت يداه وخسر.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، قصص (٧٣/٧).
والتوقيف على مهمات التعاريف (٥٨٤/١).
(٢) سورة الحج، الآية (٤٥).
(٣) لمعنى القائم والحصيد ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٧/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٧٧/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨١/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٧٩).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٦/١١).
وأضواء البيان للشنيقطي (٢٧١/٥).
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٦٩/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٧٧/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٠/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٥/٢).
(٥) سورة المسد، الآية : ١.

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

معناه : كما أخذ ربك فرعون ومن تقدمه من الكفار فكذلك يكون أخذ ربك إذا أخذ أهل القرى وهي كافرة، وقوله تعالى: ﴿ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ظاهر المراد. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ أي فيما ذكرت لك العبرة لمن خاف عذاب الآخرة ولا يقتدى بهم. وذلك قوله تعالى : ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ ﴾ معناه: إن يوم القيامة يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ أي يشهده أهل السماء وأهل الأرض[1].

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

معناه : ما نؤخر ذلك اليوم إلا لأجل معدود توعده الله تعالى وعلم أن صلاح الخلق فيه في إدامة التكليف عليهم إلى ذلك الأجل، والفائدة في قوله تعالى : ﴿مَّعْدُودٍ﴾ بأن له انتهاء أو أن العدد وإن كثر لابد أن يأتي آخره[2].

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ من قرأ بإثبات الياء فعلى الأصل، ومعناه: يوم يأتي ذلك اليوم لا تكلم نفس الشفاعة إلا بأمر الله تعالى، ويقال: لا يجترئ

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/١٧١-١٧٢-١٧٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/١٨٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٧٠-١٧١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٤١).
ولباب التأويل للخازن (٣/٣٥٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٦/٣٩٧).
واللباب لابن عادل (١٠/٥٦٣).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (١١/٣٢٩).

أحد أن يتكلم بالاحتجاج وإقامة العذر من هيبة الله تعالى إلا بإذنه، ومن قرأ ﴿يأتِ﴾ بغير ياء فهي لغة هذيل، وهكذا وجد في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، تقول العرب لا أدر ولا أقض ِ فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة[1].

ويقال: أراد بقوله : ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي لا يتكلم أحد بما يكون قبيحاً ولا يكون يقع من أحد القبيح في الآخرة، ومايكون مأذوناً فيه فهو غير قبيح[2]. وقوله تعالى : ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ معناه: فمن الناس يومئذ شقي ومنهم سعيد.

قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

معناه: فأمَّا الذين كتبت عليهم الشقاوة ففي النار[3]، وقال بعضهم: شقوا بفعلهم[4]، وقال بعضهم: شقوا في بطون أمهاتهم، وما شقي أحد

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر والكسائي "يوم يأتي" بياء في الوصل ويحذفونها في الوقف غير أن ابن كثير كان يقف بالياء ويصل بالياء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في وصل ولا وقف.
ينظر: السبعة (٣٣٨/١-٣٣٩) والنشر في القراءات العشر (٣٣٠/٢).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٥/٢-٥٦).
(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٥٠٣/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٠/١١).
(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٧١/٢).
والكشف والبيان للثعلبي من قول ابن عباس (١٨٨/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٢/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٨/٤) من قول ابن عباس.
وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٤٣/١).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨٤/٦).

[٣١٧/أ] بفعله إلا بعد ما شقي في بطن أمه، وما شقي في بطن أمه إلا بعد سابق علم الله تعالى فيه.

وإنما يلحقه اللوم بالشقاوة المجترحة لا بالشقاوة المعلومة، وكذلك السعادة على هذه الجملة. وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ قيل: إن الزفير شدة الأنين في الصدر، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع نحو الزعقة[١] التي تكون من شدة الكرب والحزن، وربما يتبعها الغشية، وعن هذا قالوا: إن الزفير أول صوت نهيق الحمار، والشهيق، آخر صوت من نهيق الحمار[٢]، وسمي رأس الجبل شاهقاً لارتفاعه[٣].

وقوله تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ معناه: دائمين في النار، وقوله تعالى : ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال بعضهم : أراد بذلك مقدار دوام سماء الدنيا وأرضها، وذلك أن العرب إذا أرادت تأكيد التأكيد قالت: ما دامت السماوات والأرض كما يقول الرجل: والله لا كلمتك ما دامت السماوات والأرض وما لاح كوكب وما أضاء القمر وما اختلف الجديدان لا يريد بذلك الشرط وإنما يريد به التأكيد والتبعيد[٤].

كما قال القائل: إذا شاب الغرب أتيت أهلي

والنكت والعيون للماوردي (٥٠٤/٢).
والكشاف للزمخشري (٤٠٤/٢).
وتفسير النيسابوري (٣٢٩/٤).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٧/١٢).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨٤/٦).
ومعاني القرآن للزجاج (٧٩/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١١).

(٢) ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٤/١).
وجامع البيان للطبري (٥٧٧/١٢) عن قتادة.
ومعاني القرآن للزجاج (٧٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧١/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٢/٣).

(٣) ينظر: العين للفراهيدي (٣٦١/٣).
ولسان العرب لابن منظور، شهق (١٩١/١٠).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٧٨/١٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٨١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧١/٢) ونسبه للكلبي ومقاتل.
والكشف والبيان للثعلبي (١٨٩/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٢/٣) ونسبه لأهل المعاني.
وزاد المسير لابن الجوزي (١٥٩/٤).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٣/١١).

وصار القار كاللبن الحليب[١].

أراد بذلك أنه لا يأتي أهله ولذلك علقه بالمستحيل كونه.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ معناه على هذا القول: سوى ما شاء ربك من الخلود بعد مضي مقدار السماء الدنيا وأرضها كما تقول: لك عندي ألف إلا الألفين، يريد بذلك سوى الألفين لك عندي[٢].

وقال بعضهم : ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ما دام سماء النار وأرضها وما دام سماء الجنة وأرضها[٣]. وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ يجوز على وجه التأبيد أيضاً، كما يقول الرجل: أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غير ذلك ثم يقيم مقالته ولا يشاء غير ذلك فيكون ما يشاء أي لا يشاء غيره[٤].

---

(١) لم أقف فيما بين يدي من المصادر والمراجع على هذا البيت منسوباً لأحد، وإنما يستشهد به للأمر المستبعد وقوعه.
ينظر: روضة العقلاء لابن حبان (١٥٨/١).
تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد.
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
وموسوعة الشعر الإسلامي (٢/٨٦).
وقد استشهد به بعض المفسرين.
ينظر: النكت والعيون للماوردي (٢٢٣/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٢٩/٢).
واللباب لابن عادل (١١٣/٩).

(٢) هذا قول الفراء، وقد ذكره كثير من علماء اللغة والتفسير:
ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧٨/٤).
وجامع البيان للطبري (٥٧٨/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٧٩/٣) ومعاني القرآن للنحاس (٣٨١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/٥).

(٣) قال ذلك الضحاك في تفسيره، ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٥/١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧١/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٠٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٣/٣) عن الضحاك.
والجامع لأحكام القرآن (٤١٢/١١) عن الضحاك.

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٧٩/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٨٠/٥).
واللباب في علوم الكتاب (٥٧١/٥).

والفائدة في استثنائه: إظهار قدرته أنه لو شاء لفعل. ويقال معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ ﴾ إلا مقدار موقفهم للحساب(١).

ويقال: إلا مقدار مدة موقفهم في الدنيا(٢). ويقال معنى: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ ﴾ من أنوع العذاب التي يعذبهم بها مما لم يذكر في الآية من الزفير والشهيق(٣).

ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إن هذه الآية وردت في قوم يخرجون من النار يعني إذا كانت شقاوتهم بذنوب دون الكفر فيخرجهم الله تعالى من النار) فيكون معنى الآية: خالدين في النار مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، وهو إذا أخرجهم إلى الجنة فيكونون بعد ذلك خالدين في الجنة (إلا ما شاء ربك) وهو مدة مكثهم في النار(٤).

وقد وضع "ما" موضع "من" في كثير من المواضع فيكون معنى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ من ما شاء ربك(٥). وقد اعترضوا على هذا القول

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٠/٣) والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/٥) نقلاً عن الزجاج.

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/٥) عن ابن كيسان.
والنكت والعيون للماوردي (٥٠٥/٢) عن ابن قتيبة.
والوجيز للواحدي (٥٣٤/١) ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٣/٣).

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٨٠/٣) والنكت والعيون (المرجع السابق).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٦١/٤) نقلاً عن الزجاج، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٣/١١).

(٤) هذا القول ذكره الضحاك في تفسيره (٢٧١/٨)، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٨٩/٥)، عن ابن عباس، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥٠٥/٢) قال: حكاه الضحاك عن ابن عباس وابن الجوزي في زاد المسير (١٦١/٤) عن ابن عباس والضحاك.
وابن كثير في تفسيره (٤٧٦/٢).
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٦/٤-٤٧٧)، إلى ابن جرير عن الضحاك.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢١/١١) وتفسير النيسابوري (٣٣١/٤).

فقالوا: إن هذا القول يقتضي أن يكون الشقي هو السعيد، في الآية أن الناس فريقان، شقي وسعيد. ومما يجاب عن هذا الاعتراض أن يقال: يحتمل أن المراد بالذين شقوا: هم الذين استحقوا عذاب النار، والمراد بالذين سعدوا: الذين سعدوا آخر أمرهم بالسعادة.

إن الله تبارك وتعالى ذكر في أهل الجنة بعد قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ما يدل على أن نعيمهم لا ينقطع[1] فقال عز من قائل : ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ولم يذكر في أهل النار بعد قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ مثل ما ذكره في أهل الجنة، بل وكل أمر أهل النار إلى إرادته ومشيئته، وعقب لفظ المشيئة فيهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ومعناه: إنه يفعل ما يشاء كما يشاء. ومن قرأ (سُعِدُوا) بضم السين فمعناه: الذين رزقوا السعادة كما يقال:جُنَّ الرجل إذا ذهب عقله، ولو كان يراد بالقراءة التي هي بضم السين يسيرهم سُعْداً لقال: اُسعدوا كما يقال:أجَنَّ الرجل إذا فعل به فعلاً يصير بذلك مجنوناً [2].

وقد أشار كثير من المفسرين إلى هذا المعنى عند تفسير (الآية : ٣) من سورة النساء وهي قوله تعالى : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.
ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٣٢/١).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٤٩/٣).
واللباب في علوم الكتاب (١٥٨/٦).
والدر المصون للسمين الحلبي (٥٦١/٣-٦٥٢٦٣١).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٩٠/٥).

(٢) اختلفوا في ضم السين وفتحها من قوله : ﴿وأما الذين سُعدوا﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر(سَعِدُا) بفتح السين، وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم (سُعدِوا) بضم السين.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٣٩/١) والنشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢).
والكشف لمكي (١١١/٢) والحجة لابن خالويه (١٩٠/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٦/٢).

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

معناه: ولا تكن أيها الشاك فيما يُعبد من دون الله باطل، والمرية : هي الشك مع ظهور دلائل التهمة وهي مأخوذة من مري الناقة وهو جر ضرعها للحلب مع ظهور اللبن[1]. وقوله تعالى : ﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم ﴾ معناه : ما يعبدون إلا على جهة التقليد كما كان آباؤهم يعبدون على جهة التقليد. وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ أي حقهم من العذاب غير منقوص من مقدار ماستحقوه، أَيسَّهَم الله تعالى بهذا القول عن العفو، ويقال:أراد بالنصيب في الآية الأرزاق والآجال وما قُدِّر لهم في دنياهم[2].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾.

معناه : ولقد أعطينا موسى الكتاب فصدق به بعضهم، وكذب به بعْضُهم ولولا وعد من الله سبق بإبقاء التكليف على الخلق إلى وقت فناء الدنيا لما علم من المصلحة في إبقاء التكليف عليهم إلى ذلك الوقت لقضى بتعجيل العقاب لمن استحق العقاب في الدنيا، وبتعجيل الثواب لمن استحق

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مرا (٢٧٥/١٥).
وتاج العروس للزبيدي، قرى (٥٢٣/٣٩).
(٢) هذا القول منسوب لمجاهد عن ابن عباس.
ينظر: جامع البيان للطبري (٥٩٠/١٢)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٨٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٢/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٠٧/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٦٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٨/١١).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٧/٠٢) وتفسير السعدي (٣٩٠/١).

الثواب في الدنيا[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ معناه: وإنهم لفي شك من القرآن يريبهم أمره.

قوله عز وجل ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾.

معناه: وإن كلا الفريقين المصدق والمكذب جميعاً يجمعان يوم القيامة فيوفيهم ربك جزاء أعمالهم على التمام إنه بما يعملون لما استحقوا من الجزاء عليم، قرأ ابن كثير[2] ونافع[3] (وإنْ كُلاً لمَا) بالتخفيف، وقرأ أبو عمرو[4] والكسائي[5] (إنَّ) مشددة (لما) خفيفه، وقرأ أبو بكر[6] عن عاصم (إنْ) مخففه (لمَّا) مشددة والباقون كلاهما مشدد[7].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩١/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٢٩/٢) عن السدي.
والكشاف للزمخشري (٣٢١/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٩/١١-٢٢٠).
وتفسير السعدي (٣٩٠/١).

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن زاذان بن هرمز الإمام العالم مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، يكنى أبا بكر، قرأ على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس، وهو قليل الحديث، وثقة النسائي وعاش خمساً وسبعين سنة مات بمكة عسنة عشرين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣١٨/٥-٣١٩) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤١/٣).

(٣) أبو رويم نافع بن عبد الرحمن الشجعي، المقرئ المدني أحد القراء السبعة كان إمام أهل المدينة، وهو من الطبقة الثالثة من الصحابة، رضوان الله عليهم له روايان: ورش وقنبل، مات سنة تسع وخمسين وقيل غير ذلك بالمدينة.
ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٦٨/٥).

(٤) سيد القراء أبو عمرو، زبان بن العلاء البصري النحوي من أئمة البصرة في القراءات والنحو واللغة، أحد القراء السبعة، قرأ على سعيد بن جبير ومجاهد وعلى جماعة سواهم، توفي سنة أربع وخمسين ومائة.
ينظر: الأنساب للسمعاني (٤٦٩/٥)، والوافي بالوفيات للصفدي (٤٨٠/٢).

(٥) سبقت ترجمته (ص: ٦).

(٦) شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الأسدي النهشلي الإمام العلم راوي عاصم، اختلف في اسمه أصحها شعبة من مشاهير القراء كان فقيهاً في الدين، ينظر: الأعلام للزركلي (١٤٤/١).

(٧) ينظر: السبعة (٣٣٩/١).
النشر في القراءات العشر (٣٢٧/٢).

فمن خفف (لمَّا) شدد (إنَّ وإمَّا) عمادٌ وصله كما في قوله تعالى : (عما قليل) [١] و ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٢].فيصير المعنى:وإنَّ كل صنف من السعيد والشقي يوفيهم ربك أعمالهم، ويجوز أن تكون (ما) بمعنى الذي، كأنه قال:وإنَّ كلاً للذي أولمن يوفيهم) [٣].

وإن خفف (إنْ)كان معناها مع اللام معنى إنَّ المشددة.

تقول:إنْ زيداً لقائم، وإنَّ زيداً لقائم، تريد إثبات قيامه، فإن قلت إنْ زيدٌ قائم، فمعناه: ما زيدٌ قائم، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴾ [٤] . بتخفيف "لما" تقديره "لعليها حافظ" ومن شدد "لمَّا" فإن خففت "إن" فتأويله الجحد والتحقيق، لأن "إن" المخففه إذا دخلت عليها "لمَّا" بالتشديد فمعناها النفي، فكأنه قال: (ما كلاً إلا ليوفينهم) ونصب كلاً في قوله : ﴿إن كلاً ﴾ على هذا التأويل بـ (ليوفينهم) لا بـ "إن" [٥].

وإن شدد "إنَّ" فعلى قول الفراء رحمه الله [٦]: (وإنَّ كلاًّ لما ما) ثم قلبت النون ميماً، واجتمعت ميمان فحذفت إحداهما وهي الوسطى فبقيت

والكشف لمكي (١١١/٢).
الحجة لابن خلويه (١٩٠/١-١٩١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٥٦/٢-٥٧).

(١) سورة المؤمنون، (الآية : ٤٠).
(٢) سورة آل عمران (الآية : ١٥٩).
(٣) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢٢٢/٥).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٣٩/٦).
(٤) سورة الطارق ، (الآية : ٤).
(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٧٩/٢-١٨٠).
وجامع البيان للطبري (٥٩٤/١٢-٥٩٥-٥٩٦-٥٩٧-٥٩٨).
ومعاني القرآن للزجاج (٨١/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٩/١١-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٢١/٥).
والدر المصون للسمين الحلبي (٣٩٧/٦-٣٩٨).
(٦) هو يحيى بن زياد بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، والمعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، أمير المؤمنين في النحو ولد بالكوفة وانتقل إلى

(لما) على هذه القراءة بالتخفيف لكن شُدُّدت ومعناها التخفيف كما تقول: ربٍّ وربًّا بالتشديد والتخفيف[1].

قال الزجاج رحمه الله: ويجوز (إنَّ كلاًّ لمًّا ليوفينهم) وهي قراءة سفيان بن عيينه[2] رحمه الله معناه: "وإنَّ كلاًّ ليوفينَّهم جمعاً"[3] لأن معنى اللَّم: الجمع، ويقال: لممْتُ الشيء، أَلُمُّهُ لمًّا إذا جمعته، ويقال: لمَّ الله تعالى شعثك: أي جمع الله تعالى شعثك[4].

قوله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

معناه: فاستقم يا محمد في التمسك بطاعة الله تعالى كما أمرت، ويستقيم من تاب معك، ولا تطغوا لمجاوزة أمر الله تعالى، إنه بما تعملون من الخير والشر بصير.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

معنا: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا بالأنس بهم والمحبة لهم والرضى بفعلهم فتصيبكم النار كما تصيبهم، وما لكم من دون الله تعالى من أعوان

بغداد، له كتاب: معاني القرآن، وكتاب: ا للغات، وكتاب المصادر في القرآن، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة وعمره ثلاث وستنين سنة رحمه الله.
ينظر: الأعلام للزركلي (١٤٥/٨)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٧٦/٦).

(١) معاني القرآن للفراء (١٧٩/٢).
وينظر: جامع البيان للطبري (٥٩٤/١٢).
ومعاني القرآن للزجاج (٨١/٣) وأنكره.
والدر المصون للسمين الحلبي (٤٠١/٦).

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، كنيته أبو محمد من أهل الكوفة، انتقل إلى مكة، يروي عن الزهري وعمرو بن دينار، روى عن أهل الحجاز والغرباء، قال عنه العجلي: كوفي ثقة ثبت في الحديث وكان بعض أهل المدينة يقولون: هو أثبت الناس في حديث الزهري توفي سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون.
ينظر: الثقافت لابن حبان (٤٠٣/٦) وتهذيب الكمال للمزي (١٨٩/١١).

(٣) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المحتسب (٣٢٨/١) عن الزهري وسلمان، وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها.
وينظر: جامع البيان للطبري (٥٩٨/١٢).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٨٢/٣).

يدفعون عنكم عذاب الله تعالى ثم لا يمنعون من ما يراد بكم[١]، ويقال: لا تنصرون على أعدائكم لأن الله تعالى إنما ينصر المطيعين[٢].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

معناه: وأقم الصلاة وقت الغداة والعصر[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ دليل أن تأخير العصر أفضل. وقوله: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ أي ساعة بعد ساعة من الليل يغي صلاة المغرب والعشاء الآخرة[٤] والزُّلَف جمع الزُّلْفَة وهي الساعة القريبة من أول الليل[٥].

ويقال: إن صلاة الظهر داخلة في قوله تعالى: ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ لأنها لا تقام إلا بعد زوال الشمس[٦]، فإذا زالت الشمس فقد دخل الطرف الآخر من

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٤/٢)، وجامع البيان للطبري (٥٩٨/١٢-٥٩٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٣/٢)
والنكت والعيون للماوردي (٥٠٨/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٢٦/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٤/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٥/١٢).
وتفسير السعدي (٣٩٠/١).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٥٩٩/١٢).
(٣) يشير المصنف رحمه الله إلى أن معنى "طرفي النهار" صلاة الفجر والعصر. وهذا أحد قولي الضحاك في تفسير هذه الآية.
ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٥/١).
وجامع البيان للطبري (٦٠٤/١٢) عن الضحاك.
والنكت والعيون للماوردي (٥٠٨/٢) عن الحسن.
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٠/٢).
(٤) وهو قول أكثر العلماء:
ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٦/١) وجامع البيان للطبري (٤٠٩/١٢-٤١٠).
ومعاني القرآن للزجاج (٨٢/٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٩٣/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٤/٢).
(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور، زلف (١٣٨/٩).
وتاج العروس للزبيدي، ز ل ف (٢٣/ ٤٠١).
(٦) هذا القول الثاني للضحاك رحمه الله في تفسير هذه الآية وهو أن المراد بطرفي النهار (صلاة الفجر والظهر والعصر) وهو الذي عليه أكثر العلماء:

من النهار، خصوصاً إذا اعتُبِرَ أول النهار من وقت طلوع الفجر. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قيل معناه: إن الصلوات الخمس يذهبن الصغائر[(١)]. كما روى في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر)[(٢)]. وقيل معناه: إن التوبة تكفر عقاب السيئات[(٣)]، وقيل أراد بالحسنات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[(٤)].

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي ذلك الخطاب [لهم][(٥)] تذكير للذاكرين الذين يذكرون أوامر الله تعالى ويأخذون بها ويذكرون نواهي الله تعالى فيجتنبون عن [٣١٨/أ] المعاصي. وقوله تعالى : ﴿واصبر﴾ أي اصبر على الطاعات وعلى أذى قومك فإن الله لا يبطل ثواب المحسنين في القول والفعل[(٦)]، وقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال

ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٥/١) وجامع البيان للطبري (٦٠٢/١٢-٦٠٣).
ومعاني القرآن للزجاج (٨٢/٣)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٩٢/٦).
=

= وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٤/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥٠٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٠/١١)، وأضواء البيان للشنقيطي (٢٨٠/١) قال:وأقرب الأقوال في الآية: أنه أشار بطرفي النهار إلى صلاة الصبح أوله وصلاة الظهر والعصر آخره، أي: في النصف الأخير منه وأشار بزلف من الليل إلى صلاة المغرب والعشاء.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦١٢/١٢-٦١٣)، من طرق عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن والضحاك. وهو قول أكثر المفسرين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (٢٠٩/١).

(٣) لم أقف عليه فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦١٦/١٢) عن مجاهد-وينظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩٣/٥) والنكت والعيون للماوردي (٥٠٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٠/١١).

(٥) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن.

(٦) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٩٥/٦).

نزلت هذه الآية في رجل تَمَّارٍ يقال له:عمرو بن غُزْية الأنصاري أتته امرأة تبتاع تمراً فأعجبته، فقال: إن في البيت تمراً أجود منه فانطلقي معي حتى أعطيك منه، فانطلقت معه، فلما دخلت البيت وثب عليها فلم يترك شيئاً مما يفعله الرجل بالمرأة إلا وقد فعله إلا أنه لم يجامعها وحذف شهوته ثم ندم فاغتسل، وأتى رسول الله ﷺ فسأله ؟

فقال النبي ﷺ ما أدري ما أرد عليك حتى يأتي فيك شيء فبينما هم كذلك إذ حضرت العصر، فلما فرغ رسول الله ﷺ نزل جبريل عليه السلام بتوبته بهذه الآية فقرأها على رسول الله ﷺ وقرأ هو عليه السلام عليهم، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله أخاص له أم عام ؟ فقال رسول الله ﷺ بل عام للناس كلهم[1].

ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٥/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٦٩/٤-١٧٠).
(١) ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (١٣٣/١-١٣٤-١٣٥).
وأسباب النزول للواحدي (ص: ٢١٨-٢١٩).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٠/١١).
وتفسير ابن كثير (٤٧٩/٢).
وأصل الحديث في البخاري عن ابن مسعود، كتاب: المواقيت، باب: الصلاة كفارة (١٩٦/١).

قوله عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

معناه: فهلا كان من القرون الماضية، وقيل:فَلِمَ لا كان من القرون[1] من قبلكم ذو تمييز ينهون عن المعاصي في الأرض، أي لماذا أطبقوا كلهم على المعصية حتى استحقوا بذلك عذاب الاستئصال، والبقية في اللغة فما يمدح به الإنسان، يقال في فلان بقية وفي بني فلان بقية، وقيل البقية: الخبر من خبر الماضين[2].

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ ﴾ معناه :إلا قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون رحمهم الله فأنجيناهم من العذاب[3]، وقوله تعالى : ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي أقبلوا على ما خولوا في دنياهم واستغنوا بذلك عن طاعة الله تعالى فلم ينتهوا عن الفساد ولا زجروا عنه، والمترف: الذي عود نفسه النعم[4]. وقوله تعالى : ﴿وكانوا مجرمين﴾ أي كانوا مذنبين بترك الأمر بالمعروف.

---

(١) قال ابن عباس والفراء المعني: فلم يكن، وقال ابن قتيبة : فهلا كان من القرون. وبه قال بعض العلماء :
ينظر: معاني القرآن للفراء (١٨١/٢)، وجامع البيان للطبري (٦٢٧-٦٢٨).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (١٩٥/٦-١٩٦)، وبحر العلونم للسمرقندي (١٧٥/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٩٤/٥)، والكشاف للزمخشري (٤١١/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٠/٤).
وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٤٤/١). وينظر: هامش (١) (ص : ٢٧٩)

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٣/٣)، ولسان العرب لابن منظور، بقي (٧٩/١٤).
وتهذيب اللغة للأزهري (٢٦٠/٩).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٢٨/١٢)، والوجيز للواحدي (٥٣٦/١).
وتفسير السعدي (٣٩١/١).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري، باب التاء مع الراء (٤٩٤/١).
ولسان العرب لابن منظور، ترف (١٧/٩)، وتاج العروس للزبيدي، ت ر ف (٥٣/٢٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

قيل معناه: لم يكن ربك مهلك القرى بظلم منه عليهم إذا كان أهلها مصلحين، ولكن كان إنما أهلكهم بظلمهم لأنفسهم، وقيل معناه: لم يكن يهلكهم بظلم يقع من قليلهم حتى يقع الظلم الكثير من كثيرهم فيكون الفساد أغلب[١].

وقيل أراد بقوله تعالى : ﴿بظلم﴾ صغير منهم[٢]، وقيل : لا يهلكهم في الدنيا بشركهم وهم يتعاطون الحقوق فيما بينهم، لأن مكافأة الشرك النار، وإنما يهلك الله تعالى بزيادة المعصية على الشرك كما في قوم لوط وقوم صالح وقوم موسى وغيرهم عليهم السلام[٣].

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء (١٨١/٢)، وجامع البيان للطبري (٦٣٢/١٢-٦٣٣). ومعاني القرآن للزجاج (٨٣/٣)، وأحكام القرآن للجصاص (٣٧٩/٤). والكشاف للزمخشري (٤١٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٤/١١-٢٣٥).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣٧٩/٤).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٧٥/٢) عن ابن عباس.

قوله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾.

قيل معناه: ولو شاء ربك لجعلهم كلهم على دين الإسلام ولكن علم أنهم كلهم ليسوا بأهل لذلك(١)، وقيل: لو شاء لألجأهم إلى الإيمان فآمنوا كلهم ضرورة، ولكن لو فعل ذلك لزال التكليف ولم يستحقوا المدح والثواب(٢).

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي لا يزالون مختلفين في الدين فإن الله تعالى مكنهم من الخير والشر جميعاً إذِ التكليف يقتضي التمكين منها جميعاً (٣). وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ معناه : إلا من عصمه ربك من الباطل والأديان المختلفة بأن لطف به ووفقه للإيمان المؤدي إلى الثواب فهو ناج من الاختلاف بالباطل. وقوله تعالى : ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله معناه : خلقهم أي

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٣٢/١٢) عن قتادة.
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٦/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٥١١/٢) عن سعيد بن جبير.
والوجيز للواحدي (٥٣٦/١).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٥/١١) عن سعيد بن جبير أيضاً.
وتفسير السعدي (٣٩٢/١).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤١٣/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٧٢/٥).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٥/٢).
وجامع البيان للطبري (٦٣٢/١٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٦/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٥١١/٢) عن مجاهد وعطاء.
والوجيز للواحدي (٥٣٧/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٥/١١).

لكي يؤمنوا فرحمهم[1] كما قال عز من قائل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

ويقال معنى قوله : ﴿ ولذلك خلقهم﴾ وللاختلاف خلقهم[3]، فيكون اللام في هذه "لام العاقبة"[4] حتى تكون توفيقاً بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. ويقال معنى قوله : ﴿وتمت كلمة ربك﴾ معناه: ووقعت كلمة ربك صدق بأن وقع مخبرها على ما أخبر به، وهذا إخبار عن المعلوم من حالهم أنهم يفعلون ما يستحقون به العذاب[5].

---

(١) أخرج نحوه ابن جرير في جامع البيان (١٢/٦٣٩-٦٤٠)، عن مجاهد وقتادة وابن عباس والضحاك. وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١٣٥).
ومعاني القرآن للزجاج (٣/٨٤)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٨٩).
وأحكام القرآن للجصاص (٤/٣٨٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٤٧).
وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٧٢).

(٢) سورة الذاريات، (الآية : ٥٦).

(٣) هذا قول الحسن، أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢/٦٣٧).
وينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٢٠٠)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٨٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٧٦)، والنكت والعيون للماوردي (٢/٥١١).
ومعالم التنزيل للبغوي (٣/١٤٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/١٧٣).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للزجاج (١/١٢٩)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/٣٨٠).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/٢٦٩)، والبحر المحيط لأبي حيان (٥/٢٧٣).

(٥) ينظر: فسير مقاتل بن سليمان (٢/١٣٥).
وجامع البيان للطبري (١٢/٦٤١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٣٧).

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

معناه: وكل القصص، ويقال:كل ما يحتاج إليه نُبيِّنُه لك من أخبار الرسل ما يطيب ويسكن به قلبك[1]، وفي هذه تسلية للنبي ﷺ فإنه كان إذا ضاق [٣١٨/ب] صدره بما يكون من الأذى من قومه كان الله يقص عليه شيئاً من أخبار الرسل عليهم السلام المتقدمين مع أممهم ليثبت به فؤاده ولهذا لم يكن تكرار قصص الأنبياء صلوات الله عليهم في القرآن مذموماً .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ أي في هذه السورة الصدق في أن الخلق يجزون على أعمالهم وليس إذا قيل لك وجاءك في هذه الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه، وقيل : أراد بقوله تعالى : ﴿في هذه﴾ الدنيا[2] والموعظة : تعريف القبيح للزجر عنه، وتعريف الحسن للتغريب فيه[3] والذكرى: هي التذكرة.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٤/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٧/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٥١٢/٢).
والوجيز للواحدي (٥٣٧/١)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٣/٤).

(٢) ذكر العلماء في المراد بقوله تعالى : "في هذه" قولين :
الأول : أن المراد هذه السورة وهذا القول منسوب لابن عباس وأبي موسى ومجاهد والحسن في أحد قوليه، وهو الذي عليه أكثر المفسرين.
والثاني: أنالمراد هذه الدنيا وهو منسوب لقتادة والحسن.
ينظر: تفسير مجاهد (٣٠٩/١)، وجامع البيان للطبري (٦٦٣-٦٦٧).
ومعاني القرآن للزجاج (٨٤/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٦/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٥/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٥١٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٨/١١).
وتفسير السعدي (٣٩٢/١).

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (٣٠٥/١)، ولسان العرب لابن منظور، وغط (٤٦٦/٤).
ومختار الصحاح للجوهري، باب الواو (٧٤٠/١).

قولــه عــز وجــل : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

معناه: قل لهم: اثبتوا في ما أنتم عليه كثبات الرجل على مكانه، هذا على وجه التهديد، وقوله تعالى: ﴿انتظروا﴾ أي ما يعدكم الشيطان، فإنا منتظرون نزول ما وعدنا الله تعالى بنا، ونزول ما وعدكم الله تعالى بكم[1].

وقولــه عــز وجــل : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

معناه : إن الله تعالى مالك لما غاب عن العباد في السماوات والأرض وإليه يَرْجِع أمر العباد كله فَأَطِعْهُ وفوِّض أمورك إليه[2]. وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ﴾ لجمع الوعد لمن أطاعه بالثواب والوعيد لمن عصاه بالعقاب. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال(من قرأ سورة هود عليه السلام أُعْطِي من الأجر بعدد من صدق نوحاً وهوداً وشعيباً ولوطاً وصالحاً وإبراهيم وموسى عليهم السلام ومن كذبهم عشر حسنات وكان عند الله يوم القيامة من الشهداء) [3].

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية بلا خلاف[4].

بسم الله الرحمن الرحيم

قولــه عــز وجــل :﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤٨/١١).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٢/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٨/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٨/١١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤٨/١٢-٦٤٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٧/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (١٩٥/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٥/٤).

(٣) هذا الحديث موضوع في فضائل سور القرآن وقد سبق تخريجه مستوفي في نهاية تفسير سورة (يونس : ص٢٩٠-٢٩١).

(٤) ينظر: البيان في عرآي القرآن لأبي عمر والداني (١٦٧/١) قال: ليس فيه اختلاف.
والكشف لمكي (١١٥/٢).

قوله تعالى : ﴿الر﴾ قد سبق تفسيره[١]. وقوله تعالى : ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. قيل معناه : هذه آيات الكتاب. وقيل معناه: سورة يوسف عليه السلام آيات الكتاب على القول الذي يقال : إن (الر) اسم للسورة[٢]، ومعنى (المبين) الفاصل بين الشيئين فيما يوجب الضمير بينهما.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي أنزلنا الكتاب يعني القرآن على مجاري كلام العرب في مخاطباتهم لكي يدركوا [٣] ولو أنزلناه بغير لغة العرب لم يعلموا[٤].

قوله عز وجل : ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

وذلك أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين : سلوا محمد ﷺ [لما][٥] انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وسلوه عن قصة يوسف عليه السلام فأنزل الله عز وجل هذه السورة وذكر فيها سبب انتقال يعقوب مع بنيه إلى مصر[٦].

ويقال: أراد بقوله تعالى : ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ جميع القصص التي في القرآن، فإن الله تعالى ذكر في القرآن أخبار الأمم الماضين وحال رسلهم عليهم السلام وذكر جميع ما يحتاج إليه العباد إلى يوم القيامة بأعذب لفظ في أحسن نظم وترتيب[٧]، فمعنى قوله تعالى : ﴿نحن نقص عليك﴾ أي

---

(١) قد أشار إلى المعاني الواردة فيها عند تفسيره لأول سورة (يونس ص :١٢٨)
(٢) سبق تحقيق هذه الأقوال في بداية سورة يونس (ص : ١٣٠) بما يغني عن إعادته هنا.
(٣) في (ب) بزيادة (لا) والظاهر والله أعلم أنه تصحيف لأن الكلام معها لا يستقيم.
(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (٧/١٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٥/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٨/٢) والنكت والعيون للماوردي (٦/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤١/١١).
(٥) هكذا في النسختين ولعله تصحيف لحرف الاستفهام (لم) كما يقتضيه السياق والله أعلم.
(٦) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٧/٣)، وتأويلات أهل السنة (٢١٠/٦).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٦/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٩٣/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٩/١١) نقلاً عن النحاس.
والبحر المحيط لأبي حيان (٣٥٠/٥).
(٧) ينظر: تفسير الضحاك (٤٥٩/١).
وتفسير مقاتل بن سليمان (١٣٨/٢)، وجامع البيان للطبري (٧/١٣).

نبين لك أحسن البيان. والقصص : مصدر والقاص: هو الذي يأتي بالقصة على حقيقتها[1].

وقوله تعالى : ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ فإن ذكر القصص قد يكون في القرآن وقد يكون في غير القرآن. وقوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ معناه: وقد كنت من قبل نزول جبريل عليه السلام بالقرآن غافلاً عن قصة يوسف عليه السلام وعن الحكمة التي فيها[2].

قوله عز وجل : ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾.

متصل بما قبله فإن معناه: نحن نقص عليك أحسن القصص إذ قال يوسف لأبيه :يا أبتِ[3]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أنه قال لأبيه: إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً نزلن من أماكنها فسجدت لي، وأراد بذلك سجود التحية له والعبادة لله تعالى كما تقدم في سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام[4]، وكانت رؤياه ليلة القدر ليلة الجمعة، وكان تأويل رؤياه عند يعقوب عليه السلام: أن الشمس هو والقمر خالته فإن أم يوسف عليه السلام وهي راحيل [٣١٩/أ] قد ماتت.

ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٩/٣)، والكشاف للزمخشري (٤١٥/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/٤).

(١) معاني القرآن للزجاج (٨٨/٣)، وينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٥/٦).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/٤)، ونسبه للزجاج.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٨/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٧/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٩/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٤٩/٣).
وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٦٤/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٨٨/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٩/٢).
والكشاف للزمخشري (٤١٦/٢)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٣١/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٧٩/٤).

(٤) قال المصنف رحمه الله عند تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وإذا قلنا للملائكة الذين كانوا في الأرض اسجدوا لآدم قال قتادة: سجدة تحية وتكرمة له وعبادة لله تعالى لا لأجل آدم عليه السلام.
قال : كسجود إخوة يوسف عليه السلام، كما قال الله تعالى : ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا ١٠٠﴾ .
(١٤/أ) من المخطوط.

وأن الأحد عشر كوكباً كان إخوة يوسف عليه السلام، وكانوا أحد عشر أخاً له وأنهم كلهم يخضعون ليوسف عليه السلام(١).

وإنما تأويلها على ذلك لأن لا شيء أضوء من الشمس والقمر، ويهتدي بضوئهما أهل الأرض، ثم لا شيء بعدهما أضوء من الكواكب، فدلت رؤياه على أن الذين يخضعون له أئمة الهدى الذين يهتدى بهم الناس(٢).

وقوله تعالى: ﴿ رأيتهم ﴾ثانياً ليس بتكرار لأنه أراد بالرؤية الثانية: رؤية سجودهم له(٣)، وإنما حملت الآية على الرؤيا لا على الرؤية بالعين لأنا نعلم أن الكواكب لا تسجد في الحقيقة للآدميين. ولهذا قال يعقوب عليه السلام: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾.

وأما دخول تاء التأنيث في (يا أبتِ) لا تكون إلا في النداء خاصة لزمت عوضاً عن ياء الإضافة، وقد يسمى المذكر باسم فيه علم التأنيث يقال:غلام نفعه ورجل دُفْعَه ويسمى للذكر باسم المؤنث، ويقال: نفس وعين ويراد بها الرجل(٤).

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس (٣٩٧/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٩/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٩٨/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٦/٣).
والكشاف للزمخشري (٤١٨/٢).
واللباب لابن عادل (١٣/١١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٢/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٧/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٠/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٦٢/٣).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٧/٣).
والكشاف للزمخشري (٤١٨/٢)، ولباب التأويل للخازن (٢٦٢/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢١٨/٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٨٩/٣).

ومن قرأ : (يا أبتِ) بكسر التاء فعلى الإضافة إلى نفسه، ومن قرأ بالفتح فأصله (يا أبتا) حذفت الألف وبقيت الفتحة كما تحذف ياء الإضافة[١].

ومن قرأ (أحد عْشَرَ) بتسكين العين[٢] فهو لتتابع الحركات ولا يجوز إسكان العين في أثنا عشر.وقرئ أحدْ عشر بتسكين الدال[٣].

وأمَّا قراءة العامَّة فهي بنصب الجميع وعليها الناس، وهما اسمان جعلا اسما واحداً . كحضر موت وبعلبك. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فلما قص يوسف رؤياه على أبيه انتهره وزجره لئلا يفطن إخوته، وقال له في السر: إذا رأيت رؤيا بعدها فلا تقصص رؤياك على إخوتك[٤].

فذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾.

---

(١) اختلفوا في (يا أبت) حيث جاء فقرأ بفتح التاء، أبو جعفر وابن عامر، وقرأ الباقون بكسر التاء. ينظر: السبعة (٣٤٤/١).
والنشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢).
والكشف لمكي (١١٥/٢).
والحجة لابن خالويه (١٩١/١-١٩٢).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٠/٢).
والمغني في توجيه القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسين (٢٦٤/٢-٢٦٥).

(٢) واختلفوا في (أحد عشر وأحَدَ عشر وتسعَةَ عَشَرَ) فقرأ أبو جعفر بإسكان العينْ من الثلاثة، ولابد من مد ألف (أثنا) لالتقاء الساكنين. وقرأ الباقون بفتح العين في الثلاثة.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٧٩/٢).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (١٠/٢).
والمعنى في توجيه القراءات العشر للدكتور/ محمد سالم محيسن (٢٠٤/٢-٢٠٥).

(٣) لم أقف على هذه القراءة فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٧/٦) غير منسوب.
وبحرا لعلوم للسمرقندي (١٧٩/٢)غير منسوب أيضاً .

وقيل: أراد بقوله : ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ هذه الرؤيا وإنما كان قصها على يعقوب عليه السلام فقط. وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية[1].

وإنما قال له :﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ على معنى لا تخبرهم بذلك لكي لا يحملهم الحسد والأنفة عن الخضوع له على إنزال الشر به والاحتيال لهلاكه[2]. والكيد: هو طلب الشر بالإنسان على جهة الغيظ عليه[3]. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾ معناه : إن الشيطان عدو ظاهر العداوة لبني آدم فلا تذكر رؤياك لإخوتك لئلا يحملهم الشيطان على الحسد بك وإنزال الضرر بك.

وهذا أصل في جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى حسده وكيده[4] وإن كان الله تعالى قال : ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[5].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)[6].

---

(١) هذا قول أكثر المفسرين رحمهم الله تعالى :-
ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/١٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٧/٦).
والوجيز للواحدي (٥٣٨/١).
والكشاف للزمخشري (٤١٨/٢).
وتفسير السعدي (٣٩٣/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/١٣) وبحر العلوم للسمرقندي (١٧٩/٢).
والكشاف للزمخشري (٤١٩/٢) وزاد المسير لابن الجوزي (١٨١/٤).
وتفسير السعدي (٣٩٣/١).

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني (٢٤١/١).
ولسان العرب لابن منظور، كيد (٣٨٣/٣).
وتاج العروس للزبيدي، كيد (١٢٢/٩-١٢٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٤٥/٣)

(٥) سورة الضحى، (الآية، ١١).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٤/٢٠، رقم ١٨٣).
وفي الأوسط (٥٥/٣ ، رقم ٢٤٥٥) وفي الصغير (٢٩٢/٢) رقم (١١٨٦).
وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد إلى الطبراني في الثلاثة (١٩٥/٨) قال: وفيه سعيد بن سلام العطار .
قال العجلي : لا بأس به ، وكذا أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات إلا خالد بن معدان لم يسمع من معاذ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ معناه : مثل ما رأيت من سجود الشمس والقمر والكواكب لك كذلك يصطفيك ربك ويختارك ربك، والإجتباء مشتق من جبيت الشيء إذا أخلصته لنفسك ومنه جبيت الماء في الحوض[1].

وقوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ قيل معناه : من تأويل الرؤيا لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم[2]. ويقال: نفهمك عواقب الأمور الحادثة[3]، ويقال : نعلمك الشرائع التي لا تُعلم إلاّ من قبل الله تعالى[4].

وقوله تعالى : ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ ﴾ معناه: ويتم نعمته عليك بالنبوة كما أتم نعمة النبوة على أبويك. وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾ أي ويتم نعمته أيضاً على أولاد يعقوب عليه السلام بك لأن ذلك يكون شرفاً لهم أن تكون النبوة فيهم[5].

وللحديث شواهد ذكرها العلماء.
وينظر: جامع الأحاديث (٣٤٠/٤).

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٩١/٣).
ولسان العرب لابن منظور، جبى (١٢٨/١٤).
وتاج العروس للزبيدي، جبي (٣١٦/٣٧).

(٢) وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وبه قال مقاتل.
ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٨/٢).
وجامع البيان للطبري (١٥/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٢/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٨/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨١/٤).

(٣) ينظر: النكت والعيون للماوردي (٨/٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٢/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٩/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٨/١١).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٠٩/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٨/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨١/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٥٩/١١).

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ معناه: عليم بجميع الأمور وبمن هو النعْمة حكيم في أفعاله، وفي بعض التفاسير أن يعقوب عليه السلام كان خطب إلى خاله ابنته راحيل على أن يخدمه سبع سنين فأجابه، فلما جاء الأجل زوَّجه ابنته الكبرى "لايا" فقال يعقوب عليه السلام لخاله: لم يكن هذا شرطي، قال أنا لا أنكح الصغيرة قبل الكبيرة فَهَلُمَّ فأخدُمَنَّك سبع سنين أخرى وأزوجك راحيل، فكان الناس يجمعون الأختين فرعى له يعقوب عليه السلام سبع سنين أخرى فزوجه راحيل، ودفع إلى كل واحدة من ابنتيه أَمَةً تخدمها فوهبتا الأمتين ليعقوب عليه السلام فولدت "لايا" أربعة بنين : روبيل وشمعون ويهودا ولاوي. وولدت راحيل: يوسف عليه السلام وبن يامين، وولدت الأمتان: بنيابيل وبقتايل وودان ونستاجر وجاد واسترقل فجملة بنيه اثنا عشر [٣١٩/ب]ولداً سوى البنات[١].

فإن قال قائل : إن كان يعقوب عليه السلام علم أن الله تعالى يجتبي يوسف عليه السلام ويعلمه من تأويل الأحاديث، فلماذا قال له: لا تقصص رؤياك على إخوتك ؟ وكيف قال لهم : ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾مع علمه بأن الله تعالى سيبعثه رسولاً؟ قيل: يحتمل إن كان عنده علم أن الله سيبلغه هذه المنزلة إذا بقي في الأحياء وسلم من الكيد لأنه عليه السلام قد ذكر ما يكون أمراً بالتحرز من كيدهم ثم قال : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ وجواب آخر وهو الأصح: أنه عليه السلام كان عالماً من طريق القطع أن الله تعالى سيبلغه هذه المنزلة، ولكن كان مع ذلك يخاف من وصول المضار إليه بكيدهم وإن لم يخف الهلاك.

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (١٩١/١) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة : الأولى – ١٤٠٧هـ.
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٠/٢-١٨١).

وأراد بقوله : ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ الزجر لهم عن التهاون في حفظه وإن كان يعلم أن الذئب لا يصل إليه لم يصدقهم في قولهم فأكله الذئب بل حاجهم بما ظهر به، وأما حزنه الشديد على يوسف عليه السلام حتى ذهب بصره مع علمه بسلامته، فقد يحزن الإنسان على المفقود والغائب كما يحزن على الميت بل قد يكون الحزن مع الرجاء أكثر وأقوى من الحزن مع اليأس. فإن قيل : لو كان المراد بإتمام النعمة في الآية النبوة على معنى [أنه] [1] لم يكن إتمام نعم الله تعالى على أبويه من قبل إلا بالرسالة لوجب في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ أن يكون أولاد يعقوب عليه السلام أنبياء؟ فكيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في أمر يوسف عليه السلام وأخيه[2]؟

قيل: يحتمل أن يكون المراد بآل: يعقوب عليه السلام على ما ذهب إليه بعض المفسرين رحمهم الله، فإن كان المراد هو الأول فلا سؤال، وإن كان المراد هو الثاني فيجوز أنهم فعلوا ذلك في حال كونهم مراهقين قبل بلوغ الحلم وقد لا يلام من هذه حاله، وفي قوله تعالى : ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون دليل على صغرهم إذ لولا ذلك لما جاز أن يخاطبوا بذلك أباهم مع عظم محله ولئن كانوا بالغين على ما استدل عليهم بعضهم من قولهم : ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ وقولهم :﴿ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ ﴾ والجواب ما سنذكره في تأويل ذلك من بعد في مواضعه[3]. ويقال: أراد بقوله تعالى : ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ بالتخلص من المحن كما خلص الله تعالى إبراهيم عليه السلام من النار وإسحاق عليه السلام من الذبح، والله أعلم.

---

(١) في (ب) أن.

(٢) أورد المصنف رحمه الله هذا الاعتراض ورد عليه.

(٣) اختلف العلماء في كون إخوان يوسف أنبياء أم لا ؟
وسيأتي التفصيل في ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ (ص: ٤٦٠).

قوله عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾ .

معناه:لقد كان في خبر يوسف عليه السلام وإخوته عِبرةً للسائلين عنهم[١]، وهي أنهم دبروا في قتله ثم أجمعوا على إلقائه في البئر ثم إن الله تعالى مكنه منهم وأظهره عليهم ولم يعاتبهم ولا عاتب غيرهم بما كان منهم.

في قوله تعالى : ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ ما يبعث القارئ للقرآن على تدبره والاعتبار به في أمر الدين والدنيا، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: دخل حبر من اليهود على رسول الله ﷺ فسمع منه قراءة سورة يوسف عليه السلام، فعاد إلى اليهود يعلمهم أنه سمع كما في التوراة فانطلق بنفر منهم فسمعوا كما سمع فقالوا له : من علمكها ؟ فقال ﷺ : الله تعالى علمنيها[٢]، فذلك قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ ﴾ أي لمن سأل أمرهم.

وأراد به أن يُعْلَم علمهم استأنف تعالى خبرهم بقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ﴾ معناه : إنهم قالوا ليوسف وأخوه بنيامين أحب إلى

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧/١٣)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢١٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٠/٢) والكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٢/٤).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٨٠/٢).
وينظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٨٢/٤).
وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس (٢٤٦/١).

أبينا منا ونحن عصبة أي جماعة، والعصبة: العشرة فما فوق ذلك، سموا عصبة لأن بعضهم يتعصب ببعض ويعين بعضهم بعضاً [(١)].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ معناه: إن أبانا لفي خطأ بيِّن في ترك العدل في المحبة بيننا[(٢)]، ويقال: لفي خطأ من التدبير باختياره صغيرين لا منفعة له فيهما علينا، مع أن نسعى في منافعه، ونرعى أغنامه ونتعهدها[(٣)].

فإن قيل: كيف يجوز منهم أن يحسدوا أخاهم ويبيتوا فيما بينهم وجه الحسد بقولهم ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ثم يعدوا زيادة محبة أبيهم لأخيهم ضلالاً وهم الأنبياء ويترشحون للنبوة، وكانت زيادة محبة أبيهم لأخيهم حقاً وصواباً . قيل: إن مثل هذا إنما يكون [٣٢٠/أ] بطريق الاجتهاد ولا يمنع إن اجتهادهم أدى إلى أن ما يفعله أبوهم خطأ في الرأي، وكان يعقوب عليه السلام إنما كان يفعل ذلك بطريق الاجتهاد؛ إمَّا لوحي ورد عليه أو لزيادة شفقة منه عليهما لوفاة أمهما[(٤)].

---

(١) ينظر: العين للفراهيدي (٣٠٩/١).
والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري (٤٨٢/٣).
ولسان العرب لابن منظور، (عصب) (٦٠٢/١).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٣/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦١/١).

(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٨١/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٥/٣).
والنكت والعيون للماوردي (١٠/٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٥١/٣).

(٤) ذهب بعض المفسرين إلى أن إخوة يوسف أنبياء، واستدلوا على ذلك بأنهم الأسباط المذكورين في قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ [البقرة، الآية : ١٣٦].
قال العلامة ابن كثير رحمه الله: واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنه أو حي إليهم وفي هذا نظر ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله ... الآية﴾ وهذا فيه احتمال لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم الأسباط، كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب، يذكر تعالى أنه أوحي إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنَّهم أوحي إليهم، والله أعلم، تفسير ابن كثير (٤٨٧/٢).

قال الحسن رضي الله عنه: إن المؤمن قد يحسد، وضرب المثل بإخوة يوسف عليه السلام، وكان عنده أن مثل هذا الحسد قد يكون صغيرة ولا يمنع من كون فاعله مرشحاً للنبُّوة.

قوله عز وجل : ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) ﴾.

وذلك أنهم عند إظهارهم الحسد فيما بينهم تعدوا إلى نهاية ما يفعله الحاسدين من قتل أو تبعيد على وجه يقع به [اليأس] [١] من اجتماعه مع أبيه وهذه بلية يختص بها من يصحب الرجل المقدم في دين أو دنيا فيجب كل واحد منهم أن لا يتقدمه في الاختصاص بذلك المقدم أحد [غيره] [٢]، فتآمروا بذلك فيما بينهم على أحد هذين الشرين.

وقوله تعالى : ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ معناه : يخل لكم وجهه عن يوسف عليه السلام وتخلص محبته لكم[٣]، وقوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ معناه : وتتوبوا بعد ذلك عن هذا الذنب ويصلح حالكم مع أبيكم. وقيل إنما استخاروا هذين الشرين واستجْرؤا عليه بسبب القول

وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤٢٤/٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٥/١١)، واللباب لابن عاد ل (٢٤/١١).

(١) في (ب) الناس، ولعله تصحيف لكلمة اليأس لأنها هي التي تناسب السياق.
(٢) في (ب) عشر، ولعله تحريف، كلمة غيره.
(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٨١/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٩٩/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٢/٣)، وتفسير السعدي (٣٩٤/١).

الذي قالوا: ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ فرجوا التوبة بعد هذا الفعل[١]، ونظيره قوله تعالى : ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [٢].

قيل في معنى يعزم الإنسان على المعصية ويُسَوِّف التوبة بقول أفعل ذلك ثم أتوب[٣]، ويكون بهذا الرجال كالمستحل للذنب العظيم الذي يقدم الإنسان عليه[٤]، هذا هو التأويل إن ثبت أنهم كانوا بالغين وكانوا مع ذلك أنبياء ولم يثبت[٥]، والله أعلم.

وفي الآية دليل أن توبة القاتل مقبولة خلاف ما قاله بعض الناس؛ لأن الله حكى عنهم قولهم : ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ ولم ينكره عليهم[٦]. وأمَّا قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ فاختلفوا في هذا القائل الذي أشار عليهم بأنقص الشرين وهو الطرح في جُبٍّ قليل الماء، قال بعضهم: هوروبيل وكان أكبرهم سناً [٧]، وقال أكثرهم [هو] [٨] يهوذا وكان أعقلهم وأشدهم وأكثرهم قوة[٩].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٦/٣).
وينظر: تفسير السعدي (المرجع السابق).
(٢) سورة القيامة : (الآية : ٥).
(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٦/٣).
(٤) ينظر تفسير السعدي (٣٩٤/١).
(٥) لم يثبت أنهم أنبياء كما رجحه أكثر العلماء ومنهم الحافظ ابن كثير، كما هو موضح في هامش (١) (ص: ٤٦٠).
(٦) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٦/٣).
وينظر: النكت والعيون للماوردي (١١/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٦٢/١١).
(٧) قاله قتادة: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣١٧/٢).
والطبري في جامع البيان عن قتادة (٢٠/١٣).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩/٨).
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٨٢/٢)، عن قتادة والضحاك.
والماوردي في النكت والعيون (١١/٣) عن قتادة.
وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٤/٤).
(٨) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
(٩) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٩/٢) ومعاني القرآن للزجاج (٩٤/٣).
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٨٢/٢)عن الكلبي.
والماوردي في النكت والعيون (١١/٣) عن السدي.
وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٤/٤) عن أبي صالح عن ابن عباس قال: وبه قال وهب بن مبنه والسدي ومقاتل.

وقال تعالى : ﴿ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ معناه: قال لهم: اطروحه في قعر البئر ليلتقطه بعض السيارة على الطريق، والغابة: هو الموضع الذي غاب عن بصرك، والجب: هو البئر الذي لم تطوى بالحجارة مأخوذة من الجب وهو القطع، سميت جباً لأنه لم يجعل فيه إلا قطع التراب[١].

وقوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ معناه : قال لهم إن كنتم لابد فاعلين به أمراً فاعدلوا إلى الأمر وإلا فاتركوا كل ذلك فتسلموا ويسلم.

والظاهر من قوله تعالى : ﴿في فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ أنه جب مشار إليه معروف[٢] وأنه كان عالما بغيابته فإنه إذا طرح فيه كان أبعد من المكروه فلما أبرموا هذا التدبير وعزموا عليه تلطفوا للوصول إلى مرادهم وجاؤا إلى أبيهم فقالوا كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾. معناه: قالوا لأبيهم يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف هذا

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١١) عن ابن عباس وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٤٧/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢/١٣).
ومعاني القرآن للزجاج (٩٣/٣-٩٤).

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان (٢١/١٣) عن قتادة قال: بئر ببيت المقدس وذكر ذلك: الزجاج في معاني القرآن (٩٥/٣) والثعلبي في الكشف والبيان (٢٠٠/٥)، والماوردي في النكت والعيون (١٢/٣) عن قتناة أيضاً .
كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (١٨٥/٤)أنَّ فيه قولان : أحدهما: بأرض الأردن قال وهب، وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: ببيت المقدس قاله قتادة. وكذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١١)..

هو الأصل في قوله تعالى : (لا تأمنا) أدغم إحدى النونين في الأخرى فالإظهار عند النحويين لأن النونين من كلمتين[1].

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ معنى النصح: إخلاص العمل عن الغش والفساد[2]. وقوله تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أي نذهب ونجيء وينشط، يقرأ كلاهما بالياء والنون[3]، والرتع هو : التردد يميناً وشمالاً للإتساع في الملاذ، ويقال : فلان يرتع في المال: أي يتسع فيه في البلاد[4]ومن قرأ يرتعِ بكسر العين فهومن يرتعي: أي يرعى ماشيته ومن قرأ بالنون وكسر العين، يحتمل هذا المعنى ويحتمل أن يكون معناه: نتحارس ويحفظ بعضنا بعضاً، وقرئ (نُرتعُ) بضم التاء وضم العين[5].

و(نَلْعبْ) بالنون على معنى ترتع إبلنا ونحن نلعب، يقال: رتعت الماشية إذا رعت، وأرْتَعْتَ الماشية إذا رعيتها، ويقرأ (يُرْتِعْ ويُلعَب) بضم اليائين[6]، وأمَّا اللعب فهو :اللعب الذي يطلب منه الفرح من غير عاقبة

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٥/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٠/٥).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري (١٤٢/٥).
ولسان العرب لابن منظور، نصح (٦١٥/٢).
وتاج العروس للزبيدي، نصح (١٧٥/٤).

(٣) اختلفوا في قوله يرْتَعْ ويلعبْ) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما، وقرأ الباقون بالياء فيهما، وكسرَ العين من نرْتع)المدنيان وابن كثير، وأثبت قُنْبل الياء فيها في الحالين كما تقدم وأسكن الباقون العين.
ينظر: السبعة (٣٤٥/١-٣٤٦).
والنشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢).
والكشف لمكي (١١٧/٢-١١٨).
والحجة لابن خالويه (١٩٣/١-١٩٤).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٢/٢-٦٣).

(٤) ينظر: أساس البلاغة للزمخشري (٣١١/١).
لسان العرب لابن منظور، رتع (١١٢/٨).
وتاج العروس، للزبيدي، رتع (٥٩/٢١).

(٥) لم أقف على هذه القراءة فيما بين يدي المصادر والمراجع.

(٦) القراءة الشاذة في قوله يُرتِعْ)بضم الياء وأمَّا ياء يَلعب فليس فيها خلاف.
ينظر: المحتسب لابن جني (٣٣٣/١)، ومعجم القراءات (١٩٤/٤)، تأليف د/ عبد اللطيف الخطيب-الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م-دار سعد الدين للنشر والتوزيع-دمشق-سوريا.

محمودة على ذلك، وهو على وجهين : مباح ومحظور[1] كما ورد في الحديث (كل لعب حرام إلا ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله وفرسه وتأديبه فرسه)[2].

وأمَّا قوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ عن الأسواء، وفي الآية دليل أن اللعب الذي ذكروه كان مباحاً إذ لولا ذلك لأنكره يعقوب عليه السلام[3] وكان عادتهم أن يغيبوا عن أبيهم مدة للرعي فسألوه أن يرسله معهم، وكان هو عليه السلام يحب فيه أن يفرح فإن الفرح أحد ما ينبت الولد.

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

وذلك أن يعقوب عليه السلام ذكر شيئين : الحزن لذهابهم [لبعده][4] عن مشاهدته، والخوف على ولده أن يجره الذئب وحده وقت غفلتهم عنه فيأكله. فأجابوه : أنه يمتنع أن يأكله الذئب وهم جماعة، وأن ذلك لو وقع لكانوا خاسرين. وفي بعض الروايات : أن يعقوب عليه السلام كان رأى

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢٥٤/٣).
ويِنظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٥/٣).

(٢) أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن خزيمة والحاكم من حديث عقبة بن عامر بلفظ "كل ما يلهوا به المرء المسلم باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله).
ينظر: مسند الإمام أحمد -مسند الشاميين-مسند عقبة بن عامر الجهني (١٤٤/٤).
وسنن أبي داود -كتاب الجهاد، باب الرمي (٣٢٠/٢).
والسنن الكبرى للنسائي، باب مالا ينهى عنه من اللعب (٢١٨/١٠).
وسنن الترمذي، فضائل الجهاد، فضل الرمي في سبيل الله (١٧٤/٤).
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.
وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢).
وينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٠/١٨).
وجامع الأحاديث (١٧٣/٨)، وجامع الأصول (٤٣/٥).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٢٤٥/٣).

(٤) ساقطة من (ب).

في منامه أن ذئباً يشتد على يوسف عليه السلام[1] فمن ذلك قال : ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فلقنوا ذلك منه فقالوا حين رجعوا إليه :﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾.

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

في الآية حذف[2] معناه: فأذن لهم في الذهاب به فلما ذهبوا به واتفقت دواعيهم على أن يجعلوه في البئر بعدما كانت دواعيهم مترددة وجعلوه في غايبة الجب، قال السدى رحمه الله: فلما أخرجوه من عند أبيهم أظهروا له العداوة فجعل أخ له يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه لا يرى فيهم رحيما، فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يقول: يا أبتاه لو تعلم ما صنع بابنك؟ فقال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب فدلوه فيه وتعلق بشفير البشر فربطوا يده ونزعوا قميصه، فقال: ردوا علي قميصي، فقالوا له: دع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يلبسونك ويؤنسونك، فدلوه حتى إذا بلغ نصف البئر ألقوه وكان في البئر ماء فسقط فيه، وآوى إلى صخرة فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهوذا، وكان يهوذ يأتيه بالطعام يوماً بعد يوم[3].

---

(١) ذكر ذلك: السمرقندي في بحر العلوم (١٨٣/٢).
والماوردي في النكت والعيون (١٣/٣) ونسبه للكلبي.
والبغوي في معالم التنزيل (١٥٤/٣).
وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٨/٤)، عن أبي صالح عن ابن عباس.
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٥/١١) ونسبه للكلبي.
وهذا القول ضعيف لأن يعقوب لو رأى ذلك لكان وحياً ، ورؤيا الأنبياء حق، ويوسف لم يصبه الذئب.
ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٦/٣)، وروح المعاني للألوسي (١٩٥/١٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٢٩/١٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠١/٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٨٨/٤).
واللباب في علوم الكتاب (٣٥/١١).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٩/١٣-٣٠) عن أسباط عن السدي وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٤/٨)عن أسباط عن السدي أيضاً
كما ذكر نحوه السمرقندي في بحر العلوم (١٨٣/٢) غير منسوب.
والبغوي في معالم التنزيل (١٥٥/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٣٧/٣)نقلاً عن الطبري.
وابن كثير في تفسيره (٤٨٨/٢)عن السدي أيضاً .

وأمَّا قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ فقد اختلفوا في هذا الوحي: ذهب الأكثرون إلى أنه وحي النبوة[1]، ثم اختلفوا فقال بعضهم: أوحى الله تعالى إليه وهو صغير كما فعل بعيسى عليه السلام، وكان فيما أوحي إليه أن أصبر على ما أصابك واكتم حالك فإنك تخبُر أخوتك عما فعلوا بك عن وقت لا يعرفونك حتى تكون أنت الذي تخبرهم.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما-أنه قال: (كان يومئذ ابن سبع عشرة سنة وبقي في الجب ثلاثة أيام) [2].

وفي بعض الروايات أنه لما ألقي في الجب جعل يقول: يا شاهداً غير غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل من أمري فرجاً ومخرجاً فأوحى الله تعالى إليه وهو في البئر[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢١٥/٦-٢١٦).
والنكت والعيون للماوردي (١٤/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٧/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٦٨/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٨/٥).

(٢) ذكر بعض المفسرين هذا القول منسوباً إلى الحسن وبعضهم نسبه إلى ابن السائب.
ينظر: تفسير مجاهد (٣٢١/١) عن الحسن.
وجامع البيان للطبري (٣٣/١٣)عن الحسن أيضاً .
ومعاني القرآن للنحاس (٤٥٩/٣)عن الحسن أيضاً .
والنكت والعيون للماوردي (١٧/٣) عن الكلبي.
وزاد المسير لابن الجوزي (١٩١/٤) عن الكلبي.
ولباب التأويل للخازن (٢٦٨/٣) عن الكلبي.
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٨٨/٥)، عن ابن السائب.

(٣) ينظر: زاد ا لمسير لابن الجوزي (١٩٠/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٦٨/٣).
وتفسير النيسابوري (٣٤٦/٤).

معناه: وجاءوا إلى أبيهم في آخر النهار يتباكون على يوسف، قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا ننتضل[١] أي نتسابق في الدنيا، ويقال: نتسابق في الاصطياد[٢]، ويقال: نستبق في العدو على الأقدام لننظر أينا أعدى وأقوى[٣].

والاستباق في الجملة لا يكون إلا على شيء يتسابقون إليه، والسَّبَقْ: ما يوضع بين أهل السباق في الرمي والركض[٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾ أي تركناه عند متاعنا [ليحفظه][٥] فأكله الذئب وما أنت بمصدق لنا في أمر يوسف لفرط محبتك له وتهمتك إيانا فيه وإن كنا بمحل الصدق عندك[٦]. ويقال: وإن كنا لصادقين في غير هذا الحديث أو عند أنفسنا[٧].

---

(١) قال الفراهيدي: نَضَلَ فلان فلاناً أي فَضَلَه في مراماة فغلبه، وخرج القوم ينتضلون إذا استبقوا في رمي الأغراض، وفلان نضيلي: وهو الذي يراميه ويسابقه، وناضله مناضلة ونضالاً: باراه في الرمي.
ينظر: العين للفراهيدي، نضل (٤٢/٧-٤٣)، ومختار الصحاح للرازي (٦٨٨/١).
ولسان العرب لابن منظور، نضل (٦٦٥/١١).

(٢) هذا القول قال به كثير من المفسرين وهو قول مقاتل وذكره الطبري وبه قال الزجاج والنحاس وغيره، وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٤٢/٢).
وجامع البيان للطبري (٣٤/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (١٩٥/٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٠٣/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٤/٢).

(٣) هذا القول منسوب إلى السدي. ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٤٧/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٣/٥) والنكت والعيون للماوردي (١٤/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨١/١١)، ولباب التأويل للخازن (٢٦٩/٣).
وتفسير السعدي (٣٩٤/١) وكلا المعنيين محتمل في الآية.

(٤) ينظر: العين للفراهيدي، باب القاف والسين (٨٥/٥).
والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير، باب السين مع الياء (٨٤٤/٢).
ومختار الصحاح للرازي، باب السين (٣٢٦/١).
ولسان العرب لابن منظور، سبق (١٥١/١٠).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري (٣٤/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٦/٣).
والنكت والعيون للماوردي (١٥/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٢/٤).

(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢١٧/٦).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٨/٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ معناه: وجاءوا على قميصه بدم ذي كذب فإن الدم ليس بخبر فيوصف بالكذب ولكنه كان سبب الكذب على معنى أنه لو لم يكن على قميصه أثر الدم لما أمكنهم أن يقولوا أكله الذئب. ويقال معنى كذب: مكذوب فيه وذلك أنهم لما ألقوا يوسف عليه السلام في البئر نزعوا عنه ثيابه وذبحوا جدياً ولطخوا ثوبه بدمه ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطر ببالهم أن يقال لهم: إن الذئب إذا أكل إنساناً لابد أن يمزق ثوبه، فلما جاءوا بثوبه إلى يعقوب عليه السلام، ونظر يعقوب عليه السلام إلى ثوبه وقال لهم:ما عهدت ذئباً حَكيماً مثل هذا الذئب، كيف أكل لحمه ولم يمزق قميصه[1]، ولو أنهم كانوا خرقوا قميصه حين لطخوه بالدم لكان ذلك أقوى في إزالة التهمة عنهم، ولكن لابد في المعاصي أن يقترن بها الخذلان.

وأمَّا قوله تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴾ فمعناه: قال لهم يعقب عليه السلام بل زينت لكم في هلاك يوسف عليه السلام فضيعتموه، ويقال: إن يعقوب عليه السلام لما قال [٣٢١/أ] لهم: لو أكله الذئب لشق قميصه، قالوا له: قتله اللصوص. قال لهم: لو قتله اللصوص ما تركوا قميصه، هل أرادوا إلا الثياب أو المتاع فسكتوا متحيرين[2]. فقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي على جميل، وقيل: صبري صبر جميل أولى

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٣٨-٣٩)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٤/٢). وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٧/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٣/٥). والنكت والعيون للماوردي (١٥/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٨/٣). وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٢/٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٤٣٠/٦). واللباب لابن عادل (٤٤/١١)، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٤٧/١). وروح المعاني للألوس (٢١١/١٢).

بي من الجزع[١]، وسئل رسول الله ﷺ عن الصبر الجميل فقال ﷺ : (صبر لا شكوى فيه ومن بَثَّ فلم يصبر) [٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ معناه: استعين بالله على الصبر فيما تقولون، وعن الشعبي[٣] -رحمه الله-أنه كان يقول: إن شريحاً [٤] كان جالساً للقضاء فجاءته امرأة تبكي وتشكو، فقيل له: يوشك أن تكون هذه مظلومة، فقال شريح عليه رحمة الله: قد جاء إخوة يوسف عليه اسلام أباهم عشاءاً يبكون وهم كذبة ظلمة[٥].

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٦٦/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٣/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٠/١١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤١/٣)، عن عبد الرحمن بن يحيى عن ابن أبي جبلة مرسلاً، وابن أبي جبلة، ثقة ينظر: تقريب التهذيب (١٤٩/١)، وتهذيب التهذيب (٤٦/٨) ورجال الطبري جرحاً وتعديلا (١١٧/١).
وعبد الرحمن بن يحيى مجهول. ينظر: رجال الطبري (٣٥٤/١) كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٩/٨)، يسند الطبري بدون زيادة (من بث فلم يصبر)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٨٩/٢).
قال : وهذا مرسل.
قلت : والحديث بهذا الإسناد ضعيف.

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الحميري، من التابعين يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات بالكوفة، من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، قال أبو مخلد: ما رأيت أحفظ من الشعبي، وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.
ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩٤/٤-٢٩٥).
وفيات الأعيان (١٣/٣)، والأنساب للسمعاني (٤٣٢/٣).

(٤) شريح بن الحارث الكندي القاضي يكنى أبا أميه، كوفي تابعي ثقة، ولي الكوفة لعمر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً وعن عمر وعلي وابن مسعود وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعنه وائل الشعبي وقيس بن أبي حازم وابن سيرين.
ينظر: تهذيب التهذيب (٢٩/١٥)، والثقات للعجلي (٤٥١/١).

(٥) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤٢٥/٢).
ومفاتيح الغيب للرازي (٤٢٩/٦)، وغرائب القرآن للنيسابوري (٧٠/٤).
واللباب لابن عادل (٣٩/١).

قال الشعبي -رحمه الله-: كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات (الدم والشق وإلقاؤه على وجهأبيه فارتد بصيراً)[1].

قو[ل الشعبي غير مَشْكِلْ لأنه مراده جنس القميص لا قميص بعينه][2].

قوله عز وجل : ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

معناه: جاءت قافلة من المسافرين الذين يسيرون في البلاد، يروى أنهم جاءوا من قِبَل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق وتحيروا وجعلوا يهيمون في الأرض حتى وقعوا في الأرض التي فيها الجب وهي أرض دوثن بين مدين ومصر فأرسل كل قوم منهم واردهم، -والوارد: الذي يتقدم القوم لطلب الماء-فوافق جُبَّ يوسف عليه السلام مالك بن دعر وهو رجل من العرب من أهل مدين فأدلى دلوه أي : أرسلها في البئر فتعلق بها يوسف عليه السلام فلم يقدر على نزعه من البئر فنظر فرأى غلاماً قد تعل بالدلو فنادى أصحابه وقال: يا بشراى هذا غلام، قالوا ما ذلك يا مالك؟ قال غلام أحسن ما يكون من الغلمان، واجتمعوا إليه وأخرجوه من الجب)[3].

---

(١) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣١٨/٢)، عن سماك عن عامر الشعبي.
كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٨/١٣)، عن سماك به.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٥/٨) من طريق سماك به.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٨٤/٢)، عن سماك عن عامر والجصاص في أحكام القرآن (١٤٧/٣).

(٢) ما بين المعكوفتين أضيف من الهامش لأنه بخط الأصل ومشار له في المتن.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٤٢/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٤/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٣/٥-٢٠٤).
والكشاف للزمخشري (٤٢٦/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٦/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩١/١١).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٠/٣).

وفي قوله تعالى : ﴿ يَـٰبُشۡرَىٰ ﴾ قراءتان، من قرأ بياء الإضافة فهو خطاب للفرح على القلب، كما يقال: يا فرحتي ويا طوباي ويا أسفي، ومن قرأ بغير ياء الإضافة فمعناه: تبشير الأصحاب بيوسف عليه السلام، كما يقال: يا عجباً، ويراد يا أيها القوم اعجبوا[١].

وعن السدى -رحمه الله- أنه قال : إن الوارد نادى رجلاً اسمه بشرى فقال: يا بشراي هذا غلام) [٢]، قال أبو عبيدة: الاختيار بشرى بغير الإضافة لأنه يحتمل البشرى التي هي البشارة ويحتمل نداء رجل اسمه بشرى[٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ معناه: أسر الذين وجدوا يوسف عليه السلام من رفقائهم ومن القافلة مخافة أن يطلب منهم أحد الشركة معهم في يوسف عليه السلام[٤]، وقوله تعالى : ﴿ بضاعة ﴾صدِ بَ على المصدر[١]

وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٤٧/١)نصاً .

(١) واختلفوا في "يا بشراى" فقرأ الكوفيون (يا بشرى) بغير ياء إضافة وقرأ الباقون بياء مفتوحة بعد الالف (يا بشراي).

ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٩٣/٢).

والكشف لمكي (١١٨/٢)، والحجة لابن خالويه (١٩٤/١).

وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٣/٢-٦٤).

والمغني في توجيه القراءات العشر المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن (٢٦٩/٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٤/٣) عن قيس عن الربيع عن السدى وابن أبي حاتم (٣١٢/٨) من طريق يحيى ابن آدم به.

وذكره الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢٢٠/٦).

والجصاص في أحكام القرآن (٢٤٨/٣)، والماوردي في النكت والعيون (١٧/٣).

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢٤١/٥) وأنكره.

وابن كثير في تفسير (٤٨٩/٢) وأنكر ذلك على السدي.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١٨٥/٢).

(٤) ينظر: تفسير مجاهد (٣١٢/١).

أي قالوا فيما بينهم: إذاً نقول: إن أهل الماء استبضعونا بضاعة لنبيعه لهم بمصر[٢]، ويجوز أن يكون بضاعة نصب على الحال على معنى أنهم كتموه حين اعتقدوا التجارة فيه[٣].

ويقال: إن قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ راجع إلى إخوة يوسف عليه السلام فإنه روي أنهم جاءوا بعد ثلاثة أيام فلم يجدوه في البئر فنظروا فإذا القوم نزول بقرب البئر وإذا هم بيوسف عليه السلام، فقالوا: هذا عبد قد أبِقَ منا منذ ثلاثة أيام، وقالوا ليوسف عليه السلام : لئن أنكرت أنك عبد لنأخذنك فلنقتلنك أترى أنا نرجع بك إلى أبيك وقد أخبرناه بأن الذئب قد أكلك؟ وقالوا للقوم: اشتروه منا، فذلك معنى قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾

وجامع البيان للطبري (٤٦/١٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٠٦/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٥/٢) وأحكام القرآن للجصاص (٢٤٨/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (١٧/٣).

(١) لم أجد فيما بين يدي من المصادر والمراجع من قال إنها في موضع نصب على المصدر وإنما أغلب علماء اللغة والتفسير أنها حال. كما ذك المصنف بعد ذلك.
(٢) بحر العلوم للسمرقندي (١٨٥/٢).
(٣) وهو قول الزجاج، ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٨/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٤/٥).
والكشاف للزمخشري (٤٢٧/٢).
وإملاء ما من به الرحمن (٥١/٢).
والدر المصون للسمين الحلبي (٤٦١/٦).
والتحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠/١٢).

بأن طلبوا من يوسف عليه السلام كتمان نسبه[1]، إلاَّ أن القول الذي تقدم أقرب إلى ظاهر الآية[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ يجري مجرى الوعيد فيما كانوا يعملون بيوسف عليه السلام[3]، وفي هذا دليل أن حكم اللقيط حكم الأحرار. وكذلك روي عن عمر وعلي وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين[4].

---

(١) وهذا القول منسوب إلى ابن عباس عند أكثر المفسرين.
ينظر: جامع البيان للطبري (١٣/٤٩)..
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٨٥).
وأحكام القرآن للجصاص (٣/٢٤٨).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/٢٠٤).
والنكت والعيون للماوردي (٣/١٧).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨٩).
وتفسير السعدي (١/٣٩٥).

(٢) وهو أن الذين وجدوا يوسف هم الذين أخفوه عن رفقائهم، وهو ما رجه الطبري -رحمه الله أيضاً .

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٢/٤٨-٤٩).
وبحر العلوم للسمرقندي (٢/١٨٥)
والكشاف للزمخشري (٢/٤٢٧).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٧١).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٤٨).
وذكر ذلك: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٩٧).
عن الحسن بن علي رضي الله عنها.

قوله عز وجل : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : باعه إخوته من مالك بن دعر بعشرين درهماً وكانوا في ذلك يزنون بالأوقية وهي أربعون درهماً فما فوقها، وكانوا يعدون ما دون الأوقية فأصاب كل واحد منهم درهمين فلم يأخذ يهوذا منهم نصيبه وأخذه الآخرون[١].

وقال الضحاك رحمه الله : [باعوه][٢] باثني عشر درهماً[٣].

ويقال بعشرة دراهم لأن اسم الدراهم تقع على الثلاثة إلى العشرة[٤].

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ أي لم يكن لهم رغبة فيه ولا في رده إلى أبيه ولم يعلموا منزلته من الله تعالى، وقيل: كانوا في ثمنه من الزاهدين [٣٢١/ب] أي لم يكن مرادهم الثمن إنما كان غرضهم

---

(١) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (٥٢/١٣)، (٥٩/١٣) عن ابن عباس.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٥/٥) عن عكرمة.
وذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن (٩٨/٣).
والنحاس في معاني القرآن (٤٠٧/٣)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٨٦/٢).
والماوردي في النكت والعيون (١٨/٣).
وابن كثير في تفسيره (٤٨٩/٣-٤٩٠).
والسيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٤).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) أخرج نحوه الطبري في جامع البيان مختصراً (٥٢/١٣) عن الضحاك.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٨٥/٢)، وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٤١/٣).
قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول ﷺ، ويحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين، وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر وأي ذلك، كان فإنها محدودة غير موزونة وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به دخول ضر فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه. جامع البيان (٥٩/١٣).

أن يغيبوه عن أبيهم[1]. ويقال إن قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ كناية عن الذين وجدوه وهو عطف على قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ وأراد بشروه ابتاعوه من إخوته بثمن بخس، أي مبخوس منقوص عن الوزن[2]، يقال: بَخَسَهُ عن حقه أي نَقَّصَه عنه، وقيل: بخس ظلم، فإنهم ابتاعوه وهو حر[3].

وقوله تعالى : ﴿ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ ﴾ أشار إلى تقليلها. وقوله تعالى:

﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ أي كان الذين أسروه يخافون أن يظهر أنه حراً ويأتيهم مالكه إن كان عبداً فيبطل بيعهم[4].

ويقال معنى : (شروه) إن الذين وجدوه باعوه من قوم آخرين من السيارة بثمن حرام[5]. وفي الآية دليل أن الدراهم لا تتعين في العقود لأن الله تعالى سماها ثمناً مع كونها معينة، والثمن:اسم لما يثبت في الذِّمة من الدراهم والدنانير بدلاً من البيعات وإنما يسمى غيرها ثمناً على جهة النسبة بها هكذا قال أهل اللغة[6].

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٣/١)، وتفسير مقاتل بن سليمان (١٤٣/٢).
وجامع البيان للطبري (٦٠/١٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٥/٥)، والنكت والعيون للماوردي (١٩/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٨/١١).

(٢) ينظر: بحرالعلوم للسمرقندي (١٨٥/٢).
والنكت والعيون للماوردي (١٨/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٧١/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٠/٢).

(٣) وهو قول الضحاك ومقاتل : ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٢/١).
وتفسير مقاتل بن سلميان (١٤٧/٢)،وأخرجه الطبري في جامع البيان (٥٤/١٣) عن الضحاك.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٨٥/٢).
والماوردي في النكت والعيون (١٨/٣).

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢١/٦).
والنكت والعيون للماوردي (١٩/٣).

(٥) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٢/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٦/٤).
وتفسير ابن كثير (٤٨٩/٢).

(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٤٩/٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : وذلك أن مالكاً انطلق به حتى قدم مصر ثم خرج بيوسف عليه السلام إلى السوق فتلقاه العزيز وهو خازن الملك وصاحب جنوده وكان يسمى قطفير فباعه مالك منه بعشرين درهماً وحلة ونعلين، قال بن عباس رضي الله عنهما وضحك : فأمَّا الحلة فثوبان أبيضان ثم رجع به العزيز إلى منزله فقال لامرأته[1]:﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾أي منزلته عسى أن ينفعنا في أمورنا، ويقال: عيسى أن نبيعه فنربح على ثمنه.

وقوله تعالى : ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾نتبناه فإنه لا يولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية إلى الأمور، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن أفرس الناس لثلاثة: العزيز في فراسته في يوسف عليه السلام فإن يوسف عليه السلام نفع جميع أهل مصر في غلاَّتهم ومصالحهم، وابنة شعيب في فراستها في موسى عليه السلام حيث قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2].

---

(١) ذكر هذا القول مختصراً .
التعلبي في الكشف والبيان (٢٠٥/٥).
والماوردي في النكت والعيون (١٩/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٤٢/٣).
=
= والزمخشري في الكشاف (٤٢٨/٢).
والخازن في لباب التأويل (٢٧٢/٣).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٩٠/٢)عن العوفي عن ابن عباس وبنصه تقريباً :
في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٥٤٨/١.
والبحر المديد لابن عجيبة (٣٦٦/٣).
(٢) سورة القصص، (الآية : ٢٦)

وأبو بكر في توليته عمر رضي الله عنه من بعده[1].

وذكر وهب[2] بن منبه في كتاب المبتدأ أن مالك بن ذعر عرض يوسف عليه السلام في [نيَّة من يزيد] [3]فبلغ ثمنه بحيث لا يُقْدَر عليه واشتوابوزنه، مرة مسكاً ومرة لؤلؤاً ثم فضة ثم ذهباً [4].

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾ معناه: كما خلصناه من البئر ومن أخوته كذلك مكنا له في أرض مصر لنفع أهلها[5].

وقوله تعالى : ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ عطف على مضمر قبله كأنه قال: دبرنا له ذلك ليتمكن في الأرض ولنعلمه بضروب من العلوم كما يوحى إلى الرسُل مرة بعد أخرى[6]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ معناه: والله غالب على أمر نفسه لا يقدر أحد دفع ما أراد من أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون إن الله تعالى غالب على أمره[7].

---

(١) أخرج قول ابن مسعود ابن أبي شيبه (٥٧٥/٨).
والحاكم في المستدرك (٣٧٦/٢).
والطبري في جامع البيان (٦٣/٣-٦٤).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٧/٨).

(٢) وهب بن منبه الحافظ أبو عبد الله الصنعاني روى عن أبي هريرة يسيراً وعن عبد الله بن عمرو ابن عباس يسيراً وعن عبد الله بن عمرو ابن عباس وأبي سعيد وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، ولد ومات بصنعاء.
ينظر: الأعلام للزركلي (١٢٥/٨-١٢٦) وتهذيب التهذيب (٦٧/٣٥-٦٨) والثقات للعجلي (٣٤٥/٢).

(٣) في ب (في بيع من يزيد).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي (١٨٦/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري (٦٤/١٣-٦٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٨/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠٢/١١).

(٦) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٠/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٩٣/٥).
والدر المصون للسمين الحلبي (٤٦١/٦).
وفتح القدير للشوكاني (٢٠/٣).

(٧) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٨٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٦/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٢٠/٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (لما بلغ ثماني عشرة سنة آتيناه النبوة والفقه وجعلناه حكيماً عليماً، قال: والأشد ثماني عشرة سنة إلى الثلاثين سنة[1]. ويقال: أقصاه اثنان وستون فأمَّا الاستواء فهو أربعون سنة[2]. وقال الحسن -رضي الله عنه-: (أُعطي يوسف عليه السلام الرسالة عند هذه الحالة، وكان أعطي النبوة من قبل)[3].

ويقال : معناه : ﴿آتيناه حكماً وعلماً ﴾ آتيناه الحكم بين الناس فإن الناس كانوا إذا تحاكموا إلى العزيز أمره أن يحكم بينهم لما رأى من عقله وأمانته وعلمه[4]، ويقال معناه : الحكمة في أفعاله باللطف له حتى صارت أفعاله على ما تقتضيه الحكمة[5]. وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

والوجيز للواحدي (١٨٦/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (١٩٩/٤).
وتفسير السعدي (٣٩٥/١).

(١) ينظر: جامع البيان للبطري (٣٨/١٣)، ولم يرضَ هذا القول.
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٧/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٢١/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٨/٣)، ونسبه للكلبي.
ولباب التأويل للخازن (٢٧٢/٣)، ونسبه للكلبي.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٩/٣) والكشف والبيان (المرجع السابق).
والنكت والعيون (المرجع السابق)، والبحر المحيط (٢٩٣/٥).
قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتي يوسف لما بلغ أشده حكماً وعلماً، والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين ولا دلالته له في كتاب (الله) ولا أثر عن الرسول ﷺ ولا إجماع الأمة، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت فالصواب أن يقال فيه كما قال عز وجل، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه والذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ.

(٣) لم أقف على قول الحسن فيما بين يدي من المصادر والمراجع.

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢٣/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٢١/٣).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨١/٣).

(٥) ينظر: النكت والعيون (المرجع السابق)ز

أي كما جازينا يوسف عليه السلام على صبره على المحن كذلك نجزي المحسنين في أقوالهم وأفعالهم.

قوله عز وجل : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: راودته [٣٢٢/أ] امرأة العزيز واسمها زليخا وكان يوسف عليه السلام من أحسن البشر آتاه الله حسن آدم عليه السلام، وكان كضوء النهار ونور الشمس وكان إذا تبسم رأى النور في مضاحكه، وكان بحيث لا يستطيع آدمي أن ينعت نعته[١]، فراودته أي طلبته بمرادها منه، وغلقت الأبواب عليه وعليها وقالت "هيت لكأي هَلُمَّ إلى ما هُيِّأ لك[٢]، قال: "معاذ الله" أي أعوذ بالله تعالى أن أفعل ما لا يجوز فعله، وقيل: أعتصم بالله تعالى عن فعل ما تدعينني إليه.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ ذهب أكثر المفسرين إلى أن معناه: إن زوجك سيدي أحسن تربيتي ومنزلتي مدة مقامي عنده لا أخونه في أهله، وسماه رباً، للرق الذي كان ثبت له في الظاهر عليه[٣]، وقيل معنى

ومفاتيح الغيب للرازي (٤٣٦/٦-٤٣٧).
وأنوار التنزيل (المرجع السابق).

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٨٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٠٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٢٢/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٠/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٧٠/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٩٩/٣)
وبحر العلوم (المرجع السابق).
والوجيز للواحدي (٥٤٢/١).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد (٣١٢/١).
وتفسير مقاتل بن سلميان (١٤٥/٢).
وجامع البيان للطبري (٧٨-٧٩)، عن مجاهد وقتادة وابن أبي نجيح.
وتفسير ابن أبي حاتم (٣٢٤/٨)، عن محمد بن إسحاق.
ومعاني القرآن للزجاج (٩٩/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩١/٣).

قوله: ﴿ إنه ربي ﴾ إن الله تعالى ربي أحسن إلى بتخليصي من البئر ومما قصدني قومي من الإهلاك[(١)].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي لا يأمن ولا ينجوا من عذاب الله تعالى القوم الظالمين. أي الذين يظلمون أنفسهم، أراد بهم الزناه، ويجوز أن يكون أراد به: أنه لو فعل ما دعته إليه لكان ظالماً لزوجها في أهله[(٢)].

وفي قوله تعالى : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ قراءات، قُرئ بفتح الهاء والتاء؛ لأن هيت بمنزلة الأصوات ليس منها فعل ينصرف، ومعناها الحث على سرعة الإقبال وهي غير مشتقة عن شيء يستوي فيها الذكر والأنثى والواحد والجمع فُتحِتَ التاء فلسكوها وسكون الياء قبلها نحو: "كيف وأين" يكون مبنياً على الكسر مثل "أمس وخير"، ومن قرأ بفتح الهاء.

ورفع التاء فعلى أنها مبنية على الضم نحو : "حيثُ ومثلُ" ومن كسر الهاء وضم التاء فمعناه : تهيأت لك، من الهيئة، يقرأ بالهمز وبغير الهمزة، ويقال: "هايئ هيأة" مثل: قابئ قبأة ، ومن قرأ بكسر الهاء وفتح التاء فإنما فتحت التاء لالتقاء الساكنين لئلا تتوالى الكسرات[(٣)].

وتفسير السعدي (٣٩٦/١).

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٢٣/٦).
وإعراب القرآن للزجاج (١٢٦/١).
والنكت والعيون للماوردي (٢٣/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٣/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (٨٠/١٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٧/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٥٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٠٣/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٣/٣).

(٣) قرأ ابن كثير (هَيْتُ لك) بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء، وقرأ نافع وابن عامر (هِيْتَ لك) بكسر الهاء وتسكين الياء ونصب التاء، وروى هشام بن عمار بإسناده عن ابن عامر (هِيْتَ لك) بكسر الهاء وتسكين الياء ونصب التاء، وروى هشام ابن عمار بإسناده عن ابن عامر (هِئتُ لك) من تهيئات لك، بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء وقرأ عاصم وأبو عمر وحمزة والكسائي (هَيْتُ لك) بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٤٧/١).
والنشر في القراءات العشر (٢٩٤/٢-٢٩٥).
والكشف لمكي (١١٩/٢-١٢٠).
والحجة لابن خالويه (١٩٤/١).

وأمَّا قوله : ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾فهو نصب على المصدر، أي أعوذ بالله.

معاذ الله، مثل : سبحان الله وغفران الله[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

قال الحسن رضي الله عنه، أمَّا هَمُّهَا فأخبث هم، وهو العزم على الفاحشة، وأماهمُّه فهو ما طُبِعَ عليه الرجال من شهوة النساء من دون عزم على الزنا[٢] نحو ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله تعالى تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به)[٣].

وقال: بل أحد الهمين أحد الهم بالآخر مع الاختلاف الذي بينهما وإن كان ظاهر المقالة تقضي بالاتفاق لأنه قرن باللفظ ما يدل على اختلاف الهمين[٤] وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾والهم

وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢/٦٤-٦٥).
والمغني في توجيه القراءات العشر للدكتور محيسن (٢/٢٧٠).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٣/١٠١).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٦/٢٢٦)، والكشف والبيان للثعلبي (٥/٢٠٩).
والكشاف للزمخشري (٢/٤٢٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/٢٤٤).

(٢) ذكر قول الحسن: الثعلبي في الكشف والبيان (٥/٢١١).
والماوردي في النكت والعيون (٣/٢٤) وأشار إلى معناه : الجصاص في أحكام القرآن (٣/٢٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أي هريرة يرفعه، كتاب الإيمان والنذور باب: إذا حنث ناسياً في الأيمان حديث رقم (٦٢٨٧) (٦/٢٤٥٤).
كما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة يرفعه أيضاً واللفظ لمسلم، كتاب الإيمان: باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستتر – حديث رقم (٢٠١) (١/١١٦)، وينظر : جامع الأحاديث (٧/٤٩٢)، وجامع الأصول (٢/٦٢).

(٤) أشار إلى هذا المعنى: الجصاص في أحكام القرآن (٣/٢٥٠).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/٣١١).
وهو معنى قول الحسن السابق.

بالشيء في اللغة: هو مقاربة الأمر من غير مواقعة فيه. يقال: هممت أن أفعل كذا فلم أفعل[١].

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ فقد اختلفوا في هذا البرهان قال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم : (رأى صورة يعقوب عليه السلام عاضاً على أنامله) وقال قتادة رحمه الله: سمع صوتاً يا يوسف أيهم بِفعل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ويقال : (نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطير الذي له ريش فيقعد ولا ريش له) [٢] ويقال: خرج كف بينهما بلا جسد مكتوب عليه ثلاثة أسطر[٣] (﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٤].

والثاني : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٥].

والثالث: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴾[٦][٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب همَمَ (٦١٩/١٢).
وتاج العروس للزبيدي، (همم) ١١٨/٣٤).
(٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس.
(٣) وهذا القول منسوب إلى محمد بن كعب القرظي وابن عباس.
(٤) سورة البقرة، (الآية : ٢٨١).
(٥) سورة الإسراء، (الآية : ٣٢).
(٦) سورة الانفطار، (الآية : ١٠)
(٧) وهذه الأقوال ذكرها كثير من المفسرين في تفاسيرهم عند تفسير هذه الآية كابن جرير الطبري وابن أبي حاتم والجصاص، والثعلبي والماوردي والزمخشري وابن الجوزي والخازن وغيرهم.
وهذه الروايات من الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق عقلاً ولا نقلاً، كما أنها تنافي عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله في الفتاوى الكبرى (٢٤٩/٥): (وأمَّا ما ينقل: من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وأنه رأى صورة يعقوب عاضًّا على يده وأمثاله فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم وكل من نقله من المسلمين فعنهم نَقَلَهُ، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفاً واحداً.
انتهى كلامه رحمه الله، وقال الخازن رحمة الله في: لباب التأويل (٢٧٦/٣).
=

وعن محمد[1]بن كعب القرظي رحمه الله قال: يعني : ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ لولا ما علمه من قبح الزنا ووجوب العقوبة عليه) [2]. وهذا كله محذوف الجواب، وجوابه: لولا ذلك العزم على القبيح أو عزم على ما تقتضي شهوته، وهذا كما يقول القائل في من ظلمه: لولا خوفي من الله أي لولا ذلك لشفيت من ظالمي[3].

= وأما روى عن ابن عباس وغيره فحاش ابن عباس أن يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام، ولعل بعض أصحاب القصص وأصحاب الأخبار وضعوه على ابن عباس، وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره أيضاً فإنه لا يكاد يصح بسند صحيح وبطل ذلك وثبت ما بيناه من براءة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وما صدر من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. انتهى كلامه رحمه الله.
وقال العلامة الشنقيطي في كتابه أضواء البيان (٣/٦٠-٦٢).
والجواب الثاني : وهو اختيار أبي حيان: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان، وهذا الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على اللغة العربية-قال: وقد طول المفسرون في تفسير هذين الهمين ونسب بعضهم ليوسف مالا يجوز نسبته لآحاد الفساق، وأمَّا أقوال السلف – والتي ساق بعضها الإمام البغوي هنا- فنعتقد أنه لا يصح عنه أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً مع كونها قادحة في فُسَّاق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة. ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/٢٩٤-٢٩٥)، وقد أجاد الشيخ محمد أبو شهبه رحمه الله وأفاد في الرد على هذه الروايات في كتابه: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير.
ينظر: كتابه : من ص (٢٢٠ إلى ص٢٢٩).
قال الزمخشري في الكشاف (٢/٤٤٠) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ (سورة يوسف ، الآية ٣٢) : وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان.

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٥٠).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/٢١٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣/٢٦).
(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٥٠).
والكشف والبيان للثعلبي (٥/٢١٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣/٢٦).
(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٠١-١٠٢).
وإعراب القرآن للنحاس (٢/٣٥٣).
وإملاء ما من به الرحمن للعكبري (٢/٥١).
روح المعاني للألوسي (١٢/٢١٣).

ويقال: إن المراد بقوله تعالى : ﴿ وهم بها ﴾ النفي دون الإثبات، كأنه قال: ولقد همت به وتم الكلام ثم قال : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أي لولا أن رأى ربه لهم بها، ويكون الهم على هذا التأويل: العزم[١]. واختلف أهل النحو في جواب "لولا" هل يجوز أن يكون متقدماً عليها، قال بعضهم: لا يجوز أن يقال: قد أتيتك لولا زيداً وأكرمتك لولا عمرو، وقال بعضهم: يجوز ذلك ويمكن أن يحمل على هذا القول على تقدير تقديم "لولا" كما يحمل الكلام في كثير من المواضع على التقديم والتأخير[٢].

وأمَّا ما روى عن يوسف عليه [٣٢٢/ب] السلام أنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة وحَلَّ سراويله حتى روى بعضهم خرجت شهوته من أنامله،[٣] فيه ما يمنع صحته لأن من المعلوم أن المشهور في الفاسق إذا شاهد في حال المعصية من يعظمه يلحقه من المهانة ما يمنع معها شهوته، فكيف يجوز أن تضاف هذه الأشياء إلى نبي من أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم وقد أراهم الله تعالى من البيِّنَات مالا غاية بعده ولو كان الأمر على ما قالوه لم يكن صرف الله تعالى عنه السوء لأن الهمَّ بالسوء سوء وقد قال جل ذكره في هذه الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ أي مكنا له في الأرض كذلك أريناه البرهان لنصرف السوء: أي الخيانة، والفحشاء: يعني الزنا ولو كان كما قالوه لم يكن يوسف عليه السلام يستحق

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠١/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٨/٢) والنكت والعيون للماوردي (٢٤/٣).

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط (٢٤٥/٥)، إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد.

(٣) هذه من الإسرائيليات الباطلة التي تقدح في عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم.
ينظر تحقيق ذلك وأقوال العلماء فيه في (ص: ٤٨٧-٤٨٨).

المدح بالإخلاص في طاعة الله تعالى[١]، وقد قال سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

وهذا معنى قراءة الخفض، ومن قرأ (المخْلَصين) بنصب اللام[٢] فمعناه: إنه من عبادنا الذين أخلصناهم واصطفيناهم كما قال في آية أخرى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [٣]. فدلت هذه الدلائل على أنه عليه السلام كان منزهاً عما أضاف إليه بعض المفسرين رحمهم الله.

قوله عز وجل : ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

قال إسماعيل السدي –رحمه الله - : وذلك أن زليخا قالت ليوسف عليه السلام: حين غلقت الأبواب ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتشر من جسدي، فقالت: ما أحسن وجهك، فقال: هو للتراب يأكله، فلم تزل حتى همت به وهم بها حتى رأى يوسف [ﷺ][٤] صورة يعقوب عليه السلام يقول: يا يوسف، فهرب يوسف عليه السلام ليخرج من الباب فأدركته

---

(١) هذا تعليق من المصنف رحمه الله على هذه الروايات.
(٢) اختلفوا في فتح اللام وكسرها من قوله :(إنه من عبادنا المخْلَصين).
فقرأ ابن كثير وأبو عمر وابن عامر (المُخْلِصين) بكسر اللام.
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (المُخْلَصَين) بفتح اللام.
ينظر: السبعة لابن مجاهد (٣٤٨/١).
والنشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢٩٥/٢).
والكشف لمكي (١٢٠/٢-١٢١).
والحجة لابن خالويه (١٩٤/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٥/٢-٦٦).
(٣) سورة ص، (الآية : ٤٦).
(٤) ساقطة من (ب).

لترده فلما خشيت بغوته خرقت مؤخر قميصه[1] فذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ ﴾ والقد: قطع الشيء ما يبين طولاً بالمشقة كقد السير والجلد، وفيه تسميتهم القامة قدّاً [2].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾ معناه: صادفا زوجها على الباب فسبقت المرأة بإلقاء الذنب على يوسف عليه السلام فقالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن تودعه في السجن أو تعذبه بعذاب أليم وهو الضرب الوجيع فلقنته أحد هذين الأمرين وهذه كانت عادتهم في المذنب، فلما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف السلام بُداً من تبرئة نفسه-فقال ما قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ ﴾.

معناه : قال يوسف عليه السلام : هي طالبتني بمرادها من نفسي.
وقوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ روي أنه كان مع زوجها بالباب ابن عم لها حكيم، فقال ابن عمها: قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشُق القميص ولا ندري أيهما كان قدام صاحبه فإن كان شق القميص من قدامه فهي صادقة وإن كان من خلفه فهو صادق، يعني إن كان هو المقبل منها وكانت هي الدافعة له عن نفسها يجب خرق القميص من قُبُل وإن كان هي

(١) أخرج نحو هذه الرواية الطبري في جامع البيان (١٣/٨٠-٨١) عن أسباط بن نصر وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٣٢٦) عن أسباط به.
وأسباط بن نصر لم يتفقوا عليه، كما أن متن هذه الرواية ضعيف ولا ينفع العلم به ولا يضر الجهل به. فاجتمع ضعف السند وضعف المتن فالرواية ضعيفة، ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ أبو شهبة (١/١٥٠).
كما ذكر نحوها: الثعلبي في الكشف والبيان (٥/٢١٠)، عن السدي والبغوي في معالم التنزيل (٣/١٦١)، والخازن في لباب التأويل (٣/٢٧٤).
(٢) ينظر: العين للفراهيدي، باب القاف مع الدال (٥/١٧)، ولسان العرب لابن منظور، باب: قدد (٣/٣٤٣)-وتاج العروس للزبيدي (٩/١١-١٢).

المتباعد منها وكانت هي التابعة له في استباقهما يجب أن يكون الخرق من دبر وكان هذا القول منه على جهة الاستدلال إنما جرت به العادة لاعلى وجه الحكم[١].

وذكر بعض المفسرين رحمهم الله في قوله تعالى : ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ أنه تكلم بهذا القول صبي في المهد لم يكن تكلم من قبل[٢]. وقد طعنوا في هذا القول فقالوا: لو كان الشاهد طفلاً لم يكن لإضافته إلى أهلها معنى. وفائدة:لو كان طفلاً لم يحتج إلى الاستدلال بما جرت به العادة من تبرئة يوسف عليه السلام بل كان يكون قوله معجزة تدلعلى نبوة يوسف عليه السلام وعلى براءته جميعاً [٣].

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٦/١)، وذكر نحوه: السمرقندي في بحر العلوم (١٨٩/٢) عن أبي صالح عن ابن عباس، والجصاص في أحكام القرآن (٢٥١/٣) عن عكرمة. والماوردي في النكت والعيون (٢٨/٣) عن قتادة، وابن الجوزي (٢١١/٤)، عن ابن عباس والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١١) قال: وهو قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وابن عباس ومجاهد والسدي –ورجحه السدي.

(٢) وممن قال ذلك ابن عباس، والضحاك، وسعيد بن جبير.
ورجحه الطبري وابن كثير والشنقيطي رحمهم الله.
ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٦/١).
وجامع البيان للطبري (١٠٧/١٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٩/٢).
وأحكام القرآن للجصاص (٢٥٠/٣)، والنكت والعيون للماوردي (٢٨/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٢/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٨/٣).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٣/٣).
وأضواء البيان للشنقيطي (٢١٧/٢).

(٣) وممن اعترض على هذا القول: عكرمة والضحاك والنحاس.
ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٦/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤١٧/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٢/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٢/١١).
وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٨١/٤).

معناه: فلما رأى ابن عمها قَدُ القميص من خلفه، ويقال: فلما رأى زوجها ذلك قال لها إهانة : إنه من كيدكن[1]، أي قولك : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ من مكركن وصنيعكنَّ ، ووصف كيدكن بالعظم لأن للنساء في اللطف والحيل في باب الكيد ما لا يكون مثل للرجال، ثم قال ليوسف عليه السلام بعدما ظهرت براءته من الذنب: يا يوسف أعرض عن هذا، أي [٣٢٣/أ] أمسك عن ذكرها حتى لا ينتشر في البلد وفي ما بين الناس، ثم أقبل عليها وقال: استغفري لذنبك فإن الخطأ كان منك ثم ألقيته على يوسف.

وقد احتج مالك[2] والحسن[3] بن حيٍّ في الحكم بالعلاقة بهذه الآية على مذهبهما أن اللقطة إذا ادعاها مُدَّعٍ ووصفها، وجب على الملتقط أن يدفعها إليه، وكذا قالا: في اللصوص إذا أخذوا أمتعة فجاء قوم فادعوها

---

(١) في قائل ذلك قولان :
أحدهما الزوج. الثاني: أنه الشاهد.
ينظر: جامع البيان للطبري (١١٣/١٣) وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٠/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٨٩/٢) والكشف والبيان للثعلبي (٢١٥/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٢٩/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٤/١١).

(٢) ملك بن أنس بن مالك بن عمرو بن الحارث، أبو عبد الله المدني الفقيه، أحد الأئمة الفقهاء الأربعة، وإمام دار الهجرة، يروي عن الزهري ونافع وعبد الله بن دينار، كان مولده سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومات سنة تسع وسبعين ومائة، ودفن بالبقيع، روى عنه الثوري والأوزاعي والليث، وكان مالك رحمه الله أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث، وبه تخرج الشافعي رحمه الله وإياه ينص ومذهبه كان ينتحل.
ينظر: الثقات لابن حبان (٤٥٩/٧)، وتهذيب التهذيب (٥/٣٢).

(٣) الحسن بن صالح بن حيي الهمداني الثوري من أهل الكوفة، يروي عن الشعبي وسماك بن حرب، روى عنه أهل الكوفة، كان مولده سنة مائة ومات سنة سبع وستين ومائة، مختف من القوم، وكان فقيهاً ورعاً من المتقشفة وممن تجرد للعبادة ورفض الرئاسة على تشيُع فيه وثقة ابن معينغيره وتكُلم فيه لتشيعه وقال ابن عَدَي ألم أرى له حديثاً منكراً قط.
ينظر: الثقات لابن جبان (١٦٤/٦-١٦٥)، والكامل في الضعفاء (٣٠٩/٢-٣١٠).

ووصفوها كان للسلطان أن يدفعها إليهم، ولا حجة لهما على المذهب لأنه لا خلاف بين الفقهاء أن الأملاك والأيدي لا تُسْتَحَقُ بالعلامات، فإن العطار والدباغ إذا اختلفا في عطر في أيديهما لم يكن العطار أولى من الإسكاف لأجل ذلك من صناعته وإنما اعتبر أصحابنا العلاقة في اليد الحُكِميَّةِ نحو اختلافهم في اختلاف الزوجين في متاع البيت على معنى أن يد كل واحد منهما ثابتة على الجميع من طريق الحكم إلا أن أحدهما أظهر تصرفاً من الآخر في شيء دون شيء، كما قالوا في رجلين تنازعا في دابة لأحدهما عليها حمل وللآخر عليها مخلاه أن القول قول صاحب الحمل، وكذلك قالوا في المؤجر والمستأجر إذا اختلفا في مصراع باب موضوع في الدار أنه إن كان موافقاً لمصراع مغلق في البناء كان القول قول رب الدار وإلا فالقول قول المستأجر[1].

وعن مجاهد رحمه الله : أن امرأتين اختصمتا إلى شريح رحمه الله في ولد هرة قالت إحداهما : هو ولد هرتي هذه، وقالت الأخرى هو ولد هرتي هذه، فقال شريح رحمه الله : ألقوها مع هذه الهرة فإن هي ردت واستقرت فهي لها، وإن هربت وفرت وارتازت فليست لها[2]، وكان هذا القول من شُريح على جهة ما يغلب على الظن، ليستحي المبطل من المدعين فيقر فيحكم عليه بالإقرار.

قوله عز وجل : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٠﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هن أربع نسوة: امرأة ساقي الملك، وامرأة خبازة، وامرأة صاحب سجنه، وامرأة صاحب دوابه[3]، قلن

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٢٥١/٣-٢٥٢) بتصرف يسير من المصنف.
(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٥٣/٣) بتصرف.
(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٠/٢) عن الكلبي.
والكشف والبيان للثعلبي (٢١٦/٥) عن مقاتل.
والنكت والعيون للماوردي (٣٠/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٢/٣).

في امرأة العزيز أنها تدعو عبدها إلى نفسها قد خرق حبه حجاب قلبها فلا تعقل غيره، والشغاف جلدة تشتمل على القلب، يقال: شغفه إذا رماه فأصاب ذلك الموضع منه كما يقال:كَبَدَه إذا أصاب فؤاده[(١)].

وقوله : (حُبًّا) نصب على التمييز كأنهن قلن أصاب حبه وسط قلبها. وسويداء قلبها[(٢)]، ومن قرأ (شعفها) بالعين المهملة فمعناه: ذهب بها الحب كل مذهب، مشتق من سعاف الجبال أي رؤوس الجبال، ويقال: فلان مشعوف بكذا أي ذهب به المذاهب حتى خيف على عقله وعد مجنوناً[(٣)].

وأمَّا تذكير اللفظ من قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ فلأن النسوة تأنيث جمع وقُدِّم عليه الفعل، وتأنيث الجمع تأنيث اللفظ فيبطل، وتأنيث المعنى لأنه لا يجتمع في اسم تأنيثان، فإذا صار كذلك صار فيه وجهان : إن حمل على اللفظ أُنِّث وإن حمل على معنى فرح نسوة أو نحو ذلك ذُكر[(٤)]، وأمَّا قوله تعالى : ﴿لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فمعناه: إنا لنراها في خطأ بَيِّن في حب عبدها يوسف عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (فجعلن يفشين هذا في المدينة فبلغ ذلك زليخا).

وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٤/٤).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٦/١١).
وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٤٩/١).

(١) ينظر: العين للفراهيدي (٣٦٠/٤)، ومعاني لقرآن للزجاج (١٠٥/٣).
وأساس البلاغة للزمخشري (٤٨٠/١).
ولسان العرب لابن منظور، باب : شغف (١٧٨/٩).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٢٣٨/١).
والكشف للزمخشري (٤٣٦/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٤/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣٠١/٥).

(٣) رويت عن الحسن وابن محيصن، وهي قراءة شاذة لا يقرأ بها.
ينظر: المحتسب لابن جني (٣٣٩/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٧٦/٢).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤٣٦/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٤/٣).
واللباب لابن عادل (٧٧/١٠).
والدر المصون للسمين الحلبي (٤٧٤/٦-٤٧٥).

فذلك قوله عز وجل ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

معناه: فلما سمعت امرأة العزيز بكلام هذه النسوة وذمهن لها أرسلت إليهن فدعتهن لوليمة أعدتها [لها](١)، ويقال: إنما سمي قول النسوة مكراً؛ لأنها كانت أطلعتهن واستكتمتهنّ فأفشين سرها وأرادت أن تدفعهن فيما وقعت فيه(٢)، ويقال: كان غرضهن من كلامهن أن تريهن يوسف عليه السلام(٣).

وقوله : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا أي﴾ أصلحت وهيأت لهن مُتّكأً، أمكنةً يقعدن فيها، ووسائد يتكئن عليها، وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما (مُتْكئاً) بالتخفيف بغير الهمزة(٤) قال (والمُتْكالأ َتْرُج)(٥).

وقال الضحاك رحمه الله:هو الزُّمَا ورد(١).

---

(١) هكذا في النسختين ولعل الصواب (لهن).
(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٥/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣١/٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٠/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٣١/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢١٥/٤).
(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٢٢/١٣)، عن ابن إسحاق.
وينظر: الوجيز للواحدي (٥٤٤/١).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٣/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٧٩/٣) عن ابن إسحاق.
(٤) قراءة شاذة لا يقرأ بها وهي أيضاً قراءة علي رضي الله عنه، والحسن وقتادة ويحيى بن يعمر ومجاهد وابن محيصن وابن السميفع.
ينظر: المحتسب لابن جني (٣٣٩/١)، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٧/٢).
(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس (١٢٦/١٣).
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس (٣٤١/٨).
كما ذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٩٠/٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٢١٧/٥).
والماوردي في النكت والعيون (٣٢/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢١٧/٤).

وقال أبو عبيدة رحمه الله :﴿لا يُعْرَف المُتْك في اللغة ولا يمتنع أن يقال: أنه كان في ذلك المجلس فواكه وأترج فأمَّا أن يعرف ذلك من لفظ المُتْك فلا﴾ [٢].

وقوله [٣٢٣/ب] تعالى : ﴿ وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ لتقطع به الفواكه والأترج على ما جرت به العادة، ويقال: كانت وضعت اللحم والخبز بين أيديهن وأعطتهن السكاكين؛ لأنهم كانوا لا يأكلون من اللحم إلا ما يقطعون بسكاكينهم كما يفعله العجم، وقالت ليوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أي عظم عندهن ما رأين من حسنه وجماله وبلغ من شغل قلبهن به ما قطعن أيديهن بما معهن من السكاكين بدل قطع الفواكه[٣].

قال عبد الله بن عباس رضي الله نهما :خدشن أيديهن لا أنهن أبذَّـهَا بالقطع، وهذا مستعمل في كلام العرب يقول الرجل لآخر: قطعت يدي يريد خَدَشْتَها[٤]. وقال قتادة رحمه اللهقَطَّعْن أيديهن حتى ألقينها وهنَّ لا يشعرن[٥]، ولفظ التقطيع في الجملة يقتضي القطع مرة بعد أخرى.

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٨/١)، والكشف والبيان للثعلبي (٢١٧/٥).
قال ابن منظور: والزماورد بالضم طعام من البيض واللحم مُعرب.
ينظر: لسان العرب لابن منظور، متك (٤٨٥/١٠).
والصحاح للجوهري (٢٩٣/٥).

(٢) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٥٤/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٦/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٠/٢-١٩١).
والكشف والبيان للثعلبي (٢١٨/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٣٢/٣).

(٤) هذا القول منسوب لابن عباس ومجاهد.
أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣٣/١٣).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٥/٨).
وذكره الزجاج في معاني القرآن (١٠٦/٣).
والماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢٣٤/٦).
والنحاس في معاني القرآن (٣٢٢/٣)، والسمرقندي في بحر العلوم (١٩١/٢).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٠/٣) عن قتادة.
والطبري في جامع البيان (١٣٥/١٣) عن قتادة.
والثعلبي في الكشف والبيان (٢١٨/٥).
وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣٣/٣).

ويقال: معنى "أكبرنه" حضن من الفرح[١].

قال الشاعر: نأتي النساء على أطهارهن

ولا نأتي النساء إذا كبرن إكباراً[٢].

قال أبو عبيدة رحمه الله: هذا لا يعرف من اللغة وهذا البيت مدون مولد، وهو غير مدون في شيء دواوين، قال: ولا أنكر أن يكون الإنسان في قلب غيره قد تنتهي به إلى الهلاك.

ويقال: معنى أكبرن:آمنَّ[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي قلن معاذ الله أن يكون هذا آدميًّا ليس صورته صورة بشر بل هو ملك كريم ينزل من السماء[٤]، فشبهنه بالملك وهن لم يرين الملك ولكن الناس إذا وُصفُوا بالحسن شُبِّهوا

والبغوي في معالم التنزيل (١٦٣/٣).
وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤٩٤/٣).
قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول أن يقال : إن الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن من الإعظام ليوسف، وجائز أن يكون ذلك قطعاً بإبانة، وجائز أن يكون ذلك قطع حز وخدش ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل. ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٥/١٣).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣١/١٣)، عن ابن عباس.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٤/٨)، عن ابن عباس.
وذكره: الزجاج في معاني القرآن (١٠٦/٣).
والثعلبي في الكشف والبيان (٢١٨/٥).
والماوردي في النكت والعيون (٣٢/٣).
وقد ضعفه الطبري والزجاج والبغوي.

(٢) هذا البيت شاذ لم ينسب لأحد.
وقد استشهد به علماء اللغة غير منسوب.
ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب، كبر (١٢٥/٥).
وتهذيب اللغة للأزهري (١٢٠/١٠).
وتاج العروس للزبيدي، كبر (١٠/١٤).

(٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٥٤/١).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٣٩/١٣-١٤٠).
والكشف والبيان للثعلبي (٢١٩/٥).
والنكت والبيان للثعلبي (٢١٩/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٣٣/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٣).

بالملك، ويشبهون القبح بالشيطان وإن لم يروه[١]. وفي قوله تعالى : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ قراءتان[٢] : بالألف وبغير الألف، وهي مشتقة من قولهم: كنت في حشا فلان، أي: في ناحية فلان، والمعنى في (حاش لله) تنزيهاً لله تعالى وبراءة أي قد نَجَّا الله هذا عن هذا، ومن قال إنه بشر فقد أخطأ في مقالته وأن الله تعالى أعاذه من البشرية، تقول : حاشا لزيد من هذا أي : تنحَّى وتباعد هو عنه، وقد يستعمل (حاشا) في اللغة: بمعنى الاستثناء كقولهم: أتاني القوم حاشا فلان وخلا فلان[٣]، وفي قراءة الحسن رضي الله عنه : (إن هذا إلا مَلِكٌ) بكسر اللام[٤]. وأمَّا نصب قوله تعالى : ﴿بَشَرًا ﴾ فلأن "ما" في مثل هذا الموضع تكون بمعنى "ليس" في لغة الحجاز، وفي لغة تميم لا تكون، فنزل هذا بلغة الحجار[٥]. وقيل:إنما انتَصَبَ بنزع حرف الخفض تقديره: ما هذا ببشر[٦]. ويُقْرأ : ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ أي بعبدٍ مُشْتَرى[٧]. وليست هذه القراءة بشيء لأن الكتابة بالألف، وفي حرف ابن مسعود رضي الله نه (بَشَرٌ بالرفع).

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٤/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩١/٢).

(٢) اختلفوا في "حاش لله" فقرأ أبو عمر بألف بعد الشين لفظاً في حالة الوصل وقرأ الباقون بحذفها، واتفقوا على الحذف وفقاً أتباعاً للمصحف. ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٩٥/٢) والكشف لمكي (١٢١/٢)، والحجة لابن خالوية (١٩٥/١).
وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٧/٢)، والمغني في القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن (٢٧١/٢).

(٣) ينظر : الكشف والبيان للثعلبي (٢١٩/٥).
والكشاف للزمخشري (٤٣٩/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٥/٣).
ومدارك التنزيل للنسفي (٣١٥/٢).

(٤) لم أقف على هذه القراءة في القراءات المتواترة أو الشاذة ولقد ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥١/٣) عن أبو الحويرث والحسن.
وينظر: معجم القراءات للخطيب (٢٥١/٤).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٧/٣-١٠٨)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٩١/٢).
والكشاف للزمخشري (٤٤٠/٢)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٥/٣).

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٩٢/٢)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٩١/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٣).

(٧) هذه قراءة شاذة لا يقرأ بها :

قوله عز وجل : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

معناه: قالت لهن زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه، أي عذلتنني، و"ذا" إشارة إلى يوسف عليه السلام و"كُنَّ"مخاطبةً لهن كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ أي دعوته إلى مرادي فامتنع بالعفَّة، ولئن لم يفعل ما أدعوه إليه ليسجنن في السجن وليكوناً من الأذلة فيه مع السُّرَّاق وقتلة الأنفس، وجعلت هذا القول منها تخويفاً له وهو جالس يسمع[2].

والقراءة الجيدة في "ليكوناً" بالتخفيف أبدلت النون الحقيقة بالألف في الوقف، يقال: اضربا زيداً، وأصله: اضربن زيداً بالنون كما تقول: أرأيت زيداً؟ فتبدل الألف من التنوين[3].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلما قالت زليخا هذا القول

قال هؤلاء النسوة ليوسف عليه السلام: أطع مولاتك[4]، فقال يوسف عليه السلام كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ينظر: المحتسب لابن جني (٣٤٢/١)، ومعاني القرآن للزجاج (١٠٧/٣).

(١) سورة الأعراف، (الآية : ٣٢).
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤٤٠/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٦/٣).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٨/٣).
وهي قراءة الجماعة. في إبدال التنوين بعد فتح ألفاً نحو "ليكوناً، ولنسفعاً".
ينظر: إتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٢٢٩/١).
ومعجم القراءات للخطيب (٢٥٢/٤).
(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٤٧/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩١/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣٤/٣).
والكشاف للزمخشري (٤٤٠/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٠/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٨١/٣).

معناه: قال يوسف عليه السلام نزول بيت السجن أحب إلى أي قد وطنت نفسي على السجن والمصير إليه بدل ما تدعونني إليه من قبح الفعل والعمل.

ومعناه: لو كان في السجن من يراد لكان مرادي السجن دون ما تدعونني إليه، ويجوز أن يكون معناه : إن السجن أسهل علي من ما تدعونني إليه من المعصية[١] [ومن قرأ بنصب السين فهو المصدر[٢] وأراد أن السجن أحب إلي من المعصية][٣] ولا يجوز أن يريد أن حبهم إياه أحب إليه؛ لأن ذلك معصية لله تعالى ولا يجوز أن يحب المعصية ولا أن يرضى بها.

وقوله تعالى : ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ معناه: وإلا تلطف بي بما تصرف عني كيدهن أمل إليهن بهواي وأكن بمنزلة الجاهلين في فعلي، ويقال: وأكن من الجاهلين [٣٢٤/أ] بنعمتك علي وعلى آبائي[٤]. ويقال:إنَّ في قوله تعالى :﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ دليل أن النسوة طلبن منه مثل ما طلبت امرأة العزيز[٥]، فإنه روي أنهن لما رأين يوسف عليه السلام استأذن من امرأة العزيز أن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى امرأة

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٥/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣٩/١١).

(٢) واختلف في (قال رب السِّجن) فقرأ يعقوب بفتح السين هنا خاصَّة على أنه مصدر. وقرأ الباقون بكسرها.
ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٩٥/٢).
إتحاف فضلاء البشر للدمياطي (٦٧/٢).
والمغني في توجيه القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن (٢٧٣/٢).

(٣) ما بين المعكوفتين أضيف من الهامش وهو مشار له في المتن وبخط الأصل ومثبت في (ب).

(٤) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٥٠/١).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٩/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٥/٦).
والنكت والعيون للماوردي (٣٤/٣) ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٤/٣).

العزيز وإلى طاعتها، فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها [فقال يوسف: يارب كانت واحدة فصرن جماعة] [1]. فلهذا قال أصب إليهن[2].

[يقال: أصبأني فصبوت، أي حملني على الجهل وعلى ما يفعل الصبي ففعلت] [3].

قوله عز وجل : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

معناه : فأجابه ربه في دعائه فلطف به بما صرف عنه كيدهن وعصمه من الفواحش إنه هو السميع بدعاء عباده، العليم بضمائرهم ونياتهم[4].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ معناه : ثم بدا للعزيز وأصحابه الذين كانوا يشاورونه لأنه في جلسته، أي ظهر لهم من الرأي ما لم يكونوا يعرفونه من قبل، ذلك أن العزيز كان قال ليوسف عليه السلام : أعرض عن هذا وأمره بالإعراض فقط ثم تغير رَأيه الآن فرأى حبسه إلى مدة حتى تنقطع مقالة الناس ويأتي على هذا الحديث مدة[5].

---

(١) ما بين المعكوفتين أضيف من الهامش لأنه مشار له في المتن وبخط الأصل.وهي مثبتة في (ب)

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٠/١١).

(٣) ما بين المعكوفتين أضيف من الهامش لأنه مشار له في المتن وبخط الأصل.وهي مثبتة في (ب)
وهذا المعنى موجود في معاني القرآن للزجاج (١٠٨/٣).
وينظر: لسان العرب لابن منظور، باب: صبا (٤٤٩/١٤).
وتهذيب اللغة للجوهري (١٧٩/١٢).

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري (١٤٦/١٣-١٤٧).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٦/٦-٢٣٧)
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤١/١١).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٧/٦).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤١/١١)
ولباب التأويل للخازن (٢١٨/٣).

وقوله تعالى : ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي بدالهم حبسه من بعد ما رأوا العلامات، من شق القميص وقطع الأيدي وقضاء ابن عمتها عليها، فحبسه بعد ظهور عذره إلى خمس سنين.

قال السدى -رحمه الله-: قالت امرأة العزيز إن هذا العبد العبراني فضحني فإما أن تأذ لي في الخروج فأخرج فاعتذر إلى الناس، وإمَّا أن تحبسه فيكون عذراً لي[1]. وعن كعب الأحبار أنه قال: لما خلا يوسف عليه السلام بزليخا صاح إبليس وسط جزائر البحار بأصحابه فجاؤا إليه وقالوا: مالك يا سيدهم؟ قال:قد خلا أحسن الناس وجهاً بأحسن الناس وجهاً –وهو يوسف عليه السلام–وأنا من أمرهما على إحدى خلتين : إن واقع يوسف عليه السلام المعصية نكست برأس الخليل، وإن عصمه الله تعالى رجعت خائباً)[2] وبالله التوفيق.

قوله عز وجل : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

روي أنه دخَل على يوسف عليه السلام بعد دخوله بخمس سنين عبدان للملك، صاحب شرابه واسمه "شرها أشلم" وصاحب طعامه واسمه "شرها أبقم"[3] غضب عليها الملك واتهم صاحب المطبخ بأنه يريد أنه يسممه، وصاحب الشراب بأنه مالأه على ذلك فحبسهما جميعاً معاً[4] بعد أن مضى على حبس يوسف عليه السلام بعدما تقدم ذكره.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣/١٥٠)، عن أسباط عن السدي.
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/١٩٢).
والماوردي في النكت والعيون (٣/٣٥)،عن السدي أيضاً .
والبغوي في معامل التنزيل (٣/١٦٥).
ولباب التأويل للخازن (٣/٢٨١).

(٢) هذه من الروايات الإسرائيليات الموضوعة في قصة يوسف عليه السلام، وقد سبق تحقيق ذلك وأقوال العلماء فيه في (ص: ٤٨٧-٤٨٨).

(٣) في تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١٤٩) شرهم أشم وشرهم أقم، وذكر بعض المفسرين غير ذلك من الأسماء، وهذا مما لم يفصل فيه القرآن، وهو لا ينفع العلم به ولا يضرالجهل به.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان عن السدي (١٣/١٥٢).
وابن أبي حاتم عن السدي (٨/٣٥٧).

ومعنى : (ودخل)وجاز معه في الآية لاجتماعهم جميعاً في السجن وإن حبسا بعده بزمان[1]. وقوله تعالى : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾ معناه : قال صاحب الشراب: إني أرى في المنام كأني أعصر العنب للخمر ولم يذكر النَّوم لأن الحال تدل أنَّه لا يرى نفسه في اليقظة يعصر خمراً، وإنما سمى في الآية العنب باسم الخمر لأن الاسم قد يسمى باسم ما يؤول إليه كما يقال للذي يصنع من التمر الدبس هذا يعمل الدبس[2].

وقال الضحاك –رحمه الله -: الخمر هو العنب بعينه بلغة أهل عمان[3]، وقيل في الآية إضمار وتقديره:أعصر عنبا لأصنعه خمراً[4]، ولابد من حمل اللفظ على أحد هذين الأمرين لأن الخمر المايعه لا يتأتى فيها العصر.

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلْأَخَرُ ﴾ معناه: وقال الخباز إني أرى نفسي في المنام أجمل خبزاً مخبوزاً يأكل الطير من ذلك الخبز، قال له : ﴿نَبِّئْنَا

وذكر ذلك: السمرقندي في بحر العلوم (١٩٢/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢١/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٣٥/٣).

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٩/٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٣/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٢/٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٠٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٢/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٣٦/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٨٢/٣).

(٣) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٨/١).
وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٥٥/١٣) عن الضحاك.
وابن أبي حاتم عن الضحاك أيضاً (٣٥٨/٨).
وذكره الزجاج في معاني القرآن (١٠٩/٣).
والنحاس في معاني القرآن (٤٢٥/٣)

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٢/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣٦/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٣/٤).
وهذا قول أكثر المفسرين.

بِتَأۡوِيلِهِۦٓ ﴾ أي بتعبير رؤيانا، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ في السجن، وذلك أن يوسف عليه السلام كان بث علمه في أهل السجن وكان يحدثهم ويجتمعون إليه، فأحبه صاحب السجن وجعله على أهل السجن.

وكان يتعبد الله تعالى نهاره صائماً وليله قائماً وكان يعين المظلوم، وينصر الضعيف، ويعود المريض ويداويه، ويعين المكروب، وإذا احتاج أحد منهم جمع له[1].

وقيل معنى : ﴿مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ من العالمين بعبارة الرؤيا[2]؛ لأنه كان يعبر لغيرهما قبل رؤياهما وكانوا يجدون تأويله على حسب تعبيره، وهذا من قولهم فلان يحسن كذا أي يعمله.

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ ﴾.

وذلك أن يوسف عليه السلام رأى هذين العبدين في السجن مهمومين حزينين، قال لهما: ما بالكما ؟ قالا : لرؤيا رأيناها، قال لهما عليه السلام قصاها علي. فأخبر كما بما فيها. فقالا له : كيف تعلم ولست بساحر ولا بكاهن ولا منجم ؟ فقال لهما يوسف عليه السلام وأراد أن يخبرهما بعلمه

---

(١) ينظر: تفسير الضحاك (٤٦٩/١).
وأخرجه الطبري في جامع البيان عن الضحاك وقتادة (١٥٦/١٣-١٥٧).
وابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك وقتادة أيضاً (٣٦٠/٨).
كما ذكره: السمرقندي في بحر العلوم (١٩٢/٢).
وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٣/٤-٢٢٤).
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٠/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٢/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣٧/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٤/٤).
ولباب التأويل للخازن (٢٨٢/٣).

قبل تعبير الرؤيا، ويبين لهما علامة نبوته ودلالته توحيد الله تعالى كي يُسلما[١] فذلك قوله تعالى : ﴿ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ ﴾.

قال الحسن رضي الله عنه: كان يخبر عما غاب كما كان عيسى عليه السلام يفعل[٢] حيث قال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾[٣]. فيكون معنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ ﴾ وأراد بتأويله تفسير ذلكِ الطعام في لونه ومقداره وكيفيته والسدي رحمه الله قال: معنى قوله تعالى: ﴿ ترزقانه﴾ في المنام، إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة[٤].

ويقال: كان الملك إذا أراد أن يأخذ من السجن أمراً من قبل أو غير ذلك أمر أن يصنع له الطعام ويقدم له إليه، فقال يوسف عليه السلام لهما: لا يأتيكما طعام من عند الملك ترزقانه إلا أخبرتكما بما أراد الملك بذلك الطعام قبل أن يفعل بكما الملك ما يريد أن يفعله بكما[٥].

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ أي ذلك التأويل مما علمني ربي، والتعليم قد يكون بوضع العلم في القلب، وقد يكون ينصب الأدلة

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١١٠/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٩/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٢/٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٦/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/١١).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٢/٢)، والنكت والعيون للماوردي (٣٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/١١)، ولباب التأويل للخازن (٢٨٣/٣).

(٣) سورة آل عمران ، (الآية : ٤٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥٩/١٣)، وذكر الماوردي (المرجع السابق).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٤/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (١٦٦/٣).
والخازن في لباب التأويل (٢٨٣/٣).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن جريج (١٦٢/١٣).
وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣٧/٣).
وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٤/٣).
والبغوي في معالم التنزيل (١٦٦/٣).
والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١١).

التي تستدرك بها العلم. وقوله تعالى : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ وهم بالبعث بعد الموت جاحدون، واتبعت شريعة آبائي : إبراهيم وهو أبو جده إسحاق وهو جده، ويعقوب وهو أبوه عليهم السلام. وقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ظاهر المراد. وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ أي من الله علينا بالنبوة، ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإرسالنا إليهم[١]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ نعم الله تعالى عليهم.

قوله عز وجل : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

معناه: قال: يا صاحبي السجن أعبادة أرباب متفرقون بعضهم من خشب وبعضهم من حجارة ومن فضة ومن ذهب ومع تفرقهم قد شملهم العجز والنقص والحجة، خير أم عبادة الله الواحد القهار الذي لا ولد له ولا شريك؟ (القهار) الغالب الذي لا يعجزه شيء، ما تعبدون أنتم من دون الله إلا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وليست فيها معاني هذه الأسماء التي سميتموها أنتم وآباؤكم، فهذه الأسماء أسماء فارغة عن المعاني[٢].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦٣/١٣) عن ابن عباس.
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٢/٨) عن ابن عباس أيضاً .
وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٩٣/٢).
والماوردي في النكت والعيون (٣٨/٣).
والبيضاوي في أنوار التنزيل (٢٢٨/٣).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١٦٤/١٣-١٦٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٠/١١-٣٥١).

ويقال: كانوا يعبدون أصناماً لم يكن تلك الأصنام بأسامي ولم يكونوا يشيرون إليها كما يُعبد الله تعالى، نحن من دون أن نشير إليه[1]، ولذلك قال: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ أي ما أنزل الله تعالى بعبادتكم لها من حجة.

وقوله تعالى : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي ما القضاء بالأمر والنهي إلا الله تعالى[2] وقد أمر [في الكتب كلها أن لا تعبدوا إلا إياه ولا يجوز العبادة إلا له ولا يستحق العبادة أحد غيره][3].

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ أي الذي أدعوكم إليه، هو الدين القائم الذي يرضاه الله تعالى لا عوج فيه[4] ولكن أكثر الناس لا يعملون ذلك، قال ابن جريج -رحمه الله-: إنما عدل عن تأويل الرؤيا إلى هذه الأشياء

ولباب التأويل للخازن (٢٨٤/٣-٢٨٥).
واللباب لابن عادل (١٠٥/١١-١٠٦).
(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٢٣٤/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٣/٣).
(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٣/٢).
والكشاف للزمخشري (٤٤٤/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٧/٣).
(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من (ب).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٤٢/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٣/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٣٨/٣).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٨٩/٣).

لما رأى في التأويل على أحدهما من المكروه، فلم يدعاه حتى أخبرهما[1].

ويقال: كان عليه السلام من قبل هذا لم يكن يطمع من أهل أن يقبلوا منه ويستمعون إليه، فلما رآهم مقبلين عارفين بإحسانه أمَّل منهم القبول والاستماع فدعاهم إلى توحيد الله تعالى[2]، وإنما حكى الله تعالى ذلك لنا لنقتدي به فيه.

قوله عز وجل : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

روي أن صاحب الشراب قال ليوسف عليه السلام: رأيت كأني أدخل بستاناً فيه كرمة حسنة فرأيت في الكرمة حبلة عظيمة في الحبلة ثلاثة قضبان، وفي القضبان ثلاثة عناقيد قد أينع وبلغ، فأخذتها وعصرتها في الكأس ثم أتيت بها الملك فناولته وسقيته.

فقال يوسف عليه [٣٢٥/أ] السلام: (ما أحسن ما رأيت، أمَّا البستان فسلطانك الذي كنت عليه، وأمَّا الكرمة وحسنها فهي عزك وكرامتك في ذلك العمل، وأمَّا الثلاثة القضبان، فهي ثلاثة أيام تبقى في السجن، ثم يرضى عليك الملك ويخرجك من السجن ويردك إلى أحسن ما كنت عليه). وقال الخباز : رأيت كأني خرجت من مطبخ الملك أجمل فوق رأسي ثلاث

---

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٣/٥)، والنكت والعيون للماوردي (٣٧/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٥/٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/١١).

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٣٩/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٣/٢).
والكشاف للزمخشري (٤٤٣/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٩/١١).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٥٥/٥).

سلال من الخبز فوقع طير على أعلاهن فأكل منها. فقال يوسف عليه السلام: أمَّا خروجك من المطبخ فهو أن تخرج من عملك، وأمَّا الثلاث السلال التي كانت على رأسك ففي ثلاثة [أيام] [1] تكون في السجن وأمَّا أكل الطير فهو أن يخرج الملك بعد ثلاثة أيام ويقتلك ويخرجك ويصلبك وتأكل الطير من رأسك[2]، فقال الخباز:إني لم أرى شيئاً إلا أنَّ صاحبي جاء بالخمر وجئت أنا بالخبز.

ويقال: [إن الخباز] [3]ما كان رأى في الحقيقة شيئاً. فقال لهما يوسف عليه السلام: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، أي فرغ من الأمر الذي سألتما عنه فهو كائن لا محالة رأيتما أم لم تريا[4]. وفي هذا دليل أن الذي كان يقول يوسف عليه السلام كان يقوله من جهة الوحي لأن المعبرين بالرؤيا لا يقطعون على أن ما يفسرونها عليه سيقع لا محالة[5].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ قال يوسف عليه السلام للذي علم أنه ناج منهما وهو صاحب الشراب: أذكرني عند سيدك

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
(٢) ينظر: تفسير مقاتل (١٤٩/٢-١٥٠)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٤/٥).
والكشاف للزمخشري (٤٤٢/٢-٤٤٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٧/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٦/٤).
وتفسير النيسابوري (٣٦٤/٤-٣٦٥).
وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٥٠/١-٢٥٢).
(٣) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ب).
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٦٨/١٣)، عن عبد الله بن مسعود وغيره.
وذكر ذلك: الزجاج في معاني القرآن (١١١/٣).
والسمرقندي في بحر العلوم (١٩٣/٢)، عن ابن مسعود.
والبغوي في معالم التنزيل (١٦٨/٣) عن ابن مسعود أيضاً.
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥١/١١).
والخازن في لباب التأويل (٢٥٨/٣).
(٥) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٤/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٣٩/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٧/٤).

الملك أني مظلوم، عدى علي إخوتي فباعوني وأناحر، وأقمت في السجن وأنا مظلوم، فإنما أقام الظن مقام العلم لأن ذلك يستعمل[١] كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[٢]. ويقال إن الظن في هذه الآية راجع إلى صاحب الشراب كأنه قال: قال يوسف عليه السلام للساقي الذي ظن أن يوسف عليه السلام صادق فيما ذكر من نجاته، وكان هذا السؤال من يوسف عليه السلام على جهة الغفلة[٣].

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ معناه: أنسني الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عليه السلام عند سيده الملك[٤]، أي شغله عن ذلك بما كان يدعوه إليه من اشتغاله بركوب شهواته وخدمته لملكه، وليس النسيان من فعل الشيطان فيه؛ لأن الشيطان لا يقدر على ذلك إلا أنه

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٠/١٣-١٧١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٤/٢).
وأحكام القرآن للجصاص (٢٥٤/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٥/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٧/٤)، وفتح القدير للشوكاني (٣٦/٣).
وهذا قول جمهور المفسرين.

(٢) سورة ا لحاقة، (الآية: ٢).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (١٥٠/٢).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٦/٣).
والكشاف للزمخشري (٤٤٥/٢).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٠/٥).

(٤) وهذا القول منْسوب إلى ابن عباس ومحمد بن إسحاق.
وهو ما رجحه أبو حيان ورجحه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية.
من وجوه عديدة، فقال : بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله : "اذكرني عند ربك" قال تعالى : ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكراً لربه، ومما يبين أن الذي نسي ربه هو الفتى لا يوسف قوله بعد ذلك: "وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ وقوله: ﴿واذكر بعد أمة﴾ دليل على أنه نسي ما ذكر.
ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/١٥-٩)، ومعاني القرآن للفراء (١٩٦/٢).
وأحكام القرآن الجصاص (٢٥٤/٣)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٥/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٠/٣).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٧/٣).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٧/٤).
وبالحر المحيط لأبي حيان (٣١١/٥-٣١٢).

أضيف إليه لأنه حدث عند وسوسته، ويقال كانت وسوسة الشيطان أن خطر بباله أنك إن ذكرت السجن عند الملك يرجعك في السجن فلذلك لم يذكره.

وقيل معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ ﴾ أنسى الشيطان يوسف عليه السلام ذكر ربه حين التمس من الناجي منهما أن يذكره عند سيده وكان من حقه أن يتوكل على الله تعالى في ذلك[(١)].

وقوله تعالى : ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ ﴾بسبب ذلك في السجن بضع سنين محنه وابتلاء في ذلك، البضع في اللغة: ما بين الثلاث إلى السبع واشتقاقه من البضة وهي القطعة من الشيء والقطعة من العدد تقل وتكثر[(٢)] إلا أن المروي في الخبر أنه بقي في السجن بعد هذا القول سبع سنين[(٣)].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (رحم الله أخي يوسف لو أنه ذكر ربه ولم يستعن بالملك ما لبث في السجن ما لبث) [(٤)].

---

(١) هذا قول مجاهد ومقاتل والزجاج وقال به كثير من المفسرين، منهم ابن جرير الطبري.
ينظر: تفسير مجاهد (٣١٦/١).
وتفسير مقاتل (١٥٠/٢).
وجامع البيان للطبري (١٧٢/١٣).
ومعاني القرآن للزجاج (١١٢/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٤/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٥/٥).
والكشاف للزمخشري (٤٤٥/٢).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢٧/٤). وقد ضعفه بعض العلماء كما في الصفحة السابقة.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (١٥٠/٢).
ومعاني القرآن للفراء (١٩٦/٢).
ومعاني القرآن للنحاس (٤٢٩/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٤/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٠/٣).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٧/٣)، قال: وهو قول مجاهد والفراء.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٣/١) عن معمر عن قتادة.
كما أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١٧٥/١٣) عن قتادة أيضاً .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١/٤)، إلى ابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤) أخرج نحوه الإمام أحمد في الزهد عن الحسن.زُهد يوسف عليه السلام (٨٠/١).
بلفظ : (رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث).

وروى أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : أي الناس أكرم حسباً؟ قال ﷺ :أحسنهم خَلْقاً وخُلُقاً . فقال يا رسول الله: أي الناس أكرم حسباً؟ قال ﷺ :أحسنهم عملاً . قال: فأدبر الرجل عنه، فقال له: سألتني عن أي الناس أكرم حسباً؟ يوسف عليه السلام صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، ما منعه ذلك أن لبث في العبودية بضعاً وعشرين سنة) [(1)].

وأخرجه ابن حبان في صحيحه بنحو لفظ أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً ينظر: صحيح ابن حبان، كتاب: التاريخ –ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث- رقم الحديث (٦٢٠٦).

تحقيق/ شعيب الأرنؤوط –الطبعة: الثانية: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت-وذكره ابن حجر في فتح الباري، كتاب الأنبياء باب: قوله تعالى : ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات﴾ (٤٨٣/٦) عن ابن حبان.

وقد رُوي نحو هذا الحديث من طريق آخر عند ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : (لو لم يقل –يعني يوسف-الكلمة التي قالها ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله). جامع البيان (١٧٤/١٣).

وقد ضعف الإمام الحافظ ابن كثير –رحمه الله-هذا الحديث وقال: وهذا الحديث ضعيف جداً، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات ههنا لا تقبل، ولو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم" ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٧/٢).

قلت : وهذا الحديث ضعيف لا يجوز الاحتجاج به، لأنه في معناه يظهر سيدنا يوسف عليه السلام بمظهر الرجل المذنب المدان، وأن سجنه عقوبة من الله من أجل الكلمة التي قالها، مع أنه عليه السلام لم يقل منكراً فالأخذ في أسباب النجاة العادية، وفي أسباب إظهار البراءة والحق، لا ينافي قط التوكل على الله، والبلاء للأنبياء ليس عقوبة، وإنما هو لرفع درجاتهم وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم في باب الابتلاء.

ينظر: الإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد أبو شهبة (٢٣٠/١-٢٣١).

(١) أخرجه الموصلي في الزهد عن نهار العبدي مرسلاً (١٥٤/١)، وذكر نحوه ابن حجر في فتح الباري، كتاب : الأنبياء، باب: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت). [البقرة: ١٣٣] (٤٨٠/٦)، وعزاه الطبراني إلى ابن مسعود وابن عباس، قال: وإسناده ضعيف. قال المناوي في الفتح السماوي (٩٥٥/٣)، وما روي أنه عليه السلام سئل أي النسب أشرف؟ فقال: يوسف صديق لله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق دبيح الله بن إبراهيم خليل الله. فالصحيح أنه قال: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، والزوائد من الراوي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والحديث المرسل لا يقبل بجميع الحالات.

قلت:ويظهر أنَّ زيادة ذبيح الله بعد إسحاق من الإسرائيليات لأنهم الذين يقولون أن إسحاق عليه السلام هو الذبيح والحق أنه إسماعيل عليه السلام، كما وردت الروايات الصحيحة على ذلك.

ينظر: الإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد أبو شهبة (٢٣٠/١-٢٥٣-٢٥٤).

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

روي عن ثابت البُناني[1] -رحمه الله-أنه قال: اشتكى يوسف عليه السلام في السجن فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يعوده فعاده فعرفه يوسف عليه السلام لكثرة اختلافه إلى آبائه عليه وعليهم السلام، فقال له: يا أخا المنذر ما تضع بين المذنبين ؟

فقال له جبريل عليه السلام: يا طاهر ابن الطاهرين رب العزة يقول: من حببك إلى أبيك من بين إخوتك ؟ [٣٢٥/ب] قال: هو، ورفع بإصبعه إلى السماء قال: فمن أنقذك من أيدي إخوتك قال: هو وأشار بيده إلى السماء. قال: فمن سهل لك السيارة في القفر حتى أخرجك من قعر الجب، قال: هو. قال: فمن حببك إلى من كنت عبده حتى اتخذك ولداً، قال: هو، ثم نشر جبريل عليه السلام إلى الأرض ثانياً فانفرجت كلها حتى نظر يوسف عليه السلام إلى الصخرة التي عليها الأرضون، فقال جبريل عليه السلام: يا يوسف ما ترى ؟

قال: صَخرة، قال ما عليها ؟ قال ذرة، قال: ما ترى في فم الذرة؟ قال: أرى طعاماً، قال له : رب العزة سبحانه كما يقول لك يا يوسف أنا أذكر هذه الذرة في هذا الموضع ثم أنساك على وجه الأرض؟ ما استحييت

---

(١) هو ثابت بن أسلم البُنَّاني أبو محمد بصري تابعي ثقة رجل صالح، روى عن ابن عمر، قال يحيى ابن معين: بصري ثقة ذكره ابن عدي في الضعفاء لكنه قال: وهو من ثقات المسلمين وما وقع في حديثه من النكرة فليس ذاك منه إنما هو من الراوي عنه لأنه قد روى عنه جماعة ضعفاء ومجهولين وإنما هو في نفسه إذا روى عن من فوقه من مشايخه فهو مستقيم الحديث.
ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٤٩/٢).
والثقات للعجلي (٢٥٩/١).
والكامل لابن عدي (١٠٠/٢).

مني حتى تقول لعبد مثلك اذكرني عند ربك، ولم تقل يا رب، قال يوسف عليه السلام: يا رب أسألك بحق آبائي إلاَّ غفرت لي، قال: وأي حق لأبائك؟ أمَّا إبراهيم فألقوه في النار فصرفتها عنه فجعلتها برداً وسلاماً، وأمَّا جدك إسحاق فإنه قدمه أبوه للذبح ففديته بذبح عظيم، وأمَّا أبوك يعقوب فأعطيته اثنا عشر ولداً فأخذت واحداً منهم بأن بعدته عنه ما زال يبكي ويشكي حتى ابيضت عيناه. قال يوسف عليه السلام: فأسلك بملكك القديم وفضلك العميم وأياديك الكثيرة إلا غفرت لي، قال: الآن أغفر لك وأخرجك).

قال ثابت رحمه الله : ثم كان بعد ذلك من رؤيا الملك ما كان فأخرجه الله تعالى من السحن[١].

هكذا روى أهل الوعظ هذا الحديث إلا أن هذا الحديث يشتمل على فصول يردها القبول: أحدها: أن يوسف عليه السلام كان لا يخفى عليه أن الذكر والنسيان لا يجوز على الله تعالى مع أنَّ استغاثة المظلوم بأحد من المخلوقين لا تعد من الذنوب، والثاني: أنه لا يجوز لأحد أن يقسم على الله عز وجل بالمخلوقات، ولا أن يقسم عليه سبحانه بحقوق خلقه لأنه لا حق لهم عليه، والثالث: أنه لا يجوز لأحد من أنبيائه عليهم السلام ولا لغيرهم أن يشكوا الله تعالى، لأن ذلك كفر من فاعله، إلا أنا ذكرنا هذه الحكاية على ما رووها وإن كانت غير صحيحة ليعلم ما فيها.

---

(١) ذكر نحو هذه الرواية : البغوي في معالم التنزيل (١٦٨/٣)، عن الحسن.
والخازن في لباب التأويل (٢٨٦/٣).
وهذه الرواية من الإسرائيليات الباطلة ولتي لا توافق نقلاً ولا عقلاً وذلك للأسباب التالية:
١- كونها تطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
٢- ما ورد فيها من أن الذبيح هو إسحاق لا إسماعيل وهذا من وضع أهل الكتاب لعداوتهم المتأصلة للنبي الأمي العربي ﷺ وقومه العرب، فحرفوا التوراة في هذا. ولكن الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين على أن الذبيح إسماعيل.
٣- قد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل الكلمة التي قالها، ينظر: الهامش رقم (١) (ص: ٥١٧).
والإسرائيليات والموضوعات للدكتور/ أبو شهية (٢٣٠/١-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٩).

وأمَّا معنى هذه الآية : فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الملك واسمه ريان بن الوليد رأى في النوم أن سبع بقرات سمان خرجن من نهر من أنهار مصر فخرج بعدهن سبع بقرات عجاف فابتلعت السمان العجاف فدخلن في بطونهن ولم يستبن عليهن شيء فتعجب منهن، ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر يابسات التوين اليابسات على الخضر فعلين خضرتهن ولم يستبن عليهن شيء. فأرسل الملك في هذه الرؤيا إلى العرافين والسحرة والكهنة فجمعهم ثم قص عليهم حديث ما رأى من النوم[1]، وقال لهم : ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي إن كنتم تعبرون الرؤيا، إلا أنه إذا قُدم المفعول على الفعل جاز إدخال لام الإضافة على المفعول لأجل ضعف المفعول[2].

فأما الفتوى فهو بيان حكم الحادثة دون علته[3]؛ وأمَّا عَبْرُ الرؤيا اشتقاقه من عَبْر النهر وهو البلوغ إلى آخر شطه[4].

قوله عز وجل : ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾. معناه: قالت الكهنة والعرافون : هذه أباطيل الأحلام كاذبة وما نحن بتعبير رؤيا الأحلام المختلطة بعالمين، ليس لها عندنا تأويل. والأصل في

---

(١) ينتظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٥١/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٤/٢).
والكشاف للزمخشري (٤٤٦/٢).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٩/١١-٣٦٠).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٠/٥).
وتنوير المقباس (٢٥١/١).
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٢/٣).
(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، فتا (١٤٥/١٥).
وتاج العروس للزبيدي، فتى (٢١٢/٣٩).
والقاموس الفقهي (٢٨١/١).
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٢٢/٣).
واللباب لابن عادل (١١٦/١١).

الأضغاث : أضغاث الحشيش، واحدها ضغث، وهو ملء كف من الحشيش يأخذه الإنسان فيكون فيه ألوان مختلفة[1].

وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تُعبر، وأن الرؤيا على رجل طائر فإن عُبرِّت وإلا سقطت[2]، وذلك لأن القوم فسروا رؤيا الملك أنها أضغاث أحلام، ثم كانت رؤياه صحيحة على حسب ما فسره يوسف عليه السلام.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

معناه : وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة، أي من صاحبي السجن وهو صاحب الشراب الذي نجا من السجن والقتل وتذكر بعد سنين[3]

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٧٩/١٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٥/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٦/٥).
والكشاف للزمخشري (٤٤٧/٢).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٩/٣).

(٢) نقلة عن أحكام القرآن للجصاص (٢٥٥/٣)، وهذا لا يسلم له فهذا من تأثر الجصاص رحمه الله بآراء المعتزلة وتأثر الغزنوي به وفي هذا رد لحديث صحيح.
فقوله : (الرؤيا على رجل طائر فإن عبرت وإلا سقطت).
هو حديث مرفوع أخرجه أحمد، حديث أبي رزين العقيلي (١٠/٤).
وأبو داود، باب ما جاء في تعبير الرؤيا (٧٢٣/٢)، قال الشيخ الألباني : صحيح.
والترمذي، باب : ما جاء في تعبير الرؤيا (٥٣٦/٤).
وابن ماجه، باب الرؤيا إذا عبرت وقعت (١٢٨٨/٢).
من حديث أبي رزين العقيلي، قال الترمذي : حديث حسن صحيح.
وصححه الحاكم، كتاب تعبير الرؤيا (٤٢٣/٤).
ووافقه الذهبي.
وينظر: جامع الأحاديث للسيوطي (٦٣/١٣).
وجامع الأصول (٥٢٢/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري (١٨٣/١٣)، وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٤٨/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٦٩/٣).

ويقال: بعد انقراض أمة[1]، والأمَّة: هي المدة الكبيرة، كما أنها في الجماعة، الجماعة الكثيرة[2].

ومن قرأ (بعد أَمَةٍ) على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فمعناه: بعد نسيان[3]، يقال: أَمَة يأمهُ أمَهاً وأمَّهاً إذا نسي. والإدَّكار: من باب الافتعال أبدلت [٣٢٦/أ] التاء بالدال ثم أدغمت الدال في الدال فيقال: وادَّكر كما يقال اذَّخَر وادَّخر[4].

وقوله تعالى: ﴿أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ قول صاحب الشراب لما عجز العرافون عن تعبير رؤيا الملك وقف بين يديه فخاطبه بلفظ الجماعة كما يخاطب الملوك وقال: أنا أخبركم بتعبير هذه الرؤيا فأرسلون إلى السجن، أيها الملك كنت غضبت علي فحبستني في السجن أنا وخبازك فرأينا فيها رؤيا فقصصناها على رجل في السجن عالم صالح صدوق محسن إلى أهل السجن، فأخْبَرنا بها فكان كما أخبر فارسلون، فدخل عليه في السجن وقال: يوسف أيها الصديق وحذف كلمة النداء اختصاراً كما يقال: زيداً أقبل ويا زيد أقبل[5]، والصديق [الذي][6] يجري على عادته في الصدق، والتَّصديق بالحق وجميع الأنبياء عليهم السلام على هذه الصفة[7].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (المرجع السابق).
النكت والعيون للماوردي (٤٣/٣) عن الحسن.
(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب: أمم (٢٢/١٢).
ومختار الصحاح للجوهري، باب، الألف (٢٠/١).
وتاج العروس للزبيدي (أ م م) (٢٢٩/٣١).
(٣) قراءة شاذة لا يقرأ بها:
ينظر: المحتسب لابن جني (٣٤٤/١).
وإتحاف فضلاء البشر (٦٩/٢).
(٤) ينظر: معاني القرآن للأخفش (٥٢/٢).
ومعاني القرآن للزجاج (١١٣/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٣/٥).
(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١١٣/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٤٣٣/٣).
(٦) ما بين المعكوفتين أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن ومثبتة في (ب).
(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٤٩/٦).

وقولـه تعـالى : ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ﴾ أي قـال لـه : أفتنـا فـي سـبع بقرات سمان خرجن من نهر يبتلعهن سبع بقرات عجاف هالكات من الهزال، وفي سبع سنبلات خضر وأخر يابسات التوين على الخضر وغلبن خضرتهن لإن أرجع بتأويل ذلك إلى الملك والناس فيعلمونه.

قال له يوسف عليه السلام : أمَّا سبع بقرات سمان فهي سبع سنين خصبة، وأمَّا سبع سنبلات خضر فهو الخصب والرخص في سنين الخصب، وأمَّا سبع سنبلات يابسات فهو القحط الغلافي السنين الجدبة ثم علمه يوسف عليه السلام كيف يصنعون[1] كما قال الله عز وجل : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

معنـاه : قـال: تزرعون سبع سنين دائمـاً علـى مـا هـو عـادتكم فمـا حصدتم من الزرع فاتركوه في سنبله لا تدوسونه إلا قليلاً مما تأكلون من ذلك في كل سنة، وإنما أمرهم بهذا لأن الحنطة إذا كانت في سنبلها كانت أبقـى منهـا إذا دِيسَـت[2] وأنهـا إذا دِيسَـت تآكلـت ففسـدت بمضـي المـدة

وبحر العلوم للسمرقندي (١٩١/٢)، والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٥).
وأوار التنزيل للبيضاوي (٢٩٢/٣).
ولباب التأويل للخازن (٢٨٧/٣).

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٢/٢)، وجامع البيان للطبري (١٨٧/١٣-١٨٨).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٦٩/٢).
ولباب التأويل للخازن (٢٨٧/٣).
وتفسير السعدي (٣٩٩/١).

(٢) داس: دارس الزرع وأداسه درسه: دقة ليتخلص الحب من القشور.
ينظر: معجم لغة الفقهاء (٢٠٥/١).
ولسان العرب، باب (درس) (٧٩/٦).
والقاموس الفقهي، حرف الدال (١٣٢/١)

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٢/٢).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٥).

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ أي يأتي سبع قحاط منها على الناس ضيق شديد تأكلن فيها ما ادخرتم من زروع السنين المخصبة إلا شيئاً قليلاً تحصنونه في موضع من المواضع، ونسب الأكل إلى السنين القحاط على التوسع لأن الأكل كان يقع فيها[1].

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ ﴾ معناه: أن يوسف عليه السلام قال: ثم يأتي من بعد هذه السنين الأربع عشرة، سنة فيها يغاث الناس، يجوز أن هذا من الغوث أي يُغثِ الله تعالى في تلك السنة عبادة فيزكوا فيها زروعهم وفواكههم وأعنا بهم، ويجوز أن يكون معناه: ما يُعصر من المطر أي يأتيهم الله تعالى بالأمطار والخصب في تلك السنة[2].

وقوله تعالى : ﴿ وفيه يعصرون ﴾ يجوز أن يكون معناه: ما يعصر ما يخرج من الأشجار والكروم، ويجوز أن يكون معناه: ينجون من البلاء والشدة ويعتصمون بالخصب[3] يقال فلان في عُصْر وفي عُصُر أي في حصن لا يقدر عليه[4].

قال الشاعر[5]: لو بغير الماء حَلْقي شَرِقٌ

وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (٢٥٢/١).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (١٩٠/١٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٥).
وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢٩٢/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٤/٥).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥/٣).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٠/٣).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٢/٥).

(٣) وهذا القول منسوب لأبي عبيدة: ينظر: مجاز القرآن لأبو عبيدة (٣١٣/١).
ومعاني القرآن للزجاج (١٤٤/٣).
وتأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٥٠/٦-٢٥١).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٦/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (١٩٦/٢).
والنكت والعيون للماوردي (٤٥/٣).
وقد أنكر الطبري رحمه الله هذا القول. ينظر: جامع البيان (١٩٧/١٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٤/٣).

(٥) هو عدي بن زيد العبادي، شاعر من شعراء الجاهلية كان نصرانياً، يسكن الحيرة، فصيحاً يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، وشي به أعداء له إلى النعمان بما أوغل صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة. ينظر: معجم الشعراء (٢٥/١).
وتراجم شعراء الموسوعة الشعرية (١٦٨٨/١).

كنت كالغصان بالماء اعتصاري[1].

أي: لو كان شرق حلقي بغير الماء كنت أنجو من ذلك.

والغَصَّان: الذي يشرق حلقه بغير الماء[2].

ومن قرأ (يُعْصَرون) بضم الياء ونصب الصاد فمعناه: يمطرون[3] من قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾[4].

وهذا القول الذي قاله يوسف عليه السلام من حديث العام الأخير الذي فيه يغاث الناس وإخبار لهم بشيء لم يسألوه عنه، ولا كان في رؤيا الملك دليلاً عليه[5]، فلما رجع الرسول إلى الملك فأخبروه بمقالته قال الملك ائتوني به فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

معناه: وقال الملك ائتوني بيوسف عليه السلام، فلما جاءه الرسول ثانياً وقال: إن الملك يدعوك، قال يوسف عليه السلام: أرجع إلى سيدك الملك فاسأله حتى يسأل عن شأن النسوة اللاتي دعتهن امرأة العزيز لتربهن يوسف عليه السلام وقطعن [٣٢٦/ب] أيديهن أكن صادقات على يوسف أم كاذبات على يوسف عليه السلام إن ربي بكيدهن وصنعهن عليم.

وإنما قال ذلك لأنه عليه السلام كان ناظراً في عواقب الأمور، فأراد أن لا يطعن عليه عدو بأمر النساء عند الملك وغيره، وأراد أيضاً أن يعلم

---

(١) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٤١/١).
ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٥٨/٣).
ومجمع الأمثال للميداني (١٨٦/٢).
والأغاني للأصفهاني (١٠٦/٢).

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب: شرق (١٧٣/١٠).
وتاج العروس للزبيدي، غص (٥٥/١٨).

(٣) قراءة شاذة لا يقرأ بها، ينظر: المحتسب لابن جني (٣٤٤/١).

(٤) سورة النبأ، (الآية: ١٤).

(٥) ينظر: فسير مقاتل بن سليمان (١٥٢/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٧/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٣٤/٤).

الملك أنه كان مظلوماً بالحبس[1]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (لقد عجبت من صبر أخي يوسف عليه السلام وكرمه، فلو كنت أنا الذي دعيت إلى الخروج لبادرتهم إلى الباب ولكنه أحب أن يكون له العذر)[2].

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ فلا بد من إضمار قبله لان تقدير الكلام: فرجع الرسول إلى الملك فأعلمه بذلك فأرسل الملك إلى النسوة وأحضرهن ثم قال لهن: ما خطبكن ؟ أي ما شأنكن إذ طلبتن يوسف عليه السلام عن نفسه[3]. والخطب : هو الأمر العظيم الذي يخاطب فيه الإنسان[4]، ولم يكن بمصر أعظم أمراً من أزواج هؤلاء النسوة ومن العزيز دون الملك.

---

(١) ينتظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (٢٥١/٦).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٦/٢).

(٢) أخرج نحوه عبد الرزاق في تفسيره عن عكرمة (٣٢٣/٢).
والطبري في جامع البيان عن عكرمة به (٢٠٢/١٣).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨١/٨).
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عن عبد الرزاق (٤٩٩/٢)، قال: هذا حديث مرسل. =

= قلت : وأصل الحديث في البخاري ومسلم، فقد أخرج البخاري في صحيحه – كتاب الأنبياء، باب قوله عز وجل : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الحجر: ٥١) رقم (٣١٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي).
وفي مسلم في كتاب الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة.
وفي الفضائل، باب: فضائل إبراهيم الخليل ﷺ رقم (١٥١).
قال العيني رحمه الله : (الداعي) الذي دعاه إلى الخروج من السجن ولأسرعت في الخروج يشير بذلك ﷺ إلى قوله : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (يوسف : ٥٠).
وقوله صلى الله عليه وسلم ذلك تواضع منه حيث إنه وصف يوسف عليه السلام بشدة الصبر ولا يعني ذلك قلة صبره ﷺ، أو أنه ﷺ يشير إلى الأخذ بالأسهل فيما ليس فيه معصية.

(٣) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٢٩/٥).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٦/٥).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الأثر، باب الخاء مع الطاء (١١٤/٢).
ولسان العرب لابن منظور، باب: خطب (٣٦٠/١).

وقوله تعالى ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ جواب النسوة للملك بكلمة التنزيه ينزهن يوسف عليه السلام عن ما تُهم به. وقوله تعالى : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ أي من قبيح. وقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾.

حص وكثُر كما في قوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾[2]. وقيل : إن اشتقاق ذلك من الحصة بأن حصة الحق من حصة الباطل[3].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : فرجع صاحب الشراب إلى يوسف عليه السلام عند ذلك.

كما قال جل ذكره : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

معناه ذلك الفحص عن النسّوة لِتُعِلْم الملك، ويقال ليَعلم أني لم أخن العزيز في أهله إذ غاب عني فإن الله تعالى لا يرضى عمل الخائنين. قال أهل الوعظ فقال له جبريل عليه السلام: (ولا حين همت بها ؟ فقال يوسف عليه السلام : (وما أبرئ نفسي) [4]. فإن صحت هذه الرواية كان المعنى:

وتاج العروس للزبيدي، باب: خطب (٣٧٠/٣).

(١) سورة الشعراء، (الآية : ٩٤).

(٢) سورة البقرة، (الآية : ٢١٤).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١١٥/٣).
وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٧/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٢٩/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٣/١١).

(٤) هذه الرواية من الروايات الإسرائيلية المكذوبة حيث ورن في كثير من كتب التفسير، والكلام هنا هو كلام امرأة العزيز كما يناسب سياق الآية وليس من كلام يوسف ولا بحضرته كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره، وقال أبو حيان : ومن ذهب إلى أن قوله : (ذلك ليعلم إلى آخره، من كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف. ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣١٦/٥).
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤٩/٢).
والإسرائيليات والموضوعات للدكتور/ محمد أبو شهبة (٢٢٥/١-٢٢٦-٢٢٧).

وما أبرئ نفسي من الهم، وقد يُذكر ويراد به شهوة النفس، يقول الرجل: ما همني إلا أكل الحلوى وإلا محادثة [الرجل] [١] النساء ويريد بذلك ما تشتهيه نفسه وتنازع إليه. وهو [معنى] [٢] قوله : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾

يقول الرجل : (إن نفسي تأمرني بكذا وتدعوني إليه، والأمارة، فعالة من أمرت، وهي للمبالغة والتكثير، والنفس في الحقيقة بهذه الصفة من كثرة ما تشتهي المعاصي وتنازع إليها، فإن كان هذا القول من كلام يوسف عليه السلام فهو إخبار منه عن شهوة نفسه[٣]، والنفس لا تُبرأ من شهوة القبيح لأنها ليست بفعل العبد ولم يخبره عليه السلام عن قلبه بعزيمة على مكروه،ولا عن جوارحه بما يُبْسَط إليه، والمرء لا يكون معايناً على ما تنازعه نفسه إليه إذا لم يتابعها.

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾معناه: إلا ما عصمني ربي بلطفه، في هذا دليل على أن أحداً لا يمتنع من المعصية إلا بعصمة الله تعالى، وإن كان الله سبحانه قد يلطف بمن لا يعتصم به. وقوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾أي إنه مع عصمته غفور لذنوب المذنبين رحيم بهم بعد التوبة.

ويقال: إن قوله تعالى : ﴿ ذلك ليعلم ... ﴾إلى آخر الآيتين من كلام امرأة العزيز، ومعناه : ذلك ليعلم يوسف عليه السلام أني لم أقل عليه وهو في السجن خلاف الحق وإن كنت خنته عن المشاهدة. وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ﴾ أي قالت: ما أبرئ نفسي عن مراودتي إياه عن نفسه[٤].

---

(١) ساقطة من (ب).
(٢) ساقطة من (ب).
(٣) هذا لكلام ليس من قول يوسف كما سبق بل هو من قول امرأة العزيز، يراجع الصفحة السابقة.
(٤) وهذا قول أكثر العلماء وهو الذي يناسب سياق الآيات ومعناها :

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ أي إلا ما يجتنيه الإنسان من المعاصي بعصمة الله تعالى. وبالله التوفيق.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾.

معناه: وقال الملك ائتوني به أي بيوسف عليه السلام أجعله خاصًّا لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي، وأعمل على إشارته[١]، فلما أتوه كلَّمه يوسف عليه السلام في تأويل رؤياه وقال: أيها الملك إزرع في هذه السنين المُخْصِبةِ زرعاً كثيراً واحفظ في كل سنة خُمس الطعام ومُرْ الناس بذلك واجعلوه في سنبله[٢] كما هو [سنابل][٣]، قال الملك : ﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾ أي متمكن من فعل ما تريد نافذ القول والأمر قد ظهرت أمانتك وظهر كذب النساء عليك، ولم يظهر منك خيانة.

وفي هذا بيان أن الملك لما كان من أهل الرأي والعقل لم يفعل ما فعلته النساء من النظر إلى ظاهر حسنه وجماله لقلة عقولهن وضعف أحلامهن بل تأمل في كلام يوسف وحكمته، فلما عرف ذلك استخلصه

وقد ذكر ذلك ابن تنمية حيث قال: فهذا كله كلام امرأة العزيز، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك ولا سمع كلامه، ولا رآه ولكن لما ظهرت براءته في غيبته. ينظر: دقائق التفسير لابن تيمية (٢٧٣/٢) الطبعة: الثانية ١٤٠٤هـ تحقيق/ محمد السيد الجليند. الناشر: مؤسسة علوم القرآن –دمشق.
والفتاوى الكبرى (٢٤٩/٥)، وينظر: النكت والعيون للماوردي (٤٧/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٥/١١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٦/٥).
واللباب لابن عادل (١٢٩/١١-١٣٠).

(١) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٣٠/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩/٣).
والوجيز للواحدي (٥٥٠/١).
والمحرر الوجيز لابن عطية (٣٩٤/٣).
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤٥٤/٢).
(٣) أضيفت من الهامش لأنها بخط الأصل ومشار لها في المتن وهي ساقطة من (ب).

لنفسه[١] وكان يوسف عليه السلام يومئذ ابن ثلاثين سنة على ما روي في الخبر[٢].

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ فمعناه : قال له يوسف عليه السلام : اجعلني على خزائن أرضك واجعل تدبيرها إلي، وأراد بذلك الخزائن التي يجمع فيها طعام الأرض وأموالها التي كان مصيرها إلى الملك[٣].

وكانت أرض مصر أربعين فرسخاً في أربعين فرسخاً[٤]، وإنما سأل يوسف عليه السلام ذلك لصلاح الخلق لأن الأنبياء [صلوات الله عليهم][٥] بُعثُوا لإقامة العدل، وضع الأشياء في مواضعها، فعلم يوسف عليه السلام أنه لا أحد أقدر بذلك منه[٦].

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ أي حافظ للخزائن عالم بوضعها مواضعها[٧]، ويقال : لجميع ألسن الغرباء الذين يأتونك فإنه كان يتكلم

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٥٥/٣).
(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٣٠/٥).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٢/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٧٨/١١).
(٣) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٨/٢).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٣١/٥).
والنكت والعيون للماوردي (٤٩/٣).
والوجيز للواحدي (٥٥١/١).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤٣/٤).
(٤) الفرسخ: لفظ معرب، مقياس من مقاييس المسافات، مقداره ثلاثة أميال=إثنا عشر ألف ذراع=٥٥٤٤متراً.
ينظر: معجم لغة الفقهاء (٣٤٢/١).
وتاج العروس للزبيدي (ميل) (٤٣٦/٣٠).
(٥) بزيادة (أجمعين) في : (ب).
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٦/٣).
(٧) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١١٦/٣).
ومعاني القرآن للنحاس (٤٣٩/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (١٩٨/٢).

بالعربي والعبراني والسرياني والقبطي[1]، ويقال: عالم بساعات حاجات الناس، وذلك أنه أمر الخبازين أن يجعلوا غداء الملك نصف النهار فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار، فلما كان الليلة التي وقع فيها الجوع من أول السنتين الجدبة أمر الخبازين أن يجعلوا غداءه مع عشائه ففعلوا فوقع الجوع في نصف النهار فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقرب إليه طعامه[2].

وفي الآية دليل أنه يجوز للإنسان أن يمدح نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[3]، النهي عن تزكية تزكية النفس للفخر والسمعة[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾

معناه:كما بَرَّأنا ساحته وخلصناه من الحبس كذلك مكنا له في أرض مصر يتبوأ أي ينزل منها حيث يشاء، روي أن الملك توجه وأعطاه سيفه، ووضع له سريرا من ذهب مكلّلا بالدُّر والياقوت وأمره أن يجلس عليه فجلس عليه، ولزم الملك بيته وفوض إليه كل أموره وذَلَّل له سائر الملوك

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (٢١٩/٣).
والكشف والبيان للثعلبي (٢٣١/٥).
وزاد المسير لابن الجوزي (٢٤٣/٤).
(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٨/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٣/٣).
(٣) سورة النجم، (الآية : ٣٢).
(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٥٥/٣).
والنكت والعيون للماوردي (٥٠/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٦/١١).

فتلطف يوسف عليه السلام للناس وأقام فيهم العدل وأخذ يدعوهم إلى

الإسلام وأحبهم وأحبه الناس كلهم، وآمن كثير منهم[١].

وقوله تعالى : ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾ فالمعنى نختص بأنعمنا من نشاء من عبادنا ولا نضيع أجر المحسنين على إحسانهم ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله تعالى وكتبه وكانوا يتقون الكفر والفواحش، لأن ثواب الدنيا مشوباً بالهموم والأمراض والأسقام وثواب الآخرة خالص من الشوائب ومن كل ما يكدره[٢].

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤٥٥/٢).
ومعالم التنزيل للبغوي (١٧٣/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٨/١١).
والبحر المحيط لأبي حيان (٢٦٤/٥).
ولباب التأويل للخازن (٢٩٣/٣).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٩٨/٢-١٩٩).
والنكت والعيون للماوردي (٥٣/٣).
والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٠/١١).
والبحر المحيط لأبي حيان (٣١٨/٥).


الخا

فهرس الأعلام المترجم لهم في النص المحقق

فهرس الموضوعات